الهَدْي النبوي

في

نقد الذات.. والآخر

(دراسة تأصيلية)

إعداد

فايدة إبراهيم حافظ عوّاد

المشرف

الأستاذ الدكتور باسم فيصل الجوابرة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

الحديث النبوي الشريف

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠٠٧

نوقشت هذه الرسالة: **الهَدْي النبوي في نقد الذات.. والآخر (دراسة تأصيلية)**

وأجيزت بتاريخ: ٢٠٠٧/٥/١٧م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور: باسم فيصل الجوابرة أستاذ حديث- أصول الدين	مشرفا
الأستاذ الدكتور: ياسر الشمالي أستاذ حديث- أصول الدين	عضوا
الدكتور: سلطان العكايلة أستاذ حديث- أصول الدين	عضوا
الدكتور: محمد عبد الرزاق الرعود أمين عام وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.	عضوا

الهَدْي النبوي

في

نقد الذات.. والآخر

(دراسة تأصيلية)

إعداد

فايدة إبراهيم حافظ عوّاد

المشرف

الأستاذ الدكتور باسم فيصل الجوابرة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

الحديث النبوي الشريف

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠٠٧

أ

نوقشت هذه الرسالة: **الهَدْي النبوي في نقد الذات.. والآخر (دراسة تأصيلية)**

وأجيزت بتاريخ: ٢٠٠٧/٥/١٧م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور: باسم فيصل الجوابرة أستاذ حديث- أصول الدين	مشرفا
الأستاذ الدكتور: ياسر الشمالي أستاذ حديث- أصول الدين	عضوا
الدكتور: سلطان العكايلة أستاذ حديث- أصول الدين	عضوا
الدكتور: محمد عبد الرزاق الرعود أمين عام وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.	عضوا

إهداء

إلى والدي.. ونِعم الوالد

إلى روح والدتي.. داعيةً المولى عز وجلّ أنْ يجعل

لها من الأجر نصيبا

إلى أشقائي وشقيقاتي

إلى صديقي، ابن شقيقتي بكر

إلى كل صاحب فضلٍ علي في إنجاز هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد منزل الكتاب على قلب محمد النبي الأمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله ا تعالى رحمة للعالمين. وبعد:

فالشكر أولا تعالى الذي علم الإنسان ما لم يعلم.. والذي من علي بعفوه وكرمه، وسعته وفضله، وألهمني أفكاري وعباراتي..

ثم الشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور باسم الجوابرة على ما قدم وبذل في إشرافه على هذه الدراسة.

والشكر كذلك لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور ياسر الشمالي، والدكتور سلطان العكايلة، والدكتور محمد الرعود، على تفضلهم بقراءة رسالتي وتناولها بالنقد والمراجعة، وتسجيل ملاحظاتهم عليها.

والشكر أخيرا لأسرتي التي لم تألُ جهدا في دعمي وتقديم يد العون لي، وأخص بالشكر والدي، وشقيقي خليل.

فهرس المحتويات

الهدي النبوي في نقد الذات والآخر

(دراسة تأصيلية)

إعداد
فايدة إبراهيم حافظ عواد

المشرف
الأستاذ الدكتور باسم الجوابرة

ملخص

هذه الدراسة إنسانية في جذورها وأعماقها، تُبرز عناية الشريعة الإسلامية بالإنسان من ناحية حرصها على إصلاح شؤونه، والارتقاء به في أعلى المستويات، ومن ناحية حفظ كرامته وصون ذاته..

وهي إنسانية، تُبرز الجانب الإنساني في شخصية الرسول صلى ا عليه وسلم المبعوثِ رحمة للعالمين.. إذ تعاملَ صلى ا عليه وسلم مع الإنسان بفهم عميق لمتطلباته واحتياجاته الإنسانية والنفسية..

وهي إنسانية.. تدعو إلى التراحم والتسامح بين العِباد.. والمعاملة فيما بينهم بروح الأخوة والمسؤولية..

وهي تربوية كذلك، تسلط الضوء على مواضع الخلل والنقص في المواقف والسلوكات التي تعرضها، ثم تُبرز التوجيهات النبوية حولها، التي لها الدور العظيم في تربية الإنسان وتأهيله ليكون أقدر على التفاعل والتعايش مع ذاته والآخرين..

ثم هي أخلاقية، تُعنى بالأخلاق والتي هي مناط السلوك، وتُبرزها من خلال إبراز أخلاقيات النبي صلى ا عليه وسلم في تعامله مع مختلف الفئات الناقدة والمنقودة، كما تدعو لتمثلها والاقتداء بها.

ولما غابت المفاهيم التي تطرحها الشريعة الإسلامية في مجال الإصلاح والتغيير عن الساحة، كمحاسبة النفس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمناصحة، ولم تعد مجتمعاتنا تردد تلك المصطلحات كما تردد مصطلح النقد في تعبيرها عن عمليات المراجعة والتقويم، فقد قامت هذه الدراسة بتقديم النقد على أنّه عملية في سلسلة العمليات الإصلاحية التي تقرها الشريعة الإسلامية وتدعو المسلمين إلى ممارستها.

وقد قدمت هذه الدراسة من خلال مواقف في السنة النبوية نقد الـذات والآخـر بشكليه البنائي والهدمي؛ وجاء التركيز فيها تلقائيا على إبراز شكله البنائي، إذ هو الشكل الذي أنتجه أسلوب النبي صلى ا عليه وسلم في النقد عامة، أما الهدميّ منها فقد صدر عن فئـات مختلفة واجهها النبي صلى ا عليه وسلم بحكمة وحزم، وحول النقد الصادر عنها نحو الاتجاه البنائي.

بسم ا الرحمن الرحيم

المقدمة

لا زلنا نردد أن الشريعة الإسلامية هي القاعدة والأساس والمنطلق لكل مناحي الحيـاة، وأن هذا الدين دين شمولي، لا يقتصر على بيان الأحكام وإصدار الأوامر والنّواهي، بل يشـمل كلّ ما يتعلق بحياة الإنسان مهما دقّ أو عظُم؛ إلا أن غالب ما نقدمه من الأبحـاث والدراسـات الجامعية في محاولاتنا إبراز شمولية هذا الدين، ودوره في تحقيق السعادة والاستقرار للإنسـان، لا يزال غير كاف لربط الإنسان بهذا الدين بشكلٍ شمولي، حتى يصبح بحـقّ النّبـع والأسـاس والمرجع لكل شأن من شؤونه، وأزعم أن هذا هو ما يحتاجه أفراد هذه الأمة للنهوض، أن يشعر الواحد بأن هذا الدين لا يغادر جزءا من أجزاء حياته حتى يأتي عليه ويقول كلمتـه فيـه، **وأي كلمة؟**

وتأتي هذه الدراسة لا محاولة لإبراز جانب من جوانب شمولية هذا الدين، أو اسـتخراج كنْزٍ من كنوزه فحسب، لكنّها محاولة لربط الإنسان بهذا الدين بشكل شمولي، والتأكيد علـى أن باستطاعته تقديم التوجيه في كلّ ما يعترضه في حياته، وذلك من خلال البحث في هدي النبـي صلى ا عليه وسلم وأسلوبه في نقد الذات والآخر، ودراسة مواقـفَ، أرجـو أن أكـون قـد استطعت بعثها في النفوس من جديد.

<u>مشكلة الدراسة:</u>

تؤدي السنة النبوية المطهرة دورا حقيقيا وحيويا في تقدم الأمة والارتقاء بأفرادها علـى الصعيدين الشخصي والعام، ولا يقتصر هذا الدور على بيان الأحكام وتفصيلها، بل يشمل جميع مناحي الحياة البشرية؛ وفي قلب السنة المشرفة تكمن الأجوبة عن كثير من الأسئلة التي تواجـه المسلم في عصر يتّسم بالانفتاح ويتسارع فيه التقدم.

وموضوع الدراسة واحد من الموضوعات المهمة، الذي لم تُرتَسم له معالم خاصة فـي الدراسات في السنة النبوية بعد، وهذه الدراسة الحديثية لموضوع النقد تحاول رسم صورة لـه، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ماهية النقد في السنّة النبوية؟

٢- هل النقد في السنة حقّ يملك الفرد ممارسته أو تركه، أم أنه واجب وتكليف؟

٣- وسواء كان حقا أو واجبا، فما هي الدائرة التي يمكن أن يمارس فيها النقـد؟ هـل يقتصر على فئة أو مجالات معينة، أو يمتد إلى سائر جوانب الحياة، ويغطي كافّـة الشرائح البشرية في المجتمع؟

٤- ما مدى حرية الفرد في ممارسة النقد، هل هي حرية مطلقة أو مقيدة بضوابط تنظم هذه الحرية، وترسم لها الحدود لضمان وفائها بالغرض المطلوب؟

٥- ما هي اتجاهات النبي صلى ا عليه وسلم في النقد؟ وكيف كان أسلوبه صـلى ا عليه وسلم في تناول الذات والآخر؟

٦- ما مدى أثر النقد في السنة النبوية في رفع مستوى الأفراد والجماعات؟

أهمية الدراسة وأسباب اختيار موضوعها:

١- تهتم هذه الدراسة بإبراز أثر السنة المتكامل في حياة الفرد والجماعـة، إذ للسـنة دور ريادي في حياة الأمة، ومن خلالها يمكن الكشف عن العديد من الموضوعات والوصول إلى الهدي النبوي فيها.

٢- هناك كثير من الأحاديث النّبوية الشريفة تضمنت موضوع النقد باجتماع جهاته الـثلاث فيها: الناقد والمنقود ومحلّ النقد، وتشكل هذه الأحاديث بمجموعها موضـوعا متكـاملا للدراسة والبحث.

٣- يرتبط موضوع النقد ارتباطا مباشرا بتقدم الأفراد والجماعات، فمن خلاله يمكن تمييـز الغثّ من السمين، والخطأ من الصواب، وإبراز الجوانب الإيجابية والسلبية في الأمـور حتى يمكن تقييمها والحكم عليها.

٤- يترتب على ممارسة النقد كثير من الآثار الاجتماعية والتربوية والدعوية، وهذه الآثـار إما أن تكون إيجابية بنّاءة أو سلبية هدامة، فكان لزاما على كلّ ممارس للنقـد تمكـين نفسه في هذا المجال، ليجني المجتمع في النهاية الأثر الإيجابي من التقـدم والتغييـر، وهدي النبي صلى ا عليه وسلم في النقد، وأسلوبه فيه يعمل على إعداد الناقد المتمكن.

٥- إرتباط موضوع النقد ودوره في العلاج والتقدم، ببعض الدراسات فـي علـم الـنفس، والإرشاد النفسي، وعلم القانون، مما يتطلب رؤية شرعية ودراسة تأصيلية، توجه أهل التخصصات المستفيدة من هذا الموضوع.

٦- أن يكون هذا الموضوع –وهو ذو توجه إنساني- منطلقا لغيـره مـن الموضـوعات، وحافِزا للبحث، ولمزيد من الدراسات الحديثية في المجالات التي ترتبط بحياة الأفـراد، فمن شأن مثل هذه الدراسات الإفادة في تقدم الأمة والنّهوض بها.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات سابقة تختص بتناول موضوع أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم وهديه في نقد الذات والآخر بشكل مباشر، وذلك من خلال جمع أحاديث تتضمن مواقف نقدية، ومن ثم تناولها بالبحث والتحليل والمعالجة، سواء في الدراسات الحديثية أو غيرها من الدراسات. ووجدت بعضها مما يتناول موضوع النقد بشكل عام، تذكر شواهد من السيرة النبوية وأعمال الصحابة على ممارسة النقد، كما تُشير بشكل مقتضب إلى تلك الممارسة دون معالجة لها أو تحليل، ومن أهم هذه الدراسات:

١- **النقد المباح – دراسة مقارنة – للدكتور: عماد عبد الحميد النّجار.**

وهو كتاب قيم يبحث حول النقد كحقّ من حقوق الأفراد في القانون، قسمه مؤلفه إلى أربعة أبواب على النحو الآتي:

الأول: تضمن الحديث حول حرية الرأي.

الثاني: في حقّ النقد ومكانه في التشريع الجنائي.

الثالث: بين فيه أركان النقد المباح.

الرابع: حول النقد في التشريع المقارن.

وخصص الكاتب في الباب الرابع فصلا للحديث حول النقد في الشريعة الإسلامية، قسمه إلى مبحثين:

الأول: حول أسس حرية الكلمة في الإسلام، فذكر فيه ستة أسس: العقل والعلم والمساواة ومسئولية الفرد والمجتمع عن حماية الشرع والشورى، وأخيرا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **والثاني:** وقف فيه الكاتب على إمكان ممارسة النقد بحرية في الشريعة الإسلامية، وأنّه ضرورة أساسية في المجتمع الإسلامي، وساق ما تيسر له من النصوص النبوية، ومن الأعمال التطبيقية للخلفاء الراشدين في بيان حق النقد؛ واختتم الفصل بذكر بعض القواعد التي تحكم هذا الحق في الدولة الإسلامية.

وهي دراسة على ما تثيره من أفكار مهمة حول النقد، إلا أنّها لا تتطرق لإبراز الهدي النبوي فيه، أو الكشف عن كيفية أدائه النّقْدي صلى الله عليه وسلم.

٢- **حرية الرأي في الميدان السياسي في ظل مبدأ المشروعية(بحث مقارن في الديمقراطية الغربية والإسلام). للدكتور: أحمد جلال حماد.**

خصص الكاتب في الفصل الثالث من كتابه مبحثا حول إباحة النقد في القوانين، قدم فيه تعريفا للنقد، وبين الفرق بينه وبين الطعن، وذكر شروط النقد المباح في القانون.

وهو كسابقه في تناول النقد من حيث هو حق من حقوق الأفراد في القانون، دون إبراز للدور النّبوي في إرساء أسس ممارسة النقد، وكيفية التعاطي معه.

٣- فقه الدعوة إلى ا وفقه النّصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكـر.
لمؤلفه: عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني.

وتلتقي هذه الدراسة مع موضوع البحث والرسالة من جهة اعتبـار النقـد مـن العمليات التي تهدف إلى الإصلاح والتغيير، كما تهدف كلّ من عمليات النّصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. فأضفت إلى موضوعها موضوع النقد، وأبرزت دوره في خدمة الدعوة وتحقيق الإصلاح والتغيير في المجتمع.

٤- منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين.
إعداد: هشام بن إسماعيل الصيني.

ذكر المؤلف في مقدمته أن لأهل السنة والجماعة منهجا في النقـد والحكـم علـى الآخرين، لم يكتب حوله إلا شيء يسير، حيث كانت همم العلماء منصبة علـى بيـان المـنهج السوي في الجرح والتعديل لرجال الحديث لعظم أهمية هذا المجـال، وإن كـان علـم الجـرح والتعديل جزءا من الحكم على الآخرين، إلا أنّه مختص بـرواة الحـديث دون غيـرهم، ولـه اعتبارات كثيرة قد لا تُعتبر في الحكم على عامة الناس.

واقتصر الكاتب على دراسة موضوع النقد والحكم على الآخرين، من خلال عرض كلام السلف في مجال أحكامهم على الناس، وأقوالهم في الجرح والتعـديل وغيرهـا، ومنهـا استخلاص منهجهم بشكل عام في النقد والحكم على الآخرين.

ومن الدراسات الغربية المتميزة في معالجة موضوع النقد:

١- قوة النقـد البنّـاء(The Power of Positive Criticism). للـدكتور: هنـدري ويسنجر(Hendry Weisinger)، دكتوراه في الفلسفة.(ترجمـة: مكتبـة جريـر، السعودية)

وهو مترجم إلى اللغة العربية، قسمه الكاتب إلى بابين، قدم في البـاب الأول منـه عشرين مبدءا وفكرة حول كيفية ممارسة النقد بشكل إيجابي وبنّاء.

وبين في الباب الثاني مواقف الانتقاد الصعبة التي تواجه الأفراد، وكيفية التعامل معها، كما بين صفات الناقد البنّاء.

٢- تقدير الذات(Self – Esteem). للدكتور: ماثيو ماكاي، وباتريك فـانينج(Matthew McKay And Patrick Fanning). (ترجمة: مكتبة جرير، السعودية)

وهو كتاب قيم للغاية، مترجم إلى العربية، ويبحث في ستة عشر فصـلا موضـوع تقدير الذات، يبرز فيها أثر النقد الداخلي أو الذاتي في انخفاض الشعور تجاه الذات أو ارتفاعـه، ويهدف إلى التوعية حول كيفية بناء المستوى السليم من تقدير الذات والحفاظ عليه، من خـلال التصدي لأصوات النقد الداخلي التي تعمل ضد الذات.

٣- أشخاص سيئو الطباع(Nasty People). الطبيـب النّفسـاني: جـاي كـارتر(Jay Carter). (ترجمة: مكتبة جرير، السعودية)

مترجم إلى العربية كذلك، وهو على العكس من كتاب قوة النقد البنّـاء، إذ يعـرض للنقد السلبي الهدام، ولأولئك الذين يمارسون النقد بشكل يحقّر من شأن الآخرين، ولا يحقـق أي فائدة لهم، فبين الأساليب التي يسلكونها في أفعالهم تلك وأسبابها ودوافعها، كما بين كيفية التعامل مع هذا النوع من النقد لتجنّب آثاره السلبية على النفس والمجتمع.

<u>منهج البحث:</u>

١- التركيز على رصد النصوص الواردة في السنة النبوية، التي تُعد الشواهد التطبيقية على المعالجة النّظرية التي يتناولها البحث.

٢- اعتماد المنهج التحليلي الاستنباطي في جمع المادة العلمية وصياغتها.

٣- الحكم على الأحاديث الواردة – من غير الصحيحين- في هذه الدراسة، وبيان درجتها، وأقوال علماء الرواية فيها.

<u>أدوات جمع البيانات وتطبيق المنهج:</u>

١- جمع الأحايث النبوية المتصلة بكل مسألة من مسائل الدراسة.

٢- اختيار المناسب من نصوص السنة النبوية لعنوان المسألة المراد بحثها ودراستها.

٣- الرجوع إلى كتب الشروح الحديثية لتجلية وبيان المقصود من الأحاديث، وتوجيهات السنة النبوية فيها.

٤- بيان الغريب من الألفاظ الواردة في أحاديث الدراسة وشرحها.

٥- تخريج الأحاديث النبوية تخريجا يفي بمقصود الدراسة، من حيث جمع الطرق، وبيان اختلاف الألفاظ والروايات، والحكم على الأحاديث الواردة في غير الصحيحين.

٦- الاستشهاد والمقارنة بالعلوم الأخرى ذات الصلة بموضوع الدراسة.

منهجية جمع الأحاديث وتخريجها ودراسة أسانيدها والحكم عليها:

أولا: جمع الأحاديث:

منهجية الدراسة في جمع الأحاديث:

١- استقراء الكتب الستة، صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وجمع الأحاديث المتصلة بموضوع الدراسة منها.

٢- تصفّح بقية الكتب التسعة غير الستة، وهي موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدارمي، وغيرها من المصنفات الحديثية، كتلك التي صنفَت في الصحيح، ومنها صحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، وما صنفَ في المستدركات على كتب أخرى كالمستدرك على الصحيحين للحاكم، ومن المعاجم المعجمين الكبير والأوسط للطبراني، وما صنفَ في موضوعات معينة كالزهد لابن المبارك، ومحاسبة النفس لابن أبي الدنيا.. وغيرها.

٣- جمع الأحاديث التي تغطي أبواب الدراسة ومسائلها، ثم اختيار المناسب منها، وذلك بناء على أمرين:

الأول: اختيار الصحيح الذي سيكون له النّصيب الأوفر في الدراسة لاسيما كونها تأصيلية؛ ثم الحسن، والاستشهاد بهما على مسائل الدراسة.

الثاني: المراعاة في اختيار أحاديث الدراسة ما جاءت دلالته على موضوعها ومسائلها قوية وواضحة.

٤- الاقتصار على جمع الأحاديث المرفوعة للنبي صلى ا عليه وسلم والاستشهاد بها على مسائل الدراسة، أما الموقوف فيكون الاستشهاد به حال غياب المرفوع.

ثانيا: منهجية الدراسة في تخريج الأحاديث:

١- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، المنسوبة إلى أصحابها ممن صنّفوا وجمعوا في الحديث.

٢- تخريج الأحاديث من الكتب التسعة أولا، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بما ورد فيه من الروايات في الكتب التسعة، ويقدم في التخريج ما رواه البخاري فمسلم فأبو داود فالترمذي فالنسائي فابن ماجة فمالك فأحمد فالدارمي.

٣- إذا كان الحديث مرويا في واحد من السنن الأربعة، أخرجه على بقية التسعة غير الصحيحين، وعلى غيرها من المصنفات الحديثية بحسب ما يفي بمقصود التخريج، ويفضي إلى الحكم على الإسناد، وقد أكتفي بما ورد من الروايات في الكتب التسعة إن كان فيها الكِفاية؛ وأرتب تخريج الروايات من غير التسعة حسب تاريخ وفاة رواتها فأُقدم الأسبق وفاة فالذي يليه، واستثني من هذا الترتيب في التخريج ما صح إسناده فيما استشهدت به وكان مرويا في غير التسعة، فأقدمه في التخريج على ما روي منه في السنن وبقية التسعة غير الصحيحين، وأبين صحة إسناده، وعلة الإسناد في غيره.

٤- يكون اللفظ الذي استشهد به في متن الدراسة لمن خرجت له أولا، ولا أخالف منهجي في ترتيب التخريج إن كان اللفظ لغير المخَرِج له أولا، فأسير على ترتيبي وأنسب اللفظ لصاحبه. فعلى سبيل المثال إذا كان الحديث مرويا في صحيحي البخاري ومسلم، وكان اللفظ الذي استشهدت به في المتن لمسلم أخرج حسب ترتيبي، للبخاري أولا ثم مسلم وأنسب اللفظ له.

٥- بعد تخريج روايات الحديث أذكر مدار أسانيدها إلى الصحابي راوي الحديث.

٦- إذا تعددت طرق الرواية للحديث الواحد، فكان مدارها الصحابي راوي الحديث، أذكر مواضع الروايات ثم أقول من حديث فلان.

٧- أبين اختلاف الألفاظ في روايات الحديث ما دعت الحاجة لذلك.

٨- تخريج الأحاديث الواردة عند الإمام أحمد من الموسوعة الحديثية، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرون، وتخريج أحاديث ابن حبان من الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان، فأذكر كلا المصدرين مفصلين عند أول ورود لهما فقط، ثم أنسب ما خرجته للإمام أحمد إلى مسنده، وأعني الرجوع للموسوعة، وأنسب ما خرجته لابن حبان إلى صحيحه، وأعني الرجوع إلى الإحسان.

ثالثًا: منهجية الدراسة في تناول الأسانيد والحكم عليها:

١- إذا كان الحديث في غير الصحيحين أنظر في اتصال السند ثم في رجال الإسناد، فـإن كانوا ثقات حكمت بصحة الإسناد، وإن كان فيه راوٍ تُكِلم فيه أجمع أقوال العلماء فيـه، فإن اتفق الجمهور على تضعيفه، ذكرت بأنه ضعيف، وإن اختلفوا في توثيقـه ذكـرت اختلافهم وعرضت بعض أقوال الأئمة الواردة فيه، ثم اعتمدت في الترجيح على قـول ابن حجر في التقريب. فأدرس من رجال الإسناد من اختُلف فيه دون من اتفُـق علـى توثيقه أو تضعيفه.

٢- في الحكم على الحديث أعتمد أحكام الأئمة وعلماء الحديث المتقدمين ثم المتأخرين ثـم المعاصرين، فإن اتفق السابقون واللاحقون، حكمت جازمة بقولهم، وإن اختلفوا بينـت اختلافهم، ثم رجحت بحسب ما يتوفر من أسباب الترجيح، وإن لم أجـد حكمـا علـى الحديث اجتهدت في الحكم حسب الأصول والقواعد التي اتبعها الأئمة في أحكامهم على الأحاديث.

٣- أعرف رجال الأسانيد بذكر أسمائهم، ولا أقتصر على ألقابهم أو كُناهم.

خطة البحث:

قبل الشروع في بيان خطة البحث أشير إلى أن هذه الدراسة لن تتناول مصـطلحي الهدي والتأصيل بالتحليل، وأُحِيل عليهما إلى دراسات من سبقوني ففيها الكفاية.

ويعني مصطلح الهدي بشكل عام في هذه الدراسة الإرشاد والتوجيه النبوي حول موضـوعها. والتأصيل من الأصل، وهو ما ينبني عليه غيره، فدراسة تأصيلية تعني بناء موضـوعها علـى هدي النبي صلى ا عليه وسلم.

وتأتي هذه الدراسة في أربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: حول مفهوم النقد ومشروعيته وأقسامه.

وفيه ثلاثة مباحث، يتضمن الأول منها: تعريفًا للفظ النقد في اللغـة والاصـطلاح، وبيانًا لاستعمالاته في السنة النبوية، كما يتضمن بيانًا للمصطلحات ذات الصلة بمصطلح النقـد، ومنها مصطلحات شرعية، أو مستفادة منه، وما ورد في بعض العلوم.

والثاني: حول مشروعية النّقد، فيعرض نماذج من المراجعة والنقد القرآني الموجـه للنبي صلى ا عليه وسلم والصحابة؛ ومرجعية النقد للـدعوات الإصـلاحية الشـرعية، مـن النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاسبة النفس، كمـا يعـرض نمـاذج مـن ممارسة الصحابة للنقد.

أما الثالث: ففيه بيان أقسام النقد الرئيسية، وقد تم تقسيمه باعتبارين، الأول: باعتبار الجهة المنتقدة، وأقسامه: نقد الذات، ونقد الآخر، والثاني: باعتبار الأثر المترتّب علـى العمليـة النقدية، وأقسامه: النقد الإيجابي البنّاء، والنقد السلبي الهدام. ويبين هذا التقسيم-باعتبار الأثـر- ارتباط دوافع النقد وأساليبه بتحديد الأثر المترتّب عليه.

الفصل الثاني: حول اتجاهات النبي صلى ا عليه وسلم في النقد.

وهو فصل مهم يعرض لتلك النقود التي وجهت للنبي صلى ا عليه وسلم مباشرة، وتلك التي وجهت لغيره من المسلمين، وكان حاضِرا فيها، أو نُقِلت إليه، وكيفية تعامله وتعاطيه صلى ا عليه وسلم مع تلك المواقف.

وقد كانت له صلى ا عليه وسلم في ذلك اتجاهات ثلاث، تعرضها مباحث الفصل مـن خـلال دراسة المواقف التي قبِلَ النبي صلى ا عليه وسلم النقد فيها وهو المبحث الأول منه، أما الثاني فيختص بدراسة تلك النقود التي ردها النبي صلى ا عليه وسلم، والثالث يعرض مواقف كـان شأنها أن تُنْتَقَد، إلا أن النبي صلى ا عليه وسلم ترك النقد فيها لأسباب تظهر في محلّهـا مـن الدراسة بمشيئة ا تعالى.

الفصل الثالث: حول أسلوب النبي صلى ا عليه وسلم في نقد الذات.

ويتضمن مبحثين، الأول: حول نقد الذات الفردية، فيعرض كيف تناول النبي صـلى ا عليه وسلم بعض ما صدر عنه بالنقد والمراجعة والتحليل، كما يعـرض نمـاذج مـن نقـد الصحابة ذواتهم.

والثاني: حول نقْد الذات الجمعية -نسبة للجماعة-، ويعرض لثلاثة نمـاذج، الأول منها مقبول ويحقق المصلحة الجمعية، والثاني: مقبول ولا يحقق المصلحة الجمعيـة، والثالـث: مردود وينافي المصلحة الجمعية.

الفصل الرابع: حول أساوب النّبي صلى ا عليه وسلم في نقد الآخر.

وفيه ثلاثة مباحث، الأول والثاني منهما يعرضان لأسلوبين رئيسيين في النقد، همـا النقد المباشر، وغير المباشر، يندرج تحت كل منهما أساليب فرعية، وإجراءات تُبرز هدي النبي صلى ا عليه وسلم في النقد.

أما النقد المباشر وهو ما كانت الجهة المنقودة فيه ومحلّ النقد كلّ منهما متعينًا، يتضمن أسلوبين: النقد المباشر بالزجر، والمباشر بغير زجر.

وأما النقد غير المباشر، فهو ما لم يتعين فيه محلّ النقد أو الجهـة المنتقـدة، وفيـه مطلبين: انتزاع شخصية المنقود من العملية النقدية، وانتزاع محلّ النقد.

أما المبحث الثالث فيعرض خلاصة سريعة حول رسالة النبي صلى ا عليه وسلم النقدية، مـن خلال عرض ضوابطها وخصائصها وآثارها.

وفي نهاية الدراسة، ذِكْر لنتائجها، وتوصيات الباحثة حولها.

وبا التوفيق

قال تعالى:

يا أيها الذِين آمنـوا اتقُـوا اللـه وقُولُـوا قَولًـا
سدِيدا(٧٠) يصلِح لَكُم أعمالَكُم ويغفِر لَكُم ذُنوبكُم ومن
يطِع الله ورسولَه فَقَد فَاز فَوزا عظِيما(٧١)
سورة الأحزاب

الفصل الأول

مفهوم النّقد ومشروعيته وأقسامه

المبحث الأول: مفهوم النقد

المطلب الأول: تعريف النقد

المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة بمصطلح النقد

المبحث الثاني: مشروعيّة النقد

المطلب الأول: نماذج من النقد القرآني

المطلب الثاني: الدعوات الإصلاحية الشرعية

المطلب الثالث: عمل الصحابة بالنقد

المبحث الثالث: أقسام النقد

المطلب الأول: تقسيمه باعتبار الجهة المنتقدة

المطلب الثاني: تقسيمه باعتبار الأثر

المبحث الأول: مفهوم النقد

المطلب الأول: تعريف النّقد

الفرع الأول: تعريف النقد لغة:

قال ابن فارس: النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه[1]. وقد ورد لفظ النقد في معاجم اللُغة على عدة معانٍ[2]:

١- الكشف عن الحال, والتّمييز بين الأشياء من حيث الجودة والـرداءة، ومنه: نَقد الـدراهم: تمييز جيدها من رديئها وإخراج الزيف منها. نَقَدها ينْقُدها نَقْداً, وانْتَقَدها وتَنَقدها، ودرهـم نَقْـد: وازن جيد, كأنّه قد كُشِف عن حاله فعلم[3].

٢- الإعطاء التناول والأخذ، ومنه نَقَدتُه دراهمه: أي أعطيته، فانْتَقَدها: أي قبضـها[4]. **فالنقْـدَ إعطاء الثمن والانْتِقاد أخْذه.** وهو خلاف النسيئة.

٣- **النقْر،** نَقَد الشّيء ينْقده نَقدا إذا نَقَره، ومنه: نَقد الجوزة, ونَقد الطائر الفخّ والحب. يقال: نَقَـد الطائر الفخ بمنقاره إذا نَقَره, ونَقَد الطائر الحب ينْقده إذا كان يلقطه واحدا واحـدا وهـو مثـل النقر[5]. والمناقَرة: **مراجعة الكلام بين اثنين وَبثهما أحاديثَهما وأمورَهما.** والتنْقِير: **التفتيش**[6]. وعليه يكون من معاني النقد **البحث والتفتيش والمراجعة.**

٤- عيب الآخرين والوقوع فيهم، فلان ينْقد النّاس: **يعيبهم ويغتابهم**[7].

---

(١) ابن فارس/ أحمد(ت٣٩٥هـ), **معجم مقاييس اللغـة**, (تحقيـق: عبـد السـلام هـارون), دار الفكـر, (١٩٧٩م). (ج٥/ص٤٦٧)

(٢) ابن منظور/ محمد بن مكرم(ت٧١١هـ), **لسان العرب**, دار صادر، بيروت، (١٩٥٥م). (ج٣/ص٤٢٥) وما بعدها.

- الزبيدي/ محمد مرتضى(ت١٢٠٥هـ), **تاج العروس من جواهر القاموس**, الناشر:حكومة دولة الكويت, (١٩٧١م). (ج٩/ص٢٣٠) وما بعدها.

- الفيروز آبادي/ محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ), **القاموس المحيط**, ط٦، (تحقيـق: مكتبـة التّـراث فـي مؤسسة الرسالة), إشراف محمد نعيم العرقسوسي, مؤسسة الرسالة, (١٩٩٨م), (ص٣٢٣،٣٢٢)

(٣) ابن فارس, معجم مقاييس اللغة(ج٥/ص٤٦٧)

(٤) ابن منظور, لسان العرب(ج٣/ص٤٢٥)

(٥) ابن فارس, معجم مقاييس اللغة(ج٥/ص٤٦٩،٤٦٨)

(٦) ابن منظور, لسان العرب(ج٦/ص٢٤٣،٢٤٢)

(٧) مصطفى/ إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**, (إشراف عبد السلام هارون), طهران: المكتبة العلمية. (ج٢/ص٩٣٥)

٥- **المناقشة**, ناقّده الأمر: ناقشه, وناقّدت فلاناً إذا ناقشته, وكلا من الطرفين ينظر في رأي الآخر لإخراج الزيف منه[1]. ومن المجاز: نَقد الكلام, وهو من نَقَدِهِ الشعر ونُقاده, وانْتَقَد الشعر على قائله, وهو ينْقد بعينه إلى الشّيء: يديم النّظر إليه[2].

ومن معاني النقد[3]:

- النقْد في الحافر: تقشّره, قال الثعالبي في فصل عيوب خِلْقَةِ الفرس: فإذا كان حافره منقشراً فهو نَقِد[4]. (**وفيه معنى البروز الذي ذكره ابن فارس، فتقشر الحافر بروزه**).
- والنقد: لدغ الحية, نَقَدتْه الحية إذا لدغته. (**وفيه معنى التناول والإصابة**).
- والنقَدُ: الصغيرة من الغنم، وقيل جنس من الغنم قصار الأرجل، قِباح الوجوه، وفي الشعر: رب عِدِيم أعز من أسد ورب مثرٍ أذل من نَقَدِ. (**وفيه معنى وجود ما يعيب**)

هذه هي جملة المعاني الواردة في مادة نقد في بعض المعاجم وكتب اللغة، ويرد معظم الكُتاب والباحثين في الأدب وغيره أصل لفظ النقد إلى معنى **تمييز الدراهم وإظهار جيدها من رديئها**, إلا أن الكاتب بدوي طبانة[5] رد أصل لفظ النقد إلى معنى **الإعطاء والتناول** لا تمييز الجيد من الرديء، حيث يقول: (إن الإعطاء والتناول كانا أول المعاني التي عرفت لهذا اللفظ, أما تمييز الجيد من الزيف, فهو العملية التالية للأولى, أو العملية الثالثة للأوليين, وهذا هو الترتيب الذي يمليه التسلسل الطّبيعي: العطاء فالتناول فالتمييز, فالمعطي ينْقُد, والآخر يتناول, ولعله بعد ذلك يفحص ما أخذ ليستبين ما إذا كان أعطى الجيد أم الرديء)[6].

---

(١) إسحاق/ ميشال, (١٩٨٤م)، **المعاني الفلسفية في لسان العرب**, (تقديم: جورج صدقني), دمشق: اتحاد الكتاب العربي. (ص٣٤١)

(٢) الزمخشري/ محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ), **أساس البلاغة,** ط١، (تحقيق: عبد الرحيم محمود), مطبعة أولاد أورفاند, (١٩٥٣م). (ص٤٦٩). وينظر: ابن فارس, معجم مقاييس اللغة(ج٥/ص٤٦٧)

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب(ج٢/ص٤٢٦)

(٤) الثعالبي/ عبد الملك بن محمد(ت٤٣٠هـ), **فقه اللغة وأسرار العربية**, ط١, (ضبط: ياسين الأيوبي), المكتبة العصرية، صيدا, (١٩٩٩م). (ص١٩٥)

(٥) طبانة/ بدوي، (١٩٦٥م)، **دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث**، ط٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

(٦) المرجع السابق، (ص١٢)

الخلاصة:

بناءا على ما سبق, يتضح أن استعمالات لفظ النقد في اللغة تتجه في ثلاث معان رئيسة:

أولها: **الإعطاء والتناول والإصابة.**

ثانيها: **الكشف عن حال الشيء وإخضاعه للفحص والتمحيص, لتمييز محاسـنه عـن مساويه، وهو يقتضي البحث والتفتيش، والمراجعة والمناقشة.**

ثالثها: **إبراز الشيء وبروزه**, وهو مترتب على المعنيين السابقين، فإن تنـاول الشّـيء بالكشف والتمييز يؤدي تلقائيا إلى بروزه واتضاحه, كما في قولهم درهم نَقد بمعنى وازن جيـد, وهو مثال يحمل المعاني الثلاثة، حيث قيل فيه –كما سبق-: كأنه قد كُشف عن حاله فعلم. فالعلم به جاء بعد بروزه واتضاحه، وذلك بعدما أمكن تناوله بالفحص والتمييز والكشف.

ويمثل هذا المعنى- البروز والإبراز- ثمرة هذه العملية, التي تبدأ بتناول الشّيء ماديا أم معنويا، وتنتهي بوضوحه وبروزه, ولذلك رد ابن فارس –في ظنّي- جملة المعاني الواردة فـي لفظ النّقد إلى معنى بروز الشّيء وإبرازه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المعاني الثلاث تتضمن في الجملة عمليات تقييم وحكـم, وهو ما سيتضح أكثر من خلال عرض الاستعمالات الاصطلاحية للفظ النّقد، وقبل ذلك نعرض لورود لفظ النقد فيما صح في السنة النبوية.

الفرع الثاني: استعمالات لفظ النّقد في السنة:

١. عن جابِر بن عبد ا رضِي الله عنْه أَنه كَان يسِير علَى جملٍ لَه قَد أَعيا، فَمر النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فَضربه فَدعا لَه فَسار بِسيرٍ لَيس يسِير مِثْلَه، ثُم قَالَ: (بِعنِيهِ بِوقِيةٍ) قُلْتُ: لَا. ثُم قَالَ: (بِعنِيهِ بِوقِيةٍ)، فَبِعتُه فَاستَثْنَيتُ حملَانَه إِلَى أَهلِي. فَلَما قَدِمنَا أَتَيتُه بِالْجمل **وَنَقَدَنِي ثَمَنَه**. ثُم انْصرفْتُ فَأَرسلَ علَى إِثْرِي، قَالَ: (ما كُنْتُ لِآخُذَ جملَك فَخُذْ جملَك ذَلِك فَهو مالُك..)[1]. وفي رواية (فأعطاني ثمنه)[2].

٢. وعن الْبراء بن عازِبٍ رضي ا عنه قال: جاء أَبو بكْرٍ رضِي الله عنْه إِلَى أَبِي فِي منْزِلِهِ فَاشْتَرى مِنْه رحلًا، فَقَالَ لِعازِبٍ: ابعثْ ابنَك يحمِله معِي. قَالَ: فَحملْتُه معه وخَرج أَبِي **يَنْتَقِد ثَمَنَه**، فَقَالَ لَه أَبِي: يا أَبا بكْرٍ حدثْنِي كَيفَ صنَعتُما حِين سريتَ مع رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم...)[3].

ويأتي لفظ النّقد في الحديثين السابقين بمعنى الإعطاء والتناول.

قوله في النص: **نَقَدَنِي ثَمَنَه**، قال ابن حجر: نقد لي ثمنه أي **عجله**، والنقد في الزكاة العين[4].

وقوله **يَنْتَقِد ثَمَنَه**: أي يستوفيه[5].

---

(١) رواه البخاري/ محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، (٢٠٠٣م)، في كتاب: الشروط، باب: إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جائز(ص٥٦٧/ح٢٧١٨)، ورواه مسلم/ مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، مكتبة الإيمان، المنصورة. كتاب المساقاة، باب: بيع البعير واستثناء ركوبه، (ص٧٩٣/ح٧١٥)، كلاهما من طريق زكريا بن أبي زائدة عن عامر بن شراحيل الشعبي عن جابر رضي ا عنه.

(٢) رواه البخاري، في كتاب: الجهاد والسير، باب: استئذان الرجل الإمام..(ص٦٢٢/ح٢٩٦٧)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين له، كلاهما عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة بن مقسم عن عامر الشعبي عن جابر رضي ا عنه.

(٣) رواه البخاري، في كتاب: المناقب، باب: علامات النّبوة في الإسلام..(ص٧٥٤/ح٣٦١٥)، ورواه مسلم في كتاب الزهد..، باب:حديث الهجرة..(ص١٤٨٣/ح٢٠٠٩)، كلاهما من طريق زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عمرو بن عبد ا الهمداني عن البراء بن عازب رضي ا عنه.

(٤) ابن حجر/ أحمد بن علي(ت٨٥٢هـ)، **هدي الساري مقدمة فتح الباري**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٧م). (ص٣١٤)

(٥) النووي/ يحيى بن شرف(ت٦٧٦هـ)، **المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط١، دار ابن حزم، عمان، (٢٠٠٢م). (ص٢٠٥٩)

٣. وعن حذَيفَةَ بن اليمان رضي ا عنه عن النبِي صلى الله علَيهِ وسـلم: (أن رجلاً مات فَدخَلَ الْجنةَ، فَقِيلَ لَه: ما كُنْتَ تَعملُ.. فَقَالَ: إِني كُنْتُ أُبايِع الناس فَكُنْـتُ أُنْظِـر الْمعسِـر وأَتَجوز فِي السكةِ أَو فِي **النقْدِ** فَغُفِر لَه..)[1].

قوله: **فِي السكةِ أَو فِي النقْدِ**: الشّك من الراوي, والسكة: الدرهم المضروب والنّقد أعم من الدرهم والدينار وغيرهما[2].

والتجوز معناه: المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء وقبول ما فيه نقص يسير[3].

---

(١) رواه مسلم, في كتاب: المساقاة, باب: فضل إنظار المعسر(ص٧٧٥/ح١٥٦٠), وابن ماجه/ محمد بن يزيد(ت٢٧٥هـ), **سنن ابن ماجه**، ط١، (تحقيق: صدقي جميل العطّار), دار الفكر، بيروت، (٢٠٠١م)، في كتاب الصدقات, باب: إنظار المعسر(ص٥٦٠/ج٢٤٢٠). وابن حنبل/ أحمد(ت٢٤١هـ), أنظر: **الموسوعة الحديثية (مسند الإمام أحمد بن حنبل)**, ط١، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون), مؤسسة الرسالة، بيروت, (١٩٩٨م), (ج٣٧/ص٣٩٧/ح٢٣٣٨٤). ثلاثتهم من طريق شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير, عن ربعي بن حِراش, عن حذيفة رضي ا عنه.

(٢) المباركفوري/ محمد عبد الرحمن(ت١٣٥٣هـ), **منّة المنعم شرح صحيح مسلم**, ط١, دار السلام، الرياض, (١٩٩٩م). (ج٣/ص٤٣)

(٣) النووي, المنهاج(ص١١٩٤)

الفرع الثالث: تعريف النقد اصطلاحاً:

تبين سابقاً أن لفظ النقد في جوهره يدل على **تناول شيء أو أمر ما بالكشف والتمييز والإبراز؛** ولذلك شاع استعماله كمصطلح في العديد من العلوم. أولها وأجلّها علم الحديث, الذي قام في معظمه على فكرة نقد المرويات المنسوبة للنبي صلى ا عليه وسلم للكشف عن حالها والتمييز بينها من حيث الصحة والضعف والقبول والرد.

وقد نشأ نقد المرويات المنسوبة للنبي صلى ا عليه وسلم مبكراً في التاريخ الإسلامي, وذلك منذ عهد الصحابة رضوان ا عليهم, وبعد وفاة النّبي صلى ا عليه وسلّم, حيث تطالعنا الروايات بعدد من المواقف التي ناقش فيها الصحابة بعضهم بعضاً, وتناولوا بعض ما رووه عن النبي صلى ا عليه وسلم بالنقد والتحليل.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك, مناقشة أم المؤمنين عائشة رضي ا عنها ومراجعتها لروايةٍ رواها عمر بن الخطاب رضي ا عنه لما أُصيب, وقد دخل عليه صهيب رضي ا عنه وهو يبكي، ويقول: واأخاه, واصاحباه, فقال عمر: يا صهيب, أتبكي علي وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (إن الميت يعذّب ببعض بكاء أهله عليه)؟ فلما ذُكر ذلك لعائشة, قالت: **(رَحِمَ اُ عمَر, وا مَا حَدثَ رَسولُ ا صَلى اُ عليهِ وَسَلم إن اَ ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه, ولكن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: (إن ا ليَزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه)، وقالت: حسبكم القرآن[1]، وَلاَ تَزِر وَازِرَةٌ وِزرَ أُخْرَى** الأنعام آية:١٦٤.

وقالت رضي ا عنها وقد ذكر عندها أن ابن عمر رضي ا عنه رفع إلى النبي صلى ا عليه وسلم قوله: (إن الميت ليعذب في قبره ببكاء أهله). فقالت: **وَهَلَ**[2]. إنّما قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (إنّه ليعذب بخطيئته وذنبه وإن أهله ليبكون عليه الآن)

وقالت: وذلك مثل قوله: إن رسول ا صلى ا عليه وسلم قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين, فقال لهم ما قال: (إنهم ليسمعون ما أقول), إنّما قال: (إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الجنائز, باب: قول النبي صلى ا عليه وسلم: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه. إذا كان النوح من سنّته), (ص٢٦٦/ح١٢٨٧–١٢٨٨). ورواه مسلم في كتاب الجنائز, باب: الميت يعذّب ببكاء أهله عليه, (ص٤٢٣/ح٩٢٩)، كلاهما من طريق ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيزعن عبد ا بن عبيد ا بن أبي مليكة عن عائشة رضي ا عنها.

(٢) وهلَ: بفتح الواو وكسر الهاء وفتحها: أي غلط ونسي. النووي, المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج(ص٧٣٠)

أقول لهم حق) ثم قرأتْ: **إنك لا تُسمِع المَوتَى** النمل آية:٨٠. وقوله تعالى: **وَمَا أنتَ بِمسمِعٍ من فِي القُبور** فاطر آية:٢٢[1].

وفي رواية لما بلغ عائشة رضي الله عنها, قول عمر وابن عمر رضي الله عنهما قالت:(**إنكم لتُحدثوني عن غير كاذِبَين ولا مكذَبَين, ولكن السمع يخطئ**)[2].

ولا يتسع المقام هنا لذكر آراء العلماء حول نقد السيدة عائشة رضي الله عنها لرواية كل من عمر بن الخطاب وابنه رضوان الله عليهم، وإنّما الهدف إبراز ممارسة الصحابة عمليا لنقد المرويات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتناولها بالمناقشة والفحص والتمحيص والإبراز، وتعد استدراكات السيدة عائشة على الصحابة رضوان الله عليهم أساسا لنقد المرويات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد جمعها الإمام محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ) في مصنفه: (**الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**).

أما تحديد عملية النّقد هذه ضمن أُطُر معينة وتثبيت أصول وقواعد لها, فقد ظهر بعد انتشار حركة الوضع في الحديث الشريف, ومحاولات العبث فيه من قِبَل البعض انتصارا لسياساتهم أو مذاهبهم أو غير ذلك من الأسباب والدوافع، فتوسعت دائرة نقد المرويات لتشمل تناول رواتها وحامليها بالنقد، بهدف الكشف عن أحوالهم، تثبتاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وصوناً له من أن تناله يد المغرضين.

قال العمري: (أدت حركة الوضع التي كادت أن تهدم السنة إلى نتائج إيجابية أثّرت في إشادة صرح السنة وبناء علوم الحديث, فقد دفعت العلماء لاتخاذ ما يلزم لحفظ الحديث وتنقيته ومنع التلاعب فيه فنشطوا في تدوينه بنطاق واسع في فترة مبكرة منذ أواخر القرن الأول وخلال القرن الثاني الهجري, وخلال الجهود التي بذلت في فترة التدوين لتمييز الأحاديث

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي, باب: قتل أبي جهل(ص٨٣٠/ح٣٩٧٨)، ومسلم في الجنائز, باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه(ص٤٢٤/٩٣٢)، كلاهما من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها. ورواه أبو داود/ سليمان بن الأشعث(ت٢٧٥هـ), **سنن أبي داود**, ط١، (تخريج: صدقي جميل العطّار), دار الفكر، بيروت، (٢٠٠١م). كتاب الجنائز, باب: في النّوح, (ص٦٠٠/ح٣١٢٩) من طريق عبدة بن سليمان, وأبي معاوية محمد بن خازم عن هشام وفيه: (وهلَ-تعني ابن عمر-) تفسير من الراوي.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الجنائز, باب: الميت يعذّب ببكاء أهله عليه(ص٤٢٤/ح٩٣٢)، وأحمد في المسند(ج١/ص٣٨٦/ح٢٨٨)، كلاهما من طريق أيوب بن أبي تميمة-كيسان السخْتياني-عن عبد الله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن عائشة رضي الله عنهما به.

ظهرت قواعد نقد الحديث, ثم تبلورت هذه القواعد على مر الزمن حيث ظهرت بشـكل منسـق ودقيق في كتب مصطلح الحديث)[١].

وقال نور سيف: استعمل المحدثون لفظ النقد في المهمة التي تصدوا لهـا فـي دراسـة الأحاديث وناقليها, وانبثق من ذلك مدلول الجرح والتعديل عندهم, الذي اقتصر على بيان أحوال الرجال, والحكم عليهم جرحاً أو تعديلاً . وتناولُ الأحاديث وما يعرض لها من اختلاف, مـدلول آخر عندهم هو علل الحديث. وهذه الدراسة -بِشِقيها- تتناولها مهمة النّاقد. والمهمة التي يتصدى لها النّاقد, هي عملية جمع الأحاديث وفحصها ونقدها وتتبع أحوال ناقليها. فيقوم بجمـع طـرق الحديث ومقارنتها ودراستها والحكم عليها وبيان ما فيها من علة واختلاف؛ كما يقـوم بدراسـة حال الراوي وما يعرض له ليستخلص بذلك الحكم على الراوي وما روى"[٢].

وعرف النقد في اصطلاح أهل الحديث بأنه:

علم يبحث في تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة, وبيان عللها, والحكم على رواتها جرحاً وتعديلاً بألفاظ مخصوصة ذات دلائل معلومة عند أهل الفن[٣].

- **وفي علم التاريخ** يعرف النقد بأنه: دراسة منهجية لمنابع التاريخ لإظهار ما تشتمل عليه من حقائق. ومنابع التاريخ هي الآثار والوثائق. والغاية من النقد التاريخي إبراز ما فـي هـذه الوثائق من أصالة وصدق وضبط[٤].

- **وفي الأدب:** احتلّ مصطلح النقد مكانة كبيرة, وبدأ استعماله منذ القرن الرابع الهجـري, حيث ظهر أول مؤَلفٍ يحمل في عنوانه كلمة النقد وهو كتاب (نقد الشعر) حيث قـال صـاحبه: (ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً)[٥] وهذا من حيث اسـتعماله كمصطلح لهذا الغرض, أما من ناحية ممارسته فلا شك كونها قبل ذلك. ويعرف النّقـد الأدبـي بأنه: تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية[٦].

---

(١) العمري/ أكرم ضياء, (١٩٧٢م)، **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**, ط٢، بغداد: مطبعة الإرشاد، (ص١٥-١٦)

(٢) نور سيف/ أحمد محمد، (١٩٧٩م)، **يحيى ابن معين وكتابه التاريخ**، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، السـعودية. المقدمة(ص٦)

(٣) العمري/ محمد علي قاسم, (٢٠٠٠م)، **دراسات في منهج النقد عند المحدثين**, ط١, عمان: دار النفائس, (ص١١)

(٤) صليبا/ جميل, (١٩٨٢م)، **المعجم الفلسفي**, بيروت: دار الكتاب اللبناني، (ج١/ص١٤٩-١٥٠)

(٥) ابن زياد/ قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ), **نقد الشعر**, (تحقيق: كمال مصطفى), مكتبة الخانجي: مصر، ومكتبة المثنـى: بغداد ١٩٦٣م. (ص١٣). وينظر: بدوي طبانة, دراسات في نقد الأدب العربي..(ص٢٢)

(٦) الشايب/ أحمد, (١٩٥٥م)، **أصول النقد الأدبي**, ط٥، مصر: مكتبة النهضة, (ص١١٦)

- **أما لفظ النّقد في القانون** فيستعمل كمصطلح يعبر به عن حق من حقـوق الأفـراد فـي المجتمع وهو حق التعبير عن أفكارهم وإبداء آرائهم, فيستند هذا الحق إلى ما للناس من حريـة رأي وتعبير، ويطلق عليه حق النقد.

قال النجار: يمثل حق النّقد صورة تقدمية من حرية الرأي تتسم بالعلم والمعرفة والرغبة في التحضر والتقدم, بل إن حق النّقد هو جوهر حرية الرأي, وذلك أن حق النّقد ليس إلاّ رأيـاً يبديه الناقد حول أمر متصل بالمصلحة العامة. لأن حرية الرأي أو التّعبير ذات أهمية مزدوجة, فهي بالنسبة للإنسان وسيلته للتّعبير عن ذاته, وهي بالنسبة للمجتمع وسيلة إصلاح وتقدم, وحـق النقد هو هذا الشقّ الأخير[١].

وقد اعترف القانون صراحة بأهمية النقد كوسيلة للبناء, حيث جاء في بعض مواده: (النقد الذاتي والنقد البناء ضمان لسلامة البناء الوطني)[٢].

وذكر بعض الكتاب القانونيين تعريفات عامة للنقد منها:

- بحث أمر أو مناقشة عمل للحكم علي قيمته وتمييز حسناته وسيئاته[٣].
- حكم على الأشياء والأشخاص بقصد السعي بها نحو الأفضل[٤].
- إبداء الرأي في أحد التصرفات دون المساس مباشرة بشخص صاحبها[٥].
- وزن أمر من الأمور أو عمل من الأعمال وزناً نزيهاً يظهر محاسنه كما يبين مساويه[٦].

والنّقد بهذه التّحديدات الواردة في التعريفات السابقة, يختلف عن القدح أو الهجاء, فليست الغايـة من النقد التشويه أو التحقير إشباعاً للغيرة أو إطفاء للحقد, بل تحري الصواب بـدافع المصـلحة العامة.. والنقد على هذا النحو لا جدال في فائدته لا للمصلحة العامة فحسب, بل لشـخص مـن وجه إليه النقد أيضاً, إذ يكشف له عن عيوبه وينبهه إلى مواطن الضعف والـنقص فـي عملـه فيراجع نفسه.. لهذا كله كان النقد البرئ حرياً بكل تقدير وتشجيع, وكان طبيعياً أن يقال بأن حق النّقد حق مشروع[٧].

---

(١) النجار/ عماد عبد الحميد, (١٩٧٧م)، **النقد المباح دراسة مقارنة**, القاهرة: دار النهضة العربية. (ص٦٥)

(٢) خليل/ عدلي, (١٩٩٢م)، **القذف والسب وتحريك الدعوى الجنائية عنهـا**, ط١، القـاهرة: دار النهضـة العربيـة. (ص١٥٥)

(٣) أمين/ أحمد، (١٩٢٤م)، **شرح قانون العقوبات الأهلي**, ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية. (ص٥٤١)

(٤) النجار, النقد المباح(ص٧٠)

(٥) سرور/ أحمد فتحي, (١٩٦٨م)، **الوسيط في شرح قانون العقوبات**, القاهرة: دار النهضة العربية. (ص٩٥١)

(٦) القللي/ محمد مصطفى, (١٩٤٨م)، **في المسئولية الجنائية**, القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول. (ص٢٩٣)

(٧) المصدر السابق(ص٢٣٩)

وحتى يبقى هذا الحق مشروعاً فقد نظّمت القوانين له شروطاً شأنه في ذلك شأن بقية الحقوق، إذ لا بد من توفرها ليتمكن الفرد من استعمال هذا الحقّ. ولذلك كان النّقـد فـي القـانون يحمـل صورتين أحدهما مباحة والأخرى غير مباحة.

وقد جاء بنص القانون تعريف **النقد المباح** بأنّه:

إبداء الرأي في أمر أو عمل دون المساس بشخص صاحب الأمر أو العمل بغية التشهير به أو الحطّ من كرامته, فإذا تجاوز النقد هذا الحد وجب العقاب عليه باعتباره مكوناً لجريمة سب أو إهانة أو قذف حسب الأحوال(١).

وجاء في القانون كذلك: النّقد المباح هو الذي يقصر فيه النّاقد نظره على أعمـال مـن ينقده ويبحث فيها بتبصر وتعقل دون مساس بشخصه أو بكرامته(٢)...

فحق النقد مباح مادام النقد منصباً على العمل ومناقشته.. من حيث الصـواب والخطـأ ومن حيث المحاسن والمساوئ, وما دام النقد في هذا النطاق فلا شأن للقانون الجنائي به, ولكـن إذا تعدى النقد إلى شرف الشخص أو اعتباره الذي يحميه القانوني الجنائي من حيث كرامته ومن حيث الصفات التي يجب عليه ألاّ يتجرد منها, إذا تعدى النقد إلى هذا النطاق انقلب إلـى قـذف ووقع تحت طائلة العقاب, فحق النقد لا يبيح ارتكاب القذف أو غيره من جرائم القول والكتابة(٣).

أما شروط النّقد المباح فتتلخَص في الآتي(٤):

١. صحة الواقعة أو الاعتقاد بصحتها.

فعلى الناقد أن يعرض وقائع صحيحة في نطاقها الصحيح وبصفاتها وظروفها الحقيقية.

٢. أن تكون الواقعة ذات أهمية اجتماعية.

فينبغي للناقد أن يتناول واقعة تعني المجتمع ويهمه أن يتعرفها ويتعرفَ قيمتها.

٣. صياغة الواقعة في أسلوب ملائم.

فلا يبيح حق النقد استعمال عبارات أقسى من القدر المحدود الذي يقتضيه عرض الواقعة.

٤. توافر حسن النية.

ولإكتمال شرط إباحة النقد ينبغي أن يكون الناقد سليم النية.

---

(١) المرصفاوي/ حسن صادق, **المرصفاوي في قانون العقوبات تشريعاً وقضـاء فـي مائـة عـام**, الإسـكندرية: دار المعارف. (ص١٠٠٣)

(٢) المصدر السابق(ص١٠٠٤)

(٣) القللي, في المسؤولية الجنائية(ص٢٩٧)

(٤) عدلي خليل, القذف والسب..(ص١٥٧) وما بعدها. وينظر: أحمد سرور، الوسـيط فـي شـرح قـانون العقوبـات، (ص٥٩٢،٥٩٣)، والنجار, النقد المباح, الصفحات: (١٦٦،١٦٧،١٧٥،١٩٨،٢١٥،٢٢٣)

- **والنّقد في العلوم التربوية والنفسية** يعد إحدى مهارات تقييم المعلومـات. ويعنـي القيـام بفحص دقيق للموضوع أو القضية بهدف تحديد مواطن القوة والضـعف مـن خـلال التحليـل وإصدار الأحكام بالإستناد إلى معايير مقبولة تُتّخذ أساساً للنقد(١).

- **وفي الفلسفة للنقد والانتقاد عدة معان**(٢).

الأول: الانتقاد بالمعنى العام وهو النظر في قيمة الشيء.

الثاني: الانتقاد بالمعنى الخاص وهو إظهار عيوب الشيء دون محاسنه.

وهو انتقاد سلبي, وعكسه الانتقاد الإيجابي.

الثالث: ويطلق لفظ الانتقاد عند بعض الفلاسفة القدماء على أحد أقسام المنطق، أو علـى القسـم الباحث في الحكم أو القضية, ولكن الفلاسفة المحدثين أبطلوا هذا الاستعمال.

والفكر الانتقادي: هو الفكر الذي لا يقبل أي قول من دون أن يمحصه وينظر في قيمته فإذا نظر في مضمون القول كان انتقاده داخلياً, وإذا نظر في أصله ومنشئه كان انتقاده خارجياً.

- **وأخيراً عرف الكاتب الغربي هاري شو النقد (Criticism) في معجمه** بأنه:-

تحليل وتقييم بشكل متعمق ومن كافة الأوجـه. وهـو مشـتق مـن اللفـظ اليونـاني (Kritikos) ويعني: الحكم والقاضي. وقال: النقد عملية يتم من خلالها تقدير الأمور وتقييمهـا, ومن ثم الحكم عليها, -وبخلاف بعض الآراء- لا يتم التعامل في النقد مع الأخطاء فقط، فالنقـد الموضوعي هو الذي يأتي على ذكر الجوانب الحسنة إلى جانب السيئة, فيتعامل على حد سـواء مع الفضائل والخطايا، كما أنّه لا يوضع للمديح أو الإدانة، ولكنه يقيم جوانب الخطأ والصواب، ومن ثم يصدر حكماً(٣).

بالنظر في الاستعمالات الاصطلاحية السابقة للفظ النقد, نجد أنها تتشابه إلى حد كبير في الجوهر والمضمون، كما أنها تنسجم مع المعاني اللغوية للفظ النقد، إذ تقرر سابقا أن لفظ النقـد يعود في أصله إلى ثلاث معان رئيسة يرتبط بعضها ببعض، وهي: الإعطاء والتناول، والكشف والتمييز، وأخيرا الإبراز والبروز، والنقد فـي التعريفـات الاصـطلاحية بمثابـة أداة فحـص وتمحيص وتمييز، تتناول أمرا ما ماديا أم معنويا، للكشف عن حاله، من خلال النظر في جوانبه نَظرة تحيط بالجيد منه والرديء, والقوي والضعيف, والصحيح والباطل, والسليم والمختلّ؛ ثم إن

---

(١) شحاته/ حسن **و** النجار/ زينب, (٢٠٠٣م)، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**, ط١، (مراجعة: حامد عمار), الدار المصرية اللبنانية. (ص٣١٥)

(٢) جميل صليبا, المعجم الفلسفي(ص١٤٩،١٥٠)

(٣) Harry Shaw, **Dictionary of Literary Terms**, Mc GRAW–HILL BOOK COMPANY, U.S.A., ١٩٧٢, (Page ١٠١).

الناقد يتناول هذه الجوانب بالتحليل الذي يتسم بالتعمق والتعقل والتبصر, وذلك من خلال أساليب ووسائل تختلف باختلاف العلوم والفنون, فلكل علم وفن معاييره وأسسه التي يتفرد بهـا, ولكـل أدواته الخاصة بالكشف والفحص، وبهذه العملية التحليلية تتضح قيمة الشيء ودرجتـه وتبـرز, ويصبح الحكم عليها ممكناً. ولا يعد هذا الحكم مدحاً ولا إدانة كما ذكر (هاري شو) هـذا مـن ناحية, ومن ناحية أخرى فليس الحكم هو الخطوة الأخيرة في هذه العملية وبمعنى آخر ليس هـو هدفها وغايتها, وإن كان يمثل مرحلة مهمة فيها, وإنما الغاية هي الوصول للحقيقة ومن ثم دعمها والتأكيد عليها, وإظهار الخطأ والزيف بهدف تركه أو تقويمه مادام ذلك ممكنًا، وهذا الجزء هـو الذي يجعل من عملية النقد وسيلة من وسائل الإصلاح والتنمية والبناء كما جاء في القانون.

والحقيقة أن ممارسة هذه العملية ليس بالأمر الهين ولا اليسير كما قد يظن البعض, فهي تتطلب ناقداً مؤهلاً فكريا وأخلاقيا, وحتى التأهيل لا تكتمل به علمية النقد إذ لا بد مـن وجـود قواعد وضوابط تنظم عملية النقد وعمل الناقد, لكي لا تخرج عن إطار أسبابها ودوافعها، فإذا ما توفر الناقد المؤهل وروعيت الضوابط والقواعد, فإن النقد يكون قد وظف بشكل يحقـق الفائـدة للبشرية.

بناءا على ما سبق يمكن القول بأن الأصل في عملية النقد أن تتم على الصـورة التـي رسمتها الاستعمالات الاصطلاحية السابقة, التي قررت لها صفات ومضامين تجعل منها وسـيلة للتقدم والبناء، ويسمي الفلاسفة هذه الصورة من النقد بالنقد الإيجابي[1]، فإذا ما اختلّ بعض تلك المضامين شذ النقد عن أصله, كأن يقتصر على جانب إبراز عيوب الشيء دون محاسنه لأسباب لا تنسجم مع أهداف النقد ودوافعه في الأصل, وهو ما أشار إليه القانون عند تعريفه للنقد المباح بالقذف والسب والإهانة, وغيرها، وهو ما يسمى عند الفلاسفة بالنقد السلبي[2].

ويمكن **تعريف النقد من حيث آليته وعمله** بأنه:

عملية فكرية تحليلية تتناول أمرا بالكشف والإبراز، يعَبر فيها عـن قيمتـه سلبا أو إيجابا، وبيان الحكم عليه.

ثم للنقد في ممارسات البشر صورتين، الأولى: **إيجابية، يفترض أن يكون أثرها البنـاء وتحقيق الإصلاح**، والأخرى: **سلبية شأنها أن تؤدي إلى الهدم.**

المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة بمصطلح النقد:

---

(١) ينظر المعجم الفلسفي(ص١٥٠)

(٢) المصدر السابق.

بعد بيان مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح لا بد من التعرض لبعض المصطلحات ذات الصلة به، فإن هذه المصطلحات التي ورد بعضها في العلم الشرعي أو استُفيد منـه, كمـا ورد بعضها الآخر في غيره من العلوم والمجالات تقع في دائرة النقد أحيانًا, وتتقاطع معـه أحيانـا أخرى, فتشكّل عملية النقد جزءا ظاهرا أو خفيا في كل منها.

ولما كان النقد عملية يتم فيها الكشف عن حال الشيء والتمييـز بـين جيـده ورديئـهِ, وإبرازه وتناوله بالحكم والتقييم, فقد كان بمثابة أداة استُعملت في العديد من المجالات - كما ذُكر سابقاً - هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى فإن هذه الأداة أو هذه العملية أخذت شـكلاً إصـلاحياً بنّاءا في بعض تلك المصطلحات أو المجالات، وإفساديا هدميا في البعض الآخر.

وعليه يمكن تقسيم المصطلحات ذات الصلة بمفهوم النقد إلى قسمين:

الأول: مصطلحات ذات صلة بنائية وهي:

١. محاسبة النفس.

٢. الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

٣. النّصيحة.

٤. التوجيه والإرشاد.

٥. التقويم وتعديل السلوك.

الثاني: مصطلحات ذات صلة هَدمية وهي:

١. الغِيبة (ومن جنسها الهمز واللّمز).

٢. التحقير والازدراء.

٣. التعيير.

٤. السخرية والاستهزاء.

٥. القَذف والسب والإهانة.

٦. الذم والقدح.

وهناك مصطلحات قد تبدو من النظرة الأولى هدمية, وهي التوبيخ والزجـر والعتـاب واللوم، إلاّ أنّها تُعد أساليب تربوية[١], وتمثل صورا من صور العقاب النفسـي أو المعنـوي[٢], التي يتم اتخاذها كإجراءات للحد من السلوكات غير المرغوب فيها.

وقد أقرت الشريعة الإسلامية أنواعا عديدة من العقوبات البدنية والنفسية لا يتسع المقـام هنا لذكرها والتفصيل فيها, وإنما ستأتي الإشارة إلى جملةٍ من العقوبات النفسية عنـد عـرض بعض الأحاديث النبوية الوارد فيها موضوع البحث والدراسة, والتي تضمنت صورا مـن تلـك العقوبات, وتدل على ممارسة النبي صلى ا عليه وسلم لها على سبيل التأديب وتغيير السلوك.

ويعرف **التوبيخ** بأنه: تعبير عن عدم الموافقة على سلوك الآخرين, وقد يكـون لفظيـاً كقـول اسكت, أو غير لفظي من خلال الإيماءات المختلفة كتعبيرات الوجه مثلاً[٣].

أما **الزجر**: فكلمة تدل على الانتهار والنهي والمنع[٤].

واللّوم هو: تنبيه الفاعل على موقع الضرر في فعله وتهجين طريقته فيه، وقد يكون اللوم علـى الفعل الحسن كاللوم على السخاء[٥].

ويختلف اللوم عن العتاب إذ **العتاب** هو: الخطاب على تضييع حقوق المودة والصـداقة في الإخلال بالزيارة وترك المعونة وما يشاكل ذلك, ولا يكون العتاب إلا ممن له مـواتّ يمـتّ بها[٦]. ويمتّ بكذا: إذا توصل بقرابة وما أشبهها[٧].

فليست هذه المصطلحات داخلة في جملة المصطلحات الهدمية المذكورة في هذه الدراسة.

---

(١) راجع: الحايك/ عطا ا بن قسيم, (٢٠٠١م)، **قبسات من التأديب التربوي عند المسلمين**, ط١، الرياض: دار هجر.

(٢) راجع: القضاة/ ريم فرحان, **العقاب في التربية الإسلامية**, رسالة ماجستير, جامعـة اليرمـوك, (الأردن), (١٩٩٢م), (ص١٩-٢٢).

- نزال/ مصطفى أحمد صادق, **العقوبة البدنية في المدارس من منظور إسلامي**, رسالة ماجستير, الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩، (ص١٣–١٤).

- الزبون/ أحمد محمد عقلة, **الثواب والعقاب في الفكر التربوي الإسلامي خلال العصر العباسي**, رسـالة ماجسـتير, الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩م. (ص٤٢–٤٥)

(٣) المصدر السابق(ص١٧٢)

(٤) انظر: ابن فارس, معجم مقاييس اللغة(ج٣/ص٤٧)، والفيروز آبادي, القاموس المحيط(ص٧٣١)

(٥) أبو هلال العسكري/ الحسن بن عبد ا (ت٣٩٥هـ)، **الفروق في اللغة**, ط١، (تحقيق: جمال عبد الغنـي مـدغمش)، مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٢م). (ص٦٥)

(٦) المرجع السابق(ص٦٥)

(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج٥/ص٢٦٨)

الفرع الأول: مصطلحات ذات صلة بنائية:

أولا: محاسبة النّفس:

محاسبة النّفس مصطلح لم يقع ذكره بهذه التسمية صريحاً في الشرع, وإنما استُفيد مـن جملة النصوص الواردة فيه حول ضرورة محاسبة المرء لنفسه ومراجعتها. منها قوله تعـالى: **يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَلْتَنظُر نَفْس ما قَدمَتْ لِغَدٍ** الحشر آية:١٨. وقوله عـز وجـلّ: **بَل الْإِنسَان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** القيامة آية:١٤. فقوله: **وَلْتَنظُر نَفْس** أي لتتأمل كل نفس فيما قدمته للآخرة[١]. وقوله: **عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** أي مبصر شديد المراقبة. فعدي بحرف علـى لتضمينه معنى المراقبة[٢].

وقال تعالى: **لا أُقْسِم بِيَومِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِم بِالنفْس اللوَامَةِ** القيامة آية:٢،١.

قال ابن عاشور: (أدخل حرف النفي على فعل أقسم لقصد المبالغة في تحقيـق حرمـة المقْسِمِ به.. فيقول: لا أقسم به، أي ولا أقسم بأعز منه عندي، وذلك كناية عـن تأكيـد القَسـم. ووصف اللوامة مبالغة لأنها تُكثر لوم صاحبها على التقصير في الطاعة والعبادة. وهذا اللوم هو المعبر عنه في الاصطلاح بالمحاسبة، ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي.. ومناسبة القسـم بها مع يوم القيامة أنها النفوس ذات الفوز في ذلك اليوم)[٣]

والدعوة في هذه الآيات العظيمة صريحة للمؤمن لإخضاع كل ما يصدر عنه من قـول أو فعل للفحص والتدقيق؛ للكشف عن مدى مطابقته مع ما جاء به الشرع. وملاءمته لما تُقـرره الشريعة من مبادئ حول الحياة والإنسان.

وفي السنة عن شَدادِ بن أَوسٍ -رضي ا عنه- عن النِبي صلى الله علَيهِ وسلم قَالَ: **(الْكَيس مَن دَانَ نَفْسَه وَعَمِلَ لِمَا بَعدَ الْموتِ، وَالْعَاجِز مَن أَتْبَعَ نَفْسَه هَوَاهَا وَتَمَنى عَلَى اللهِ)**[٤]. قال الترمذي: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة.

---

(١) ابن عاشور/ محمد الطاهر, **التحرير والتنوير**, الدار التونسية، تونس (١٩٨٤م), (ج٢٨/ص١١٠).

(٢) المرجع السابق(ج٢٩/ص٣٤٧).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج٢٩/ص٣٣٨-٣٣٩)

(٤) رواه الترمذي/ محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ), **سنن الترمذي**, ط١، (تخريج: صـدقي جميـل العطـار), دار الفكـر, بيروت, (٢٠٠٢م), في كتاب: صفة القيامة, باب(ص٧١١/ح٢٤٦٧), وابن ماجه في الزهـد, بـاب: ذكـر المـوت والاستعداد له(ص٩٦٩/ح٤٢٦٠), وأحمد في المسـند(ج٢٨/ص٣٥٠/ح١٧١٢٣), والحـاكم/ محمـد بـن عبـد ا

وروي موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (**حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا, وزِنوا أنفسكم قبل أن توزَنوا, فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تُحاسِبوا أنفسكم اليوم، وتَزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تُعرَضونَ لا تخفى منكم خافية**)(١).

فمحاسبة النفس في الشرع هي مساءلة الفرد نفسه عما قام به من عمل حتى تطمئن النفس أن ما قامت به يتفق مع أوامر الله تعالى وأنه خير, وما لم تُقدِم عليه من عمل كان من الأمور المنهي عنها وهي شر(٢).

(ت١٤٥هـ), **المستدرك على الصحيحين في الحديث**, مطابع النصر الحديثة، الرياض, (ج١/ص٥٧), والطبراني/ سليمان بن أحمد(ت٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، ط٢، (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، (٩٨٣م)، (ج٧/ص٢٨٤/ح٧١٤٣)، جميعهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد ابن أوس رضي الله عنه به.

ورواه الطبراني في **مسند الشّاميين**, ط١، (تحقيق: حمدي السلفي), مؤسسة الرسالة, (١٩٩٦م)، (ج١/ص٢٦٦/ح٤٦٣) وفي المعجم الكبير(ج٧/ص٢٨١/ح٧١٤١) من طريق إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي عن أبيه عن ثور بن يزيد وغالب بن عبيد الله عن مكحول عن ابن غنم عن شداد بن أوس به. **وكلا الطريقين ضعيف** فأبو بكر بن أبي مريم, وقيل اسمه بكير وقيل عبد السلام، ضعفه ابن حجر في **تقريب التهذيب**، ط٣، (تحقيق: خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت، (٢٠٠١م)، (ج٢/ص٤٠٥)، قال: كان قد سرق بيته فاختلط. وأما إبراهيم بن عمرو السكسكي، ذكره الدارقطني/ علي بن عمر(ت٣٨٥هـ)، **الضعفاء والمتروكين**، ط١، (تحقيق: صبحي البدري السامرائي)، مؤسسة الرسالة، (١٩٨٤م)، (ص٤٧)، قال: متروك. وقال ابن حبان/ محمد بن أحمد(ت٣٥٤هـ) **المجروحين من الرواة**، ط١، (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي)، دار الصميعي، الرياض، (٢٠٠م)، (ج١/ص١٠٩): يروي عن أبيه الأشياء الموضوعة التي لا يعرف من حديث أبيه, وأبوه أيضاً لا شيء. **فالحديث بإسنادَيه ضعيف، وحسنه الترمذي بمجموع طرقه**, وصححه الحاكم وتعقّبه الذهبي قال: (**لا والله أبو بكر واهٍ**), وضعفه الألباني/ محمد ناصر الدين, **ضعيف سنن الترمذي**, ط١، (تعليق: زهير الشاويش), المكتب الإسلامي, (١٩٩١م). (ص٢٧٩/ح٤٣٦).

والحديث وإن كانت طرقه ضعيفة إلا أن معناه صحيح، تعضده الآيات الكريمة الواردة في الحث على محاسبة النفس.

(١) **(موقوف)**، رواه ابن أبي الدنيا/ عبد الله بن محمد(ت٢٨١هـ), **محاسبة النفس والإزراء عليها**, ط١، (تحقيق: مصطفى بن علي بن عوض), دار الكتب العلمية، بيروت, (١٩٨٦م)، (ص٢٢). عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان بن عينيه عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورواه الترمذي مختصراً بلفظ يروى عن عمر رضي الله عنه،(ص٧١١) السنن. **ورجاله ثقات** غير جعفر بن برقان, قال عنه ابن معين: كان رجل صدق, وليس هو في الزهري بشيء. انظر: التاريخ(ج٢/ص٨٤), وقال الإمام أحمد: إذا حدث عن غير الزهري فلا بأس, وهو في الزهري يخطئ. انظر: **العلل ومعرفة الرجال**, ط٢، (تحقيق: وصي الله محمد بن عباس)، دار الخاني، الرياض، (٢٠٠١م)، (ج٣/ص١٠٣). وذكره ابن حجر في التقريب(ج١/ص١٣٣)، قال: صدوقٌ يهم في حديث الزهري. **فالأثر بهذا الإسناد حسن**.

(٢) شحاته/ حسين حسين, (١٩٩٩م)، **محاسبة النفس**, ط١، مصر: دار البشير للثقافة. (ص٩)

وهو مصطلح يتصل في معناه مع ما يعرف بالنقد الذاتي أو نقد الـذات، الـذي شـاع استعماله في وقتنا الحاضر, ويمثل نوعا مهما من أنواع النقد سيأتي ذكره مفصلاً في موضـعه بمشيئة ا . إلا أن مصطلح محاسبة النفس يعني عند استعماله المحاسبة الموجهة من الفرد لذاته الفردية الخاصة, بينما مصطلح النقد الذاتي فبالإضافة لما يعنيه من محاسبة الفرد لذاته الخاصة, يستعمل كذلك في نقد الذات الجمعية - نسبة للجماعة, أي جماعة -، فقد شاع استعمال مصطلح النقد الذاتي في التعبير عن عمليات التقويم والإصلاح الداخلي الـذي تمارسـه جماعـة مـا أو مؤسسة على ذاتها الجمعية لتقويم أدائها ومدى ملاءمته مع أهدافها، باعتبارهـا جسـداً واحـداً, يشترك في مصير واحد.

والعمليتان -محاسبة النفس ونقد الذات- تتمان بنفس الآلية التي تتضمن قيام الفـرد من تلقاء ذاته بمناقشة نفسه ومساءلتها حول ما صدر عنها، للكشف عن صلاحه أو فسـاده, فإذا ما وَجَد انحرافا أخَذَ بتقويمه وإصلاحه.

ثانيا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل البناء التـي قررتهـا الشـريعة الإسلامية لمتابعة أفرادها ومجتمعاتها وحمايتهم من الانحراف وإصلاحهم حين يقع منهم الفساد. وهو أول أمر يصل عملية النقد بعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, **فهما مشتركان فـي الغاية والهدف, الإصلاح والبناء.**

ويتبعه **اشتراكهما في الضوابط والقواعد التي تُنظّم وتحكم عمليات البناء** وصورها عموما, كما تُنظّم أساليب التعامل بين الناس في تلك العمليات.

ويعد من ناحية أخرى دليلاً على إرساء الشريعة لمبادئ حرية التعبير وإبـداء الـرأي، شأنه في ذلك شأن الشورى والمناصحة وغيرها من النظُم التي أقرتها الشريعة، والتـي تعطـي الفرد حقه في التعبير عن نفسه ورأيه، وذلك ضمن أطر وضوابط تقررها الشريعة، وتحذر من الخروج عليها، وهو أمر آخر يصل بينهما, **فكلا منهما يمثل صورة من صور حريـة التعبيـر وإبداء الرأي**.

ومن هنا أيضاً يمكن القول بأن مصدر الإباحة في النقد يرجع إلى الشريعة الإسـلامية, ومستنده كما تبين ما تقره الشريعة من خلال نُظمها من حرية رأي وتعبير، وحـق للفـرد فـي إصلاح وتقويم الخطأ أو المنكر الصادر عن غيره، فترجع إباحة النقد إلى جملة هذه النظم، **وهو**

أمر ثالث ومهم يصل النقد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ يعد مصدرا مـن مصـادر إباحة النقد.

قال د.محمد شامة: (إن نقد المسيء ومحاولة إبعاده عن السلوك المعوج فرض على كل مسلم بموجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[١].

وقال صاحب النقد المباح: (إن مصدر الإباحة في النّقد يرجع إلى الشّريعة الإسلامية، باعتبار أن الشّريعة الإسلامية تأمر المسلم بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وما دام هذا هـو واجـب المسلم وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[٢].

وأمر أخير يصل بينهما وهو اشتراكهما في آلية العمل، فكل منهما يتناول أمراً أو عملاً بالكشف والتمييز وبيان أوجه الخطأ فيه من الصواب. إلا أن الأمر بالمعروف قد لا يحتاج لأن يرتكز على تناول الخطأ, كما يرتكز كل من النهي عن المنكر والنّقد عليه, إذ يعد تناول الخطـأ والكشف عنه مرتكزاً أساسياً ومهما فيهما.

أما الفارق بينهما فهو في المدى وليس في الجوهر – كما ذكر النّجار-، قال: (أسلوب النهي عن المنكر يبدأ من التعريف بالأمر والنهي والوعظ والتخويف با عز وجل، ثم السـب والمخاشنة في القول، والتعبير باليد والتهديد والتخويف ثم الضرب باليد والأرجل، ثـم إشـهار السلاح وجمع الأعوان لتحقيق غرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما النقد فهو مجرد التعليق أو الرأي والوعظ والتخويف با تعالى بما يقتضي من مخاشنة في القول، يقتضيها المقام تحقيقا للصالح العام المتمثل في أغراض الشريعة)[٣].

ثالثا: النّصيحة:

تتصل عملية النّقد بعملية المناصحة بنفس الدرجة التي تتصل فيهـا بعمليـة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأداء النصح عملية في سلسلة عمليات إصلاحية يـدعو الـدين الإسلامي لترسيخها في قلب المجتمعات الإسلامية ضمانًا لسلامتها, وإصلاحا لأفرادهـا، كمـا تنظّمها قواعد وضوابط لا تختلف عن تلك القواعد والضوابط التي تنظم غيرها مـن عمليـات البناء والإصلاح، وتُرسي النّصيحة كذلك حق الفرد في التعبير وإبداء الرأي, وتؤكد على حريته

---

(١) شامة/ محمد, **الإسلام دين ودنيا**, أبوللو للتوزيع, د.ط. (ص٣١٧)

(٢) عبد الحميد النجار, النقد المباح(ص٨٠)

(٣) المصدر السابق(ص٤٤٤)

في ذلك, فتكون مصدرا ثانيا من مصادر إباحة النقد في الشريعة الإسلامية، كما يتصلان بآليـة العمل كشفًا وتمييزا.

ويتميز لفظ النصيحة عن غيره بما يلقيه في النفس من إيحاءات ودلالات تدعو ضمنيا كل من يتصدر للقيام بهذه المهمة إلى الصدق والإخلاص, في النية والمحبة وإرادة الخير, بحيث تتم المهمة دونما شائبة تشوبها، فهو بذلك لفظ يعلن عن نفسه ويضع ضابطه الذي إن تخاف خرجت العملية عن دائرتها ولم تؤد مهمتها.

قال ابن الأثير: النّصيحة كلمة يعبر بها عن جملةٍ هي: إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها[(١)].

وعن ابن رجب الحنبلي قال: (النصح يقترن به الستر والسرية، لأن الناصح لـيس لـه غرض في إشاعة عيوب من ينصح له أو الانتقاص منه وتبيين جهله وقصوره، وإنما غرضـه إزالة المفسدة التي وقع فيها واجتنابه لها)[(٢)].

وعرفها التهانوي في الشرع بأنها: إخلاص الـرأي مـن الغـشّ للمنصـوح وإيثـار مصلحته[(٣)].

وذكر الميداني بأنها: المقالة الهادية إلى خير المنصوح, الخالية الخالصة من دخل وغش له[(٤)]. كما جاء على لسان سلمان العودة قوله: (النصيحة تطلق على ما يكـون دافعـه المحبـة المحضة والشفقة على المسلم, إذ **النصيحة توصيف أو تسمية للون خاص من ألوان النقد وهو النقد المبني على الإخلاص** فهذا يسمى نصيحة)[(٥)].

(١) ابن الأثير/المبارك بن محمد(٦٠٦هـ), **النّهاية في غريب الحديث والأثر**، ط١، (تحقيق: خليل مـأمون شـيحا)، دار المعرفة، بيروت، (٢٠٠٢م)، (ج٢/ص٧٤٨)

(٢) ابن رجب الحنبلي/ عبد الرحمن بن أحمد(ت٧٩٥هـ), **الفرق بين النّصيحة والتّعيير**, ط٢، (تحقيق: نجم عبد الرحمن خاف), منشورات دار الكتب القيمة, (١٩٨٢م). (ص٢٥،٢٩).

(٣) التهانوي/ محمد علي(١١٥٨هـ), **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**, ط١، (تحقيق: علي دحروج), مكتبـة لبنـان، بيروت, (١٩٩٦م). (ج٢/ص١٧٠١)

(٤) الميداني/ عبد الرحمن حسن حبنكه، (١٩٩٦م)، **فقه الدعوة إلى ا وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**, دار القلم, دمشق. (ج١/ص١٨)

(٥) العودة/ سلمان، **http://www.awalethnain.com/view_archive.asp?archive_no=٢١**، لماذا نخاف النقد؟، بتاريخ ١٤٢٥/٧/٧هـ.

رابعا: التّوجيه والإرشاد:

التوجيه والإرشاد مصطلحان معروفان عند أهل الاختصاص في العلوم التربوية والنفسية, يعبر بهما عن عمليات تتضمن القيام بإجراءات وخطوات محددة ومتمايزة, تهدف لمساعدة الأفراد والجماعات على مواجهة مشكلاتهم وحلها والارتقاء بمستوياتهم.

ويعرف **التوجيه** بأنه: عملية منظمة تهدف إلى مساعدة الأفراد على فهم ذواتهم وعالمهم الذي يعيشون فيه(١).

فعملية التوجيه لديهم تتم وفق خطوات محددة, ترمي لتقديم خدمات وقائية وإنمائية وعلاجية, لمشكلات الأفراد على اختلاف مراحلهم العمرية, بهدف تمكين الفرد من التعرف على قدراته وإمكاناته الذاتية وتعرف بيئته كذلك, ثم التوصل إلى قرارات سليمة توائم ما بين الفرد ومحيطه.. فلا تُعد عملية التوجيه عندهم تقديم للنصيحة لمن يطلبها أو يحتاجها فحسب, وإنما هي عبارة عن برنامج من الخدمات المصممة خصيصاً لتحسين مستوى نمو الأفراد وتكيفهم(٢).

كما يعرف **الإرشاد** بأنه: تقديم المساعدة الفنية المتخصصة للفرد والجماعة من أجل زيادة فهم الذات وتطوير القدرة على حل المشكلات واتخاذ القرارات المناسبة للتكيف السليم(٣).

ويختلف الإرشاد عن التوجيه في أن الأول محور عملية الثاني, فالتوجيه عملية تتسم بالاتساع والشمولية, إذ هي مجموعة الخدمات التي تهدف إلى مساعدة الفرد، ويعد الإرشاد محور الخدمات التي تقدم للفرد في برنامج التوجيه، فالإرشاد جزء من عملية التوجيه وهو العملية الرئيسية في خدماته، إلا أنهما يلتقيان في الأهداف من حيث تحقيق الذات، والتوافق، وأكبر قدر من الصحة النفسية لدى الأفراد(٤).

على أن هذين المصطلحين – وإن كان لكل منهما تعريفه وإجراءاته الخاصة به في العلوم التربوية والنفسية - لكنهما عامين, يقعان في منظومة العمليات البنائية المعروفة في المجتمع بشكل عام ولا يتطلبان الاختصاص والتأهيل بقدر ما يتطلبان الخبرة والبصيرة.

---

(١) أبو طالب/ صابر سعدي, حمدي/ نزيه عبد القادر ومجموعة من الأساتذة, (١٩٩٨م)، **الإرشاد والتوجيه في مراحل العمر**, ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة. (ص٤٧)

(٢) المصدر السابق(ص٨)

(٣) المصدر السابق(ص٤٧). وانظر: معجم المصطلحات التربوية والنفسية(ص٣٣)

(٤) الإرشاد والتوجيه(ص١١)

صلة عمليات التّوجيه والإرشاد بعملية النّقد:

إن سلسلة الإجراءات المتبعة في كل من التوجيه والإرشاد تبدأ بعملية النقـد وتمـارس آليته, بتناول الموجه أو المرشد مشكلة الفرد أو حالته بالبحث والتفتيش والمناقشة للكشـف عـن الجوانب الإيجابية فيها فتكون منطلقاً في وضع الحلول, وعن الجوانب السلبية للعمل على إزالتها والتخلص منها واختيار البديل المناسب عنها.

فهي عمليات تعتمد على إبراز الجانبين على حد سواء, فتُبرز الإيجابي بـنفس الدرجـة التي تُبرز فيها السلبي ولا يمكن الوصول للهدف من هاتين العمليتين إلا بهـذه الشـمولية فـي الفحص والتدقيق، فهذا جانب من اتصال عملية النقد بهذين المصطلحين, وجانـب آخـر وهـو اشتراكهما في الهدف البنائي الإصلاحي, إذا ما مورست عملية النقد حسب أصولها ولـم يكـن الهدف من ممارستها إبراز جانب المعايب دون المحاسن بغية التشهير أو الطعن أو غيرها مـن الدوافع.

خامسا: التّقويم وتعديل السلوك:

يعرف **التقويم** عند أهل التربية وعلم النفس بأنه: عملية تقرير قيمة الشيء أو كميتـه. وهدفه الحكم الموضوعي على العمل المقوم صلاحاً أو فساداً, نجاحاً أو فشلاً, بتحليل المعلومات المتيسرة عنه وتفسيرها, في ضوء العوامل والظروف التي من شأنها أن تؤثر على العمل. وهي عملية وزن وقياس تتضح بها عوامل النجاح ودواعي الفشل. أي أن التقويم عملية جمع معلومات عن ظاهرة ما, وتصنيف هذه المعلومات أو البيانات وتحليلها وتفسيرها سواء أكانـت كميـة أم كيفية، ويهدف ذلك كله إلى إصدار الحكم أو القرار بقصد تحسين العمل, كمـا يتضـمن معنـى التحسين والتعديل والتطوير, الذي يعتمد على هذه الأحكام في ضوء الأهداف المنشودة[1].

وعملية التقويم كما هو واضح من التعريف تتصل بعملية النقد في جميـع مراحلهـا, ابتداء من تناول الشيء، مروراً بالنظر فيه تحليلاً وتفسيراً, وانتهاء بتقرير قيمتـه وإصـدار الحكم عليه، بهدف تعديل العمل وتحسينه وتطويره كما يذكر في التعريف.

(١) معجم المصطلحات التربوية والنفسية(ص١٣٠)

أما **تعديل السلوك** فهو اتجاه يهتم بتغيير السلوكات الإنسانية ذات الأهميـة الاجتماعيـة وفق منهجية علمية تشتمل على ضبط المتغيرات البيئية ذات العلاقة الوظيفية بالسلوك .

ويعرف بأنّه: عملية منظمة، تشتمل على تطبيق إجراءات علاجية معينة, الهدف منهـا ضبط المتغيرات المسؤولة عن السلوك, وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة المتمثلـة فـي تغييـر السلوكات ذات الأهمية الاجتماعية على النحو المرغوب فيه[١] .

وتتصل عملية تعديل السلوك بعملية النقد أكثر ما تتصل فـي هـدفها مـن معالجـة السلوكات الخاطئة لدى الأفراد, كما أنه لتعديل السلوك لا بد من إجراء عمليات فحص وتدقيق له لاختيار البديل المناسب عنه.

(١) الخطيب, تعديل السلوك(ص٣٤،١٤)

الفرع الثّاني: مصطلحات ذات صلة هدمية:

ذكر سابقا أن النقد صورة من صور حرية التعبير وإبداء الرأي, وأنه يستند في شرعيته وإباحته إلى نصوص الشريعة الواردة في الشّورى والأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر والمناصحة، والتي تُعطي الفرد الحق في التعبير عن ذاته وإبداء رأيه, والمسـاهمة فـي بنـاء المجتمع عن طريق تقويم أخطاء الغير وتصحيح مساراتهم، بل إن الشريعة تجعل من هذا الحق واجباً, على المرء القيام به كلما وجد انحرافا أو انتهاكا لحرمةٍ من حرمات ا تعالى.

وكما تعترف الشريعة للفرد بهذا الحق وتمنَحه إياه, تسلُبه منه إذا ما تجاوز حدوده وخرج عن قاعدته التي من أجلها شُرع وأُبيح، وقد أشارت النصوص القرآنية والنبوية إلى جملة من الصور التي يتجاوز البعض فيها حدود حقه في التعبير وإبداء الرأي, وتتابعت في النهي عنها وذمها والتحذيرمن ارتكابها, بل وترتيب العقوبات عليها، وهي:

أولا: الغِيبة:

قال تعالى: **وَلَا تَجَسسوا وَلَا يَغْتَب بعضكُم بَعضا أَيحِب أَحَدكُم أَن يَأْكُلَ لحمَ أَخِيهِ مَيتًـا فَكَرِهتُموه وَاتقُوا اللهَ إِن اللهَ تَواب رحِيم** الحجرات آية:١٢.

وفي السنة عن أَبِي هريرةَ رضي ا عنه أَن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسـلم قَـالَ: (**أَتَدرونَ مَا الْغِيبَةُ**) قَالُوا: الله ورسولُه أَعلَم. قَالَ: (ذِكْرك أَخَاك بِما يكْره)، قِيلَ: أَفَرأَيتَ إِن كَان فِي أَخِي ما أَقُولُ. قَالَ: (**إِن كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَد اغْتَبتَه وَإِن لم يَكُن فِيهِ فَقَد بَهَته**)[1].

---

(١) رواه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب, باب: تحريم الغيبة(ص١٢٨٨/ح٢٥٨٩), و أبو داود في الأدب, باب: في الغيبة(ص٩١٢/ح٤٨٧٤). والترمذي في البر والصلة، باب: ماجاء في الغيبة(ص٥٧٤/ح١٩٤١), وأحمد في المسـند (ج١٢/ص٥٦/ح٧١٤٦) والدارمي/ عبد ا بن عبد الرحمن(ت٢٥٥هـ), **سنن الدارمي**, ط١، (تحقيق: محمود أحمد عبد المحسن), دارالمعرفة، بيروت. في كتاب الرقاق, باب: ما جاء في الغيبة، (ص٨٩٢/ح٢٧١٦)، جمـيعهم مـن طريق العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبي هريرة رضي ا عنه. وهو عند أحمد من طريـق شـعبة بـن الحجاج عن العلاء بلفظ: (**هل تدرون ما الغِيابة؟**) وعند أبي داود والترمذي والدارمي من طريق عبـد العزيـز بـن محمد (**قيل يا رسول ا : ماالغيبة؟**).

وقوله بهته: أي كذبتَ عليه. يقال بهتَ صاحبه يبهتُ بهتاً وبهتاناً, والبهتان: الباطل الذي يتحير من بطلانه وشدة نُكر. يقال بهتَ يبهتُ: إذا تحير فهو مبهوت. انظر البغوي/ الحسين بن مسعود(ت٥١٦هـ)، **شرح السنة**، ط٢، (تحقيـق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٨٣م)، (ج١٢/ص١٣٩).

وعرفت الغيبة بأنها ذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب, من غير أن أحوج إليه[١].

والمراد بقول **من غير أن أحوَجَ إليه**: كأن يكون الشخص مصابا بالعمى فيذكر ما فيه من عيب من غير حاجة لذاك، كحاجة التعريف به، إن تعذر تعريفه بغير ذلك.

فتباح الغيبة في مواضع ذكرها ابن تيمية[٢] على وجه الإجمال, وفصل فيها النووي[٣].

فذكر ابن تيمية:

١.**التظلّم**: فله أن يذكر ظالمه بما فيه على وجه دفْع ظلمه واستيفاء حقه, أو على وجه القصاص من غير عدوان. ومثاله في السنة ما روتْه عائشة رضي الله عنها: أن هِنْداً أُم معاوِيةَ قالت لِرسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: **إِن أَبا سفْيانَ رَجلٌ شَحِيح** فَهلْ علَي جنَاح أَن آخُذَ مِن مالِهِ سِرا ؟ قالَ: (**خُذِي أَنْتِ وَبنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعروفِ**)[٤].

وفي رواية: (**رجلٌ مسيك**)[٥] أي شحيح بخيل[٦].

ويلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينْهها عن وصف زوجها بالشح والبخل, ولم يعد ذلك منها على سبيل الغيبة, ذلك أنها كانت في حالة تظلم وشكوى, للحصول على حقوقها وحقوق أبنائها، ولذلك تقبله النّبي صلى الله عليه وسلم, ووجهها للحلّ وهو الأخذ والإنفاق.

٢. **ما كان على وجه النصيحة للمسلين في دينهم ودنياهم**: فعن فاطمة بنت قيس لما استشارت النبي صلى الله عليه وسلم من تنكح, وقد خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم، فقال النبي

---

(١) الراغب الأصبهاني, مفردات ألفاظ القرآن(ص٦١٧)

(٢) **ثلاث رسائل في الغيبة, (ابن تيمية, السيوطي, الشّوكاني)**, ط١، (تحقيق: حماد سلامة), مكتبة المنار: الأردن, (١٩٨٨م). (ص٢٩،٣٠)

(٣) للاستزادة حول ما ذكره النووي مراجعة المنهاج(ص١٨٤٨)

(٤) رواه البخاري في كتاب: البيوع, باب: من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم(ص٤٤٩/ح٢٢١١), ومسلم في الأقضية, باب: قضية هند(ص٨٦٤/ح١٧١٤)، كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) رواه البخاري في كتاب: النفقات, باب: نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها, ونفقة الولد(ص١١٣٧/ح٥٣٥٩). ومسلم- بالتخريج السابق له- بلفظ **مسيك وممسِك**, وبه عند أبي داود, في كتاب الإجارة, باب: في الرجل يأخذ حقه من تحت يده, (ص٦٦٥/ح٣٥٣٣). ثلاثتهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٦) النووي, **المنهاج**(ص١٣٢١). وقال: اختلفوا في ضبطه- لفظ مسيك-على وجهين أحدهما بفتح الميم وتخفيف السين، والثاني بكسر الميم وتشديد السين, والثاني هو الأشهر في روايات المحدثين والأول أصح عن أهل العربية وهما جميعاً للمبالغة.

صلى ا عليم وسلم: (**أما أَبو جَهمٍ فَلا يَضَع عَصَاه عَن عَاتِقِهِ، وَأما معَاوِيَةُ فَصعلُوك لا مَـالَ له. انكِحِي أُسَامَةَ بنَ زَيدٍ،..**فَنَكَحتُه، فَجعلَ الله فِي ذَلِك خَيرا واغْتَبطْتُ بِهِ)[1].

فبين النّبي صلى ا عليه وسلّم لفاطمة أن أحدهما فقير قد يعجـز عـن أداء حقوقهـا، والآخر شديد قد يؤذيها بالضرب. وكان هذا نُصحاً لها وإن تضمن ذكر عيب الآخر[2].

٣. **ومنه ما كان حفاظاً للدين**, كما حفظ أهل الحديث أحاديث النبي صلى ا عليه وسلم ببيـان حال نقلتها من الرجال, وحفظه كذلك من أئمة البدع ببيان حـالهم وإن اقتضـى ذلـك ذكـرهم وتعيينهم[3].

ووضع ابن تيمية شرطا للمواضع المستثناة من التحريم في الغيبة, هـو بمثابـة ضـابط يحكمها وهو **حسن النية**, حيث قال: (**ثم القائل في ذلك بعلم لابد له من حسـن نيـة**, وليس هذا الباب مخالفاً لقوله (الغيبة ذكرك أخاك بما يكره) فإن الأخ هو المؤمن, وأخو المـؤمن إن كان صادقاً في إيمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذي يحبه ا ورسوله, وإن كـان فيـه شهادة عليه وعلى ذويه.. ومتى كره هذا الحق كان ناقصاً في إيمانه ينقص من أخوته بقدر مـا نقص من إيمانه, فلم يعتبر كراهته من الجهة التي نقص منها إيمانه, إذ كراهته لمـا يحبـه ا ورسوله, توجِب تقديم محبة ا ورسوله, كما قال تعالى: **وَاللّه وَرَسولُه أَحَـق أَن يرضـوه** التوبة آية:٦٢)[4].

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الطلاق, باب: المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها(ص٧٢٣/ح١٤٨٠)، وأبي داود في الطلاق, بـاب فـي: نفقة المبتوته(ص٤٢٧/ح٢٢٨٤)، والنسائي/ أحمد بن شعيب(٣٠٣هـ)، **سنن النسائي(المجتبى)**, ط١، دار ابن حزم، بيروت، (١٩٩٩م)، رواه في كتاب: النكاح, باب: إذا استشارت المرأة رجـلاً فـيمن يخطبهـا هـل يخبرهـا بمـا يعلم؟(ص٤٧٤/ح٣٢٤٧)، ومالك بن أنس(١٧٩هـ) في **الموطأ**, (تخريج: هاني الحاج), المكتبة التوفيقية. في كتـاب الطلاق, باب: ما جاء في نفقة المطلقة(ج٢/ص٨٥/ح٦٧), أربعتهم من طريق مالك عن عبد ا بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن فاطمة بنت قيس رضي ا عنها. ورواه الترمذي في كتـاب النكاح، باب: ما جاء أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه(ص٣٤٥/ح١١٣٨), عن محمود بن غَيلان عن سليمان بن داود عن شعبة بن الحجاج عن أبي بكر بن أبي الجهم عن فاطمة بنت قيس رضي ا عنها. وفيه:(**أما معاوية فرجل لا مال له, وأما أبو جَهم فرجل شديد على النساء**).

(٢) ابن تيمية, ثلاث رسائل في الغيبة(ص٣١)

(٣) المصدر السابق(ص٣٢)

(٤) المصدر السابق(ص٣٥)

ومن جنس الغيبة: **الهَمز واللمز**, فإن كليهما فيه عيب النّاس والطّعن عليهم كما في الغيبة[١]. قال تعالى: **وَلَا تَلْمِزوا أَنفُسَكُم** الحجرات آية:١١. أي ولا يلْمِز بعضكم بعضاً. وقال: **وَمِنْهم مَن يَلْمِزكَ فِي الصدَقَاتِ** التوبة آية:٥٨. أي يعيبك ويطعن عليك. وقال: **وَيلٌ لكُل همَزَةٍ لمَزَةٍ** الهمزة آية:١. والهمز هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع, أو يحثّه ويوسده على أمر قبيح: أي يغريه به. واللمز أجهر من الهمز. جاء في القرآن **وَقُل رب أعوذُ بِكَ مَن هَمَزَاتِ الشيَاطِين** المؤمنون آية:٩٧. ولم يقل لمزات لأن مكايدة الشيطان خفية[٢]. قال ابن عاشور: الهمز هو أن يعيب أحد أحداً بالإشارة بالعين أو بالشدق أو بالرأس بحضرته أو عند توليته. واللمز هو المواجهة بالعيب[٣].

ثانيا: التّحقير:

وهو مصطلح وارد في الشّرع كذلك, ويعبر عن صورة من صور تجاوز حدود حرية التّعبير وإبداء الرأي. ففي السنّة عن أَبِي هريرةَ رضي ا عنه عن رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم، قال: (الْمسلِم أَخُو الْمسلِمِ لَا يظْلِمه ولَا يخْذُلُه **وَلَا يَحقِره**.. بِحسبِ امرِئٍ مِن الشر أَن يحقِر أَخَاه الْمسلِم..)[٤]. قال النووي: لا يحقّره أي لا يحتَقِره. فلا ينكر عليه ولا يستصغِره ويستقلّه[٥]. والحقر في كل المعاني: الذّلة, والتحقير: التصغير, وحقّر الكلام: صغّره[٦].

---

(١)ابن تيمية, ثلاث رسائل في الغيبة(ص٢٤)

(٢) أبو هلال العسكري، الفروق في اللُغة(ص٦٦،٦٧)

(٣) ابن عاشور, التحرير والتنوير(ج٣/ص٥٣٧)

(٤) رواه مسلم في كتاب: البر والصلة والأدب, باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها, (ص١٢٧٨/ح٢٥٦٤), وابن ماجه في الزهد, باب: البغّي(ص٩٥٩/ح٤٢١٣)، وأحمد في المسند، (ج١٤/ص٣٨٨/ح٨٧٢٢), ثلاثتهم من طريق حدثنا داود ابن قيس, عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز عن أبي هريرة رضي ا عنه، ورواه أبو داود في كتاب: الأدب, باب: في الغيبة(ص٩١٤/ح٤٨٨٢), الترمذي في البر والصلة, باب: ماجاء في شفقة المسلم على المسلم(ص٥٧٢/ح١٩٤٣), و من طريق أسباط بن محمد, عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح ذكوان عن أبي هريرة رضي ا عنه بمثله. وعند الترمذي بلفظ **(يحتقر)**.

(٥) النووي, المنهاج(ص١٨٣٨)

(٦) ابن منظور, لسان العرب(ج٣/ص٢٥٤). والزبيدي, تاج العروس(ج١١/ص٧٠).

والاحتقار من علامات الكِبر. عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي ا عنه عن النبي صلى الله عليهِ وسلم، قالَ: (..الْكِبر بطَر الْحق وغَمطُ الناسِ)[١]، قال النووي: غمط الناس: احتقارهم[٢]. وتكمن خطورة التحقير أن فيه هجوما على الذات, وقد يكون التحقير من شأن الآخرين العلة الرئيسية وراء التقدير المتدني للذات, والمعاناة النفسية[٣]. وتعود المعاناة النفسية على من وقع عليه التحقير.

ومن جنس الاحتقار **الازدراء**، ويدل على احتقار الشي والتهاون به. يقال رزيت عليه: إذا عِبت عليه[٤].وجاء ذكره في روايةٍ من حديث عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي ا عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: (..إن الله جمِيلٌ يحِب الْجمالَ، ولَكِن الْكِبر من سفِه الْحق **وَازدَرَى الناسَ**)[٥]. وقال الخطابي في تفسير لفظ (غمط): معناه أزرى بالناس واستخفهم[٦].

ثالثًا: التّعيير:

عن أبي ذر رضي ا عنه قال: (إني سابَبتُ رجلًا **فعَيرتُه** بِأُمهِ)، فَقَالَ لِي النبي صلى الله عليهِ وسلم: (يا أَبا ذَر **أَعَيرتَه بِأُمهِ، إنكَ امرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيةٌ**..)[٧].

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الإيمان, باب: تحريم الكِبر وبيانه(ص٦٢/ح١٤٧)، والترمذي في البر والصلة, باب: ما جاء في الكِبر(ص٥٨٨/ح٢٠٠٦)، كلاهما من طريق يحيى بن حماد عن شعبة بن الحجاج عن أبان بن تَغْلِب عن فُضيل الفُقَيمي عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد ا بن مسعود رضي ا عنه. جاء من رواية الترمذي بلفظ **(وغَمَصَ الناس)**، قال النووي: غمص وغمط بمعنى واحد ومعناه احتقارهم. انظر المنهاج(ص١٨٨)

(٢) المنهاج(ص١٨٨)

(٣) كارتر/ جاي(طبيب نفساني), (٢٠٠٤م)، **أشخاص سيئو الطباع(Nasty People)** ، ط١، مترجم إلى العربية، السعودية: مكتبة جرير. المقدمة (ص م).

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة(ج٣/ص٥٢).

(٥) رواه أحمد في المسند(ج٦/ص٣٣٨/ح٣٧٨٩), والحاكم في المستدرك(ج١/ص٢٦)، كلاهما من طريق عبد العزيز بن مسلم القسملي عن سليمان الأعمش عن الحبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة عن عبد ا بن مسعود رضي ا عنه به. وهو عند مسلم والترمذي من حديث عبد ا بن مسعود بنحوه-انظر التخريج السابق-.

والحديث صححه الحاكم وقال لم يخرجاه واحتجا برواته، ووافقه الذهبي. **وإسناده ضعيف لانقطاعه**, فيحيى ابن جعدة لم يلق ابن مسعود، ينظر: ابن أبي حاتم/ عبد الرحمن(٣٢٧هـ), **المراسيل**، ط٢، (ضبط: شكر ا بن نعمة ا قوجاني)، مؤسسة الرسالة، (١٩٨٢م)، (ص٢٤٥)، وقال شعيب الأرناؤوط صحيح لغيره.

(٦) الخطابي/ حمد بن محمد(ت٣٨٨هـ), **معالم السنن**, ط١, (تخريج وترقيم: عبد السلام عبد الشّافي محمد), دار الكتب العلمية، بيروت, (١٩٩١م). (ج٤/ص١٨٣)

(٧) رواه البخاري في كتاب: الإيمان, باب: المعاصي من أمر الجاهلية..(ص١٩/ح٣٠), ومسلم في كتاب الإيمان, باب: إطعام المملوك مما يأكل, وإلباسه مما يلبس, ولا يكلّفه ما يغلبه(ص٨٣١/ح١٦٦١), وأبو داود في كتاب الأدب, باب: في حق المملوك(ص٩٦١/ح٥١٥٧), ثلاثتهم من طريق المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي ا عنه.

قوله: سابيت: أي وقع بيني وبينه سباب, وقوله: فعيرته بأمه أي نسبته إلى العار[١], وعيرته: ذممته[٢].

والنّص صريح في ذم هذه الصورة والنّهي عنها. إذ أنكر النّبي صلى ا عليه وسلّم صدور التّعيير عن أبي ذر رضي ا عنه, وبين أن هذا من أخلاق الجاهلية.

رابعا: السخرية:

ومن الصور التي ورد النّهي عنها كونها تجاوز حدود حرية الرأي, والتعبير, **السخرية والاستهزاء**. قال تعالى: **يَا أَيهَا الَذِينَ آمَنُوا لَا يَسخَر قَوم من قَومٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيرا منْهم وَلَا نِسَاء من نسَاء عَسَى أَن يَكُن خَيرا منْهن** الحجرات آية:١١.

سخِر منه وبه: هزئ[٣]. وهزئ واستهزأ: إذا سخِر[٤]. والسخْر يدل على احتقار واستذلال[٥].

وفي الحديث عن عائِشَةَ رضي ا عنها قَالَتْ: قُلْتُ لِلنبِي صلى الله علَيهِ وسلم **حَسبكَ مِن صَفِيةَ كَذَا وَكَذَا -تَعنِي قَصِيرَةً-، قَالَ: (لَقَد قُلْتِ كَلِمَةً لَو مزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحرِ لَمَزَجَتْه)**. قَالَتْ: وحكَيتُ لَه إِنْسانًا، فَقَالَ: (ما أُحِب أَني حكَيتُ إِنْسانًا وأَن لِي كَذَا وكَذَا)[٦].

قولها (حسبك مِن صفِيةَ) أي من عيوبها البدنية, (كَذَا وكَذَا) كناية عن ذكر بعضها وتعني كونها قصيرة. وقوله صلى ا عليه وسلم (لَو مزِجتْ بِماءِ الْبحرِ لَمزجتْه): أي خالطته

ورواه البخاري بالإسناد السابق في كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن(ص١٢٤٦/ح٦٠٥٠)، بلفظ: **(فِنِلْتُ منها فذكرني إلى النّبي صلى ا عليه وسلّم.. قال: (أَفِنِلْتَ من أُمه)؟**

(١) ابن حجر, **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**, ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت, (١٩٩٧م). (ج١/ص١١٧)

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن(ص٥٩٦)

(٣) الفيروز آبادي, القاموس المحيط(ص٧٩٤)

(٤) ابن فارس, معجم مقاييس اللغة(ج٦/ص٥٢)

(٥) المرجع السابق(ج٣/ص١٤٤)

(٦) رواه أبو داود في كتاب: الأدب, باب: الغيبة(ص٩١٣/ح٤٨٧٥)، والترمذي في كتاب صفة القيامة, باب.(ص٧٢١/ح٢٥١٠)، وأحمد في المسند(ج٤٢/ص٤٦٦/ح٢٥٧٠٨– ج٤١/ص٥٠٠/ح٢٥٠٤٩)، جميعهم من طريق سفيان الثوري عن علي بن الأقمر عن أبي حذيفة عن عائشة رضي ا عنها. وجاء من رواية أحمد قول النّبي صلى ا عليه وسلم لعائشة: (قد اغْتَبْتِها). وأبو حذيفة قال الترمذي عنه من أصحاب ابن مسعود، ويقال اسمه سلمة بن صهيبة(ص٧٢١/ح٢٥١٠)، **والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات**. وقال عنه الترمذي: حسن صحيح.

وغلبته وغيرته وأفسدته. وقولها (حكيتُ إنْسانًا) أي فعلت مثل فعله تحقيراً له أو انتقاصاً. يقـال حكاه وحاكاه. وأكثر ما يستعمل المحاكاة في القبيح.

(ما أُحِب أني حكيتُ..) أي ما يسرني أن أتحدث بعيبة, أو ما يسرني أن أحاكيـه بـأن أفعل مثل فعله أو أقول مثل قوله على وجه التنقيص.

(وأن لي كذَا وكذَا) أي ولو أُعطيت كذا وكذا من الدنيا, أي شيئاً كثيراً على ذلك[1].

صلة المصطلحات الهدمية بالنقد:

تتصل هذه الصورة بالنّقد من جانب واحد وبشكل جزئي مبتور, وهو ذلك الجزء المتعلق بتناول الأخطاء والمعايب وتتبع جوانب النقص، وتُمثل كل واحدة منها شكلاً من أشـكال النّقـد المذموم, الذي يلحِق الأذى النّفسي البالغ بالطرف المنقود, ويصيب شعور القيمة والكفاءة لديـه. والشّريعة الإسلامية تدعو وتؤكّد على قيمة الفرد وتحيطها بالرعاية, قال تعالى: **وَلَقَـد كَرمنَـا بَنِي آدَمَ** الإسراء آية:٧٠، وهو تكريم يعم كل ما يتعلق به؛ ولذلك كان من الخطورة بمكان تناول أخطاء النّاس ومعايبهم لمجرد إظهارها والتشهير بها والنيل من الطرف المنقـود وانتقاصـه، إذ يؤدي به إلى الشعور بالإحباط واليأس وضعف الثقة بالنفس.

وبشكل عام تمثل هذه الصور اتجاها في النقد تترتب عليه آثار مدمرة علـى المسـتوى الشّخصي الفردي, والمستوى العام, إذ بضعف الأفراد تضعف الأمم. وهي بهذا الاتجاه تخـرج بالنقد عن دائرة الإصلاح والارتقاء المقررة له، ولذلك وجدنا القـوانين تتنـاول هـذه الصـور بمسمياتِها السابقة أحيانًا, وبغيرها من المسميات أحيانًا أخرى، وتُعدها من الجرائم القولية التـي تقع ضد الأشخاص ويعاقِب عليها القانون، ومنها القذف والسب والإهانة والذم والقدح والتحقير.

وكلّ فعل من هذه الأفعال يستهدف غاية واحدة وهي الانتقاص من حق الشّـخص فـي الاحترام والتقدير الواجبين له بحسبانه إنسان، ولذلك فإن جميع القوانين تستهدف من النص على

---

(١) المناوي/ محمد عبد الرؤوف(ت١٠٣١هـ), **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديـث البشـير النـذير**, ط١، (ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام), دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٤م). (ج٥/ص٥٢٤-٥٢٥)

العظيم آبادي/ محمد(٨٥٧هـ), **عون المعبود شرح سنن أبي داود**, (تخريج: عصـام الصـبابطي), دار الحـديث، القاهرة (٢٠٠١م). (ج٨/ص٢٣٨)

تجريم هذه الأفعال حماية شرف الأشخاص واعتبارهم، إذ أن هذه الأفعال تمس وتُصيب الشّرف والاعتبار الذي يحميه القانون[١].

ولمزيد من الإيضاح نُلقي الضوء سريعاً على كل فعلٍ من هذه الأفعال كمـا أوردتهـا القوانين.

- **أما القذف:** فهو في جوهره توجيه معنى سيئ إلى شـخص أو أشـخاص بقصـد الإسـاءة إليهم[٢]. وهو في عرف القانون إسناد أمر للغير موجب لعقابه واحتقاره. والإسناد الذي يوجـب احتقار المسند إليه هو الذي يحطّ من قدره وكرامته في نظر الغير[٣].

جاء في القانون: يعد قاذفًا كل من أَسند لغيره بواسطة إحدى الطرق أمورا لـو كانـت صادقة لأوجبت عقاب من أُسندت إليه بالعقوبات المقررة لذلك قانوناً أو أَوجبت احتقاره عند أهل وطنه[٤].

- **وأما السب** في اصطلاح القانون: فهو كل إلصاقٍ لعيبٍ, أو تعبيرٍ يحط من قدر الشّخص عند نفسه أو يخدش سمعتَه لدى الغير[٥]. وجاء في القانون: (كل سب غير مشتملٍ على إسناد واقعـة معينة بل كان مشتملاً على إسناد عيبٍ معين أو خدش النّاموس أو الاعتبار بأي كيفيـةٍ كانـت يعاقَب عليه..)[٦], فيتحقق السب بإسناد عيب معين أو غير معين إليه, أو بكل ما ينطوي علـى معنى الاحتقار والتصغير[٧].

- **والإهانة** الموجبة للعقاب في القانون هي التي تقع على موظف أو من في حكمه, سواء مكاف بخدمة عامة أو غير ذلك, بينما يقع السب والقذف على آحاد الناس[٨].

---

(١) النجار, النقد المباح(الصفحات٢٧٧-٢٧٨،٢٨٩). وانظر: نمور/ محمد سعيد, (٢٠٠٢م)، **شـرح قـانون العقوبـات (القسم الخاص, الجرائم الواقعة على الأشخاص)**, ط١, الأردن، الـدار العلميـة ودار الثقافـة. (ج١/ص٣٣١ ومـا بعدها).

(٢) النقد المباح(ص٢٥٩)

(٣) أحمد أمين, شرح قانون العقوبات الأهلي(ص٥٢٢،٥٣١)

(٤) أحمد أمين, شرح قانون العقوبات الأهلي(ص٥٢٢)

(٥) المرصفاوي, قانون العقوبات(ص٩٩٩)

(٦) أحمد أمين, شرح قانون العقوبات(ص٥٥٩)

(٧) حماد/ أحمد جلال, (١٩٨٧م), **حرية الرأي في الميدان السياسي في ظل مبدأ المشروعية**, ط١، مصر: دار الوفـاء, (ص٣٧٩)

(٨) النجار, النقد المباح(ص٢٨٩)

أما **الذم والقدح والتّحقير**: فهي مصطلحات ورد تعريف كل منها في نـص قـانون العقوبـات الأردني على الجرائم الماسة بالشّرف, فقد جعل المشرع الأردني من الذم والقدح والتحقير جرائم يمكن أن تقع على أحد النّاس تصيبه في شرفه واعتباره[١].

- **والذم** في اللغة الهجي، ذم الرجل: هجِي، وذم: نُقِص، وأذم تهاون[٢].
وعِرفَ في القانون بأنّه: إسناد مادة معينة إلى شخص ولو في معرض الشّك والاستفهام , مـن شأنها أن تنال من شرفه وكرامته, أو تعرضه إلى بغض النّاس واحتقارهم سـواء أكانـت تلـك المادة جريمة تستلزم العقاب أم لا[٣].
والذّم يشبه النّقد ولكن في النّقد معنى تمييز الحسنات عن السيئات وليس في الذم سـوى إظهـار السيئات[٤].

- أما **القدح** وهو في اللغة يدل على انتقاصٍ وإفسادٍ في المقدوح فيه[٥]، قَدح في عِـرض أخيـه يقْدح قدحاً: عابه[٦]. عرفَ في القانون بأنه: الاعتداء على كرامة الغير أو شرفه أو اعتباره, ولو في معرض الشّك والاستفهام من دون بيان مادة معينة[٧].

- وأخيراً **التّحقير**: ذكر في القانون بأن كل تحقير أو سباب -غير الذم والقـدح- يوجـه إلـى المعتدى عليه وجها لوجه بالكلام أو بالحركات أو بكتابة أو رسم، وتُعتبر جريمة التحقيـر مـن جرائم التعبير، ذلك بأن الجاني يقوم بالتعبير عن رأيه في المجني عليه, وهو رأي ينطوي علـى مساسٍ بشرفه واعتباره[٨].

---

(١) يقصد بالشّرف والاعتبار من الوجهة الموضوعية, المكانة التي يحتلها الشخص في المجتمع وما يتفرع عنها من حـق في أن يعامل على النحو الذي يتفق مع هذه المكانة, أي أن يعطى الثقة والاحترام اللّذين تقتضيهما مكانته الاجتماعية, أما الشرف والاعتبار من الوجهة الشخصية فيعني شعور كل شخص بكرامته وإحساسه بأنه يستحق من أفراد المجتمع معاملة واحتراماً متفقين مع هذا الشعور. ينظر: محمد نمور, شرح قانون العقوبات..**(**ص٣٣١)

(٢) ابن منظور, لسان العرب(ج٥/ص٦٠)

(٣) محمد نمور، شرح قانون العقوبات(ص٣٣١)

(٤) ميشال إسحاق, المعاني الفلسفية في لسان العرب(ص٢٤١)

(٥) المصدر السابق(ص٣٤٤)

(٦) الزبيدي, تاج العروس(ج٧/ص٣٩)

(٧) محمد نمور, شرح قانون العقوبات(ص٣٣٣)

(٨) المصدر السابق(ص٣٣٥–٣٣٦)

وخلاصة القول: أن النّقد يحمل صورتين أحدهما مباحة، وهي التي عبر عنها القانون بقول: (إبداء الرأي في أمر أو عمل دون المساس بشخص صاحب الأمر أو العمل بغية التشهير به أو الحطّ من كرامته..)[1]. والأخرى غير مباحة، ونصها في القانون: (..فإذا تجاوز النّقد هذا الحد وجب العقاب عليه باعتباره مكوناً لجريمة سب أو إهانة أو قذْف حسب الأحوال)[2].

والصورتان كلتاهما مستندهما في الإباحة والتحريم الشّريعة الإسلامية.

قال ابن رجب الحنبلي: (اعلم أن ذكْر الإنسان بما يكره محرم إذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنّقص، فأما إن كان فيه مصلحة لعامة المسلمين خاصة لبعضهم، كان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة فليس بمحرم بل مندوب إليه)[3].

(١) المرصفاوي، في قانون العقوبات(ص١٠٠٣)

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن رجب الحنبلي، الفرق بين النصيحة والتعيير(ص١٩)

المبحث الثاني: مشروعية النقد

المطلب الأول: نماذج من النقد القرآني:

وضع القرآن الكريم أساسا متينًا لشرعية النّقد, إذ نجد له ممارسة واسعة فـي الآيـات الكريمة لا تقتصر على نقد أصناف الشّرك والكفر والمنافقين, وإنّما تشمل أهل الإيمان والتسليم, وما يصدر عنهم من أخطاء ومعايب، بل ونجدها تسجل على مسار المهـام الموكلـة للأنبيـاء والمرسلين كذلك ملاحظات تقويمية لتصويب مسيرتهم وتسديدها, رغم ما يمتازون به من علـو نفسي وأخلاقي, ومعرفة وعلم يتلقونه بالوحي عن ا عز وجلّ.

وفيما يلي عرض لصور من النّقد القرآني مما ورد ذكره وبيان سببه في السنة المطهرة، منها ما هو موجه للنبي صلى ا عليه وسلم، ولغيره من الأنبياء، وللصحابة رضوان ا عليهم، ولابن آدم بشكل عام.

وقبل ذلك لا بد من الإشارة إلى أن هذه الدراسة تتناول النقد البشري، وتدرسه في أمثل صوره، الصادرة عن النبي صلى ا عليه وسلم، ولا تشتمل ما تتوصـل إليـه الدراسـة مـن التعريفات والأقسام والضوابط وغيرها على منهج القرآن الكريم في المراجعة والنقد.

الفرع الأول: صور من المراجعات النقدية في القرآن للنبي صلى ا عليه وسلم:

١. قال تعالى: **عَبَسَ وَتَوَلى أَن جَاءه الْأَعمَى وَمَا يدريكَ لَعله يَزكى أَو يَذكر فَتَنفَعه الـذكْرَى أَما مَن استَغْنَى فَأَنتَ له تَصَدى وَمَا عَلَيكَ أَلا يَزكى وَأَما مَن جَاءكَ يَسعَى وَهوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْه تَلَهى** عبس الآيات:١إلى١٠.

وعن عائِشَةَ رضي ا عنها قَالَتْ: (أُنْزِلَتْ عبس وتَولى فِي ابن أُم مكْتُومٍ الْأَعمى، أَتَـى رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم، فَجعلَ يقُولُ: **يَا رَسولَ اللهِ أَرشِدنِي،** وعِنْد رسول اللهِ صـلى الله علَيهِ وسلم رجلٌ مِن عظَماءِ الْمشْرِكِين، فَجعلَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم **يعرض عَنْه وَيقْبِلُ عَلَى الْآخَر، فَقالَ النبي صلى ا عليه وسلم: يا فلان، أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْساً، فَيَقُولُ: لَـا، فَنَزَلَتْ عَبَسَ وَتَوَلى**)(١).

---

(١) رواه ابن حبان/ محمد بن يحيى(ت٣٥٤هـ), **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**(ت٧٣٩هـ), ط١، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط), مؤسسة الرسالة, (١٩٩١م), (ج٢/ص٢٩٤/ح٥٣٥), من طريق عبد ا بن عمـر

٢. وقال تعالى معاتبا نبيه صلى ا عليه وسلّم بعد غزوة بدر, على عدم اجتهاده واختياره الرأي القائل بأخْذ الفداء في الأسرى: **مَا كَانَ لِنَبِي أَن يَكُونَ له أَسرَى حَتى يثْخِنَ فِي الأَرض تُرِيدونَ عَرَضَ الدنيَا وَاللّه يرِيد الآخِرَةَ وَاللّه عَزِيز حَكِيم. لولا كِتَاب منَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَاب عَظِيم** الأنفال آية: ٦٧–٦٨.

وفي السنة: عن ابن عباسٍ رضي ا عنه قال: حدثَنِي عمر بن الْخَطابِ رضي ا عنه، قَالَ: لَما كَان يوم بدرٍ، نَظَر رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم إِلَى الْمشْرِكِين وهم أَلْفٌ.. إلى قوله: فَلَما أَسروا الْأُسارى، قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم لِأَبِي بكْرٍ وعمر: (**مَا تَرَونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى**؟)، **فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: يَا نَبِي اللهِ هم بَنُو الْعَم وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَن تَأْخُذَ مِنْهم فِديَةً فَتَكُون لَنَا قُوةً عَلَى الْكُفارِ فَعَسَى الله أَن يَهدِيَهم لِلْإِسلَامِ**، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**مَا تَرَى يَا ابنَ الْخَطابِ**؟)، قُلْتُ: **لَا وَاللهِ يَا رَسولَ اللهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبو بَكْرٍ وَلَكِني أَرَى أَن تُمَكنا فَنَضرِبَ أَعنَاقَهم.. فَهَوِيَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ مَا قَالَ أَبو بَكْرٍ، وَلَم يَهوَ مَا قُلْتُ.** فَلَما كَان مِن الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم وأَبو بكْرٍ قَاعِدينِ يبكِيانِ، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أَخْبِرنِي مِن أَي شَيءٍ تَبكِي أَنْتَ وصاحِبك.. فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (أَبكِي لِلَّذِي عرض علَي عذَابهم أَدنَى مِن هذِهِ الشجرةِ -شَجرةٍ قَرِيبةٍ مِن نَبِي اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم-). وأَنْزلَ الله عز وجل: **مَا كَانَ لِنَبِي أَن يَكُونَ له أَسرَى حَتى يثْخِنَ فِي الأَرض** (١)

الجعفي عن عبد الرحيم بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي ا عنها. **وإسناده صحيح**، قال شعيب على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد ا بن عمر الجعفي فمن رجال مسلم. ورواه الترمذي في كتاب: التفسير, باب: سورة عبس(ص٩٦٠/ح٣٣٤٢), والحاكم في **المستدرك**(ج٢/ص٥١٤) كلاهما من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه عن هشام به. ويحيى بن سعيد الأموي قال عنه الحافظ في التقريب(ج٢/ص355): صدوق يغْرب.

(١) رواه مسلم في كتاب: الجهاد والسير, باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم(ص٨٩٠/ح١٧٦٣), وأبو داود –مختصراً- في كتاب الجهاد, باب: في فداء الأسير بالمال(ص٥٠٥/ح٢٦٩٠), وأحمد في المسند(ج١/ص٣٣٤/ح٢٠٨) ثلاثتهم من طريق عكرمة بن عمار عن سماك بن الوليد الحنفي عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي ا عنهما.

٣. وفي مطلع سورة التّحريم قال تعالى: **يَا أَيهَا النبِي لِمَ تُحَرم مَا أَحَل الله لَـكَ. تَبتَغِـي مَرضَاتَ أَزوَاجِكَ وَالله غَفُور رحِيم** التحريم، آية:١.

وعن عائِشَةَ رضِي الله عنْها قالت: كان النبِي صلى الله عليْهِ وسلم يمكُثُ عِنْد زينَـب بِنْتِ جحشٍ ويشْرب عِنْدها عسلًا، فَتَواصيتُ أَنا وحفْصةُ أن أَيتَنا دخَلَ عليها النبِي صلى الله عليْهِ وسلم فَلْتَقُلْ إِني أَجِد مِنْك ريح مغَافِير، أَكَلْتَ مغَافِير ؟ فَدخَلَ على إِحداهما، فَقَالَتْ له ذَلِك، فَقَالَ: (لَا، بلْ شَرِبتُ عسلًا عِنْد زينَب بِنْتِ جحشٍ، **وَلَن أَعودَ له**)، فَنَزلَتْ: **يَا أَيهَا النبِي لِمَ تُحَرم مَا أَحَل الله لَكَ** (١)

ومن صور المراجعات النقدية للأنبياء:

ما روي من حديث أَبي هريرةَ رضِي الله عنْه، قَالَ: سمِعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم يقُولُ: (قَرصتْ نَملَةٌ نَبِيا مِن الْأَنْبِياءِ فَأَمر بِقَريةِ النمل فَأُحرِقَتْ فَأَوحى الله إِلَيهِ: **أَن قَرَصَتْكَ نَملَةٌ أَحرَقْتَ أُمةً مِن الْأُمَمِ تُسَبح؟**)(٢)

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الطلاق, باب: لم تحرم ما أحلّ ا لك(ص١١١٨,ح٥٢٦٧), ومسلم في الطلاق, باب: وجوب الكفّارة على من حرم امرأته ولم ينو الطّلاق(ص٧١٦/ح١٤٧٤), وأبو داود في الأشربة, باب: في شـراب العسـل, (ص٦٩٦/ح٣٧١٤)، والنسائي في الطّلاق, باب: تأويل هذه الآية على وجهٍ آخـر(ص٤٩٩/ح٣٤٢٣), وأحمـد فـي المسند(ج٤٣/ص٤١/ح٢٥٨٥٢) جميعهم من طريق الحجاج بن محمد عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عـن عطاء بن أبي رباح عن عبيد بن عمير عن عائشة رضـي ا عنهـا. وجـاء مـن روايـة مسـلم وأحمـد قـول عائشة:(**فتواطيتُ أنا وحفصة**). وقوله مغافير: جمع مغفور وهو صمغ حلو له رائحة كريهة, ينضحه شجر يقال لـه العرفط. انظر: النووي, المنهاج(ص١١١٩)

وروى النسائي في سبب نزول الآية غير قصة العسل, من حديث أنس رضي ا عنه أن رسول ا صلى ا عليـه وسلّم كانت له أَمةٌ يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل ا عز وجلّ: (يا أَيها النبِـي لِـم تُحرم ما أَحل الله لك) إلى آخر الآية, (ص٥٧٨/ح٣٩٦١) كتاب عشرة النساء, باب: الغيرة. قال ابـن حجـر سـنده صحيح وهو أصح طرق هذا السبب. راجع الفتح(ج٩/ص٤٧٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب: الجهاد والسير, باب.(ص٦٣٢/ح٣٠١٩)، ومسلم فـي السـلام, بـاب: النّهـي عـن قتـل النّمل(ص١١٣٢/ح٢٢٤١), وأبو داود في الأدب, باب: في قتل الذر(ص٩٧٩/ح٥٢٦٦). والنسائي في الصيد, بـاب: قتل النّمل(ص٦٣٢/ح٤٣٦٠) وابن ماجة في الصيد, باب: ما ينهـى عـن قتلـه(ص٧٤٢/ح٣٢٢٥)، وأحمـد فـي المسند،(ج١٥/ص١٢٥-١٢٦/٩٢٢٩)، جميعهم من طريق يونس بن يزيد بن أبي نجاد عن ابن شهاب الزهري عـن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عبد ا بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي ا عنه.

قال ابن حجر في الفتح(ج٦/ص٤٤٢): (يقال إن لهذه القصة سببا, وهو أن النّبي مر على قرية أهلكهـا ا تعـالى بذنوب أهلها فوقف متعجباً فقال: يا رب قد كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنباً. ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة, فنبهه ا تعالى على أن الجنس المؤذي يقتل وإن لم يؤذِ، وتُقتل أولاده وإن لم تبلغ الأذى. وهـذا هـو

وحدثَ النبي صلى الله عليه وسلم فيما أُوحِي إليه عن **مناقَدَةِ موسى لآدَم عليهما السلام عِنْدَ الله تعالى، فِي قَضِية خُروجِ آدَمَ مِن الجَنةِ**، فَعن أَبِي هريرة رضِي الله عنْه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احتَج آدم وموسى، فَقالَ لَه موسى: **يَا آدَم، أنْتَ أبونَا خيبتَنا وأخْرَجتَنا مِن الجَنة**، قالَ لَه آدم: **يَا موسَى، اصطَفَاكَ الله بِكَلامِهِ، وَخَطَ لكَ بِيَدِهِ، أتَلُومنِي على أمرٍ قَدرَ الله عَلَي قَبلَ أن يَخلُقَنِي بِأَربَعِينَ سَنَة**؟ فَحج آدم موسى، فَحج آدم موسى، ثلاثا[1]. وفي روايةٍ: (**أَنْتَ آدم الذِي خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِن روحِهِ وَأسجَدَ لكَ مَلائكَته وَأسكَنَكَ فِي جَنتِهِ ثم أهبَطْتَ الناسَ بِخَطِيئَتكِ إلى الأرض؟**)[2]

الظّاهر, وإن ثبتت هذه القصة تعين المصير إليه. والحاصل أنه لم يعاتَب إنكارا لما فعل بل جوابا له وإيضاحا لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل تلك القرية, فضرب له المثل لذاك), ورغم توجيه ابن حجر للقصة إلا أنها لم تثبت عنده ولم يذكر مصدرا لها، كما أوردها بصيغة التضعيف يقال، ولذلك صرت إلى ظاهر الرواية الذي يدل على معاتبة النّبي المذكور في الحديث على فعلته وإنكار ذلك عليه وانتقاده على حرق القرية بجريرة نملة واحدة. والله أعلم.

أما النّبي فقيل هو العزير وقيل موسى عليه السلام. انظر: ابن حجر، الفتح(ج٩/ص٤٤١).

(١) رواه البخاري في كتاب: القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله (ص١٣٣٦/ح٦٦١٤)، ومسلم في القدر، باب: حجاج آدم وموسى(ص١٣١٥/ح٢٦٥٢)، وأبو داود في السنة، باب: في القدر(ص٨٨٠/ح٤٧٠١)، وابن ماجه في المقدمة، باب: في القدر(ص٣٩/ح٨٠)، وأحمد في المسند(ج١٢/ص٣٤٣/ح٧٣٨٧)، جميعهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس بن كيسان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم بالتخريج السابق، عن إسحق بن موسى بن يزيد عن أنس بن عِياض عن الحارث بن أبي ذُباب عن يزيد بن هرمز وعبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة.

الفرع الثاني: صور من المراجعات النقدية في القرآن للصحابة رضوان ا عليهم:

١. قوله تعالى: **يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدموا بَينَ يَدَي اللهِ وَرَسولِهِ وَاتقُوا اللهَ إِن اللهَ سَمِيع عَلِيم. يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَرفَعوا أَصوَاتَكُم فَوقَ صَوتِ النبِي وَلَا تَجهَروا لَه بِالقَول كَجَهر بَعضِكُم لِبَعض أَن تَحبَطَ أَعمَالُكُم وَأَنتُم لَا تَشْعرونَ** الحجرات آية:١،٢ .

وعن عبد اللهِ بن الزبير رضي ا عنهما أَنه: قَدِم ركْب مِن بني تَمِيمٍ على النبِي صلى الله عليهِ وسلم، فَقَالَ أَبو بكْرٍ: أَمر الْقَعقَاع بن معبدِ بن زرارةَ، قَالَ عمر: بلْ أَمر الأَقْرع بن حابِسٍ، قَالَ أَبو بكْرٍ: ما أَردتَ إِلا خِلَافِي، قَالَ عمر، ما أَردتُ خِلَافَك، فَتَماريا حتى ارتَفَعتْ أَصواتُهما، فَنَزلَ فِي ذَلِك: **يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدموا** حتى انْقَضتْ(١).

٢. وقوله تعالى: **يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبتُم فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبينُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن أَلْقَى إِلَيكُم السلاَمَ لَستَ مؤْمِنًا تَبتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدنْيا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِم كَثِيرَةٌ** النساء آية:٩٤.

وجاء في السنة عن ابن عباسٍ رضِي الله عنْهما قال: **وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيكُم السلَامَ لَستَ مؤْمِنًا** ، قَالَ: كَان رجلٌ فِي غُنَيمةٍ لَه فَلَحِقَه الْمسلِمون، فَقَالَ: السلَام علَيكُم، فَقَتَلُوه وأَخَذُوا غُنَيمتَه، فَأَنْزلَ الله فِي ذَلِك إِلَى قَولِهِ: **تَبتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدنْيا** تِلْك الْغُنَيمةُ(٢).

٣. وقال تعالى: **وَلَا يأْتَلِ أُولُوا الْفَضلِ مِنكُم وَالسعَةِ أَن يؤْتُوا أُولِي الْقُربَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيعفُوا وَلْيصفَحوا أَلَا تُحِبونَ أَن يغْفِرَ الله لَكُم وَالله غَفُور رحِيم** النور آية:٢٢. وعن عائِشَةَ رضي ا عنها حِين قَالَ لَها أَهلُ الْإِفْكِ ما قَالُوا، فَبرأَها الله مِما قَالُوا.. فَأَنْزلَ الله: **إِن الذِينَ جَاءوا بِالْإِفْكِ** الْعشْر آياتِ كُلها فِي براءتِي، فَقَالَ أَبو بكْرٍ الصديقُ وكَان ينْفِقُ علَى مِسطَحٍ لِقَرابتِهِ مِنْه: واللهِ لَا أُنْفِقُ علَى مِسطَحٍ شَيئًا أَبدا بعد

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي, باب: قال ابن اسحاق, غزوة بن عيينة..(ص٩٠٣/ح٤٣٦٧)، والترمذي في تفسير القرآن, باب: سورة الحجرات(ص٩٣٩/ح٣٢٧٧), والنسائي في آداب القضاة, باب: استعمال الشعراء(ص٧٦٠/ح٥٣٨٨)، وأحمد في المسند(ج٢٦/ص٥٥/ح١٦١٣٣)، أربعتهم من طريق عبد ا بن أبي مليكة عن عبد ا بن الزبير رضي ا عنه.

(٢) رواه البخاري في كتاب: التفسير, باب: (ولاَ تَقُولُواْ لِمن أَلْقَى إِلَيكُم السلام لَستَ مؤْمِنًا). (ص٩٥٠/ح٤٥٩١), ورواه مسلم في التفسير(ص١٤٨٩/ح٣٠٢٥), وأبو داود في الحروف والقراءات, باب.(ص٧٤٠/ح٣٩٧٤), ثلاثتهم من طريق سفيان ابن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي ا عنهما.

الذي قالَ لعائشَةَ، فأنْزلَ الله: **وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضلِ مِنْكُم وَالسعَةِ أَن يؤْتُوا أُولِي القُرْبَى** قَالَ أَبو بكْرٍ: **بلَى، وَاللهِ إِني لأُحِب أَن يَغْفِرَ الله لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسطَحٍ النفَقَةَ التِي كَانَ ينْفِقُ عَلَيهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لا أَنْزِعهَا عَنْه أَبدا**[١]

الفرع الثالث: نقد ابن آدم:

٤. ومن صور النّقد الإلهي العام لابن آدم ما روي عن أَبِي هريرةَ رضِي الله عنْه، أَن النبِي صلى الله علَيهِ وسلم كان يوما يحدثُ وعِنْده رجلٌ مِن أَهل الْبادِيةِ: (أَن رجلًا مِن أَهل الْجنةِ استأْذَن ربه فِي الزرعِ فَقَالَ لَه: (أَلستَ فِيما شِئْتَ؟)، قَالَ: بلَى، ولَكِني أُحِب أَن أَزرع، قَالَ: فَبذَر فَبادر الطرفَ نَباتُه واستِواؤُه واستِحصاده، فَكان أَمثَالَ الْجِبال، فَيقُولُ الله:(**دونَكَ يَا ابنَ آدَمَ فَإِنه لَا يشْبِعكَ شَيء**)، فَقَالَ الأَعرابِي: **وَاللهِ لَا تَجِده إِلا قُرَشِيا أَو أَنْصَارِيا فَإِنهم أَصحَاب زَرعٍ، وَأَما نَحن فَلَسنَا بِأَصحَابِ زَرعٍ. فَضَحِكَ النبِي صَلَى الله عَلَيهِ وَسَلَمَ**)[٢]

قوله: **استَأْذَنَ رَبه فِي الزرعِ**: أي في أن يباشر في الزرع. **فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطرفَ نَبَاتُه وَاستِوَاؤُه وَاستِحصَاده**: المراد أنه لما بذر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم إلا قدر لمح البصر[٣].

وقوله تعالى: **دونَكَ**.. أي خذه، **لَا يشْبِعكَ شَيء**: جنس الآدمي، وما طبع عليه فهو في طلب الازدياد[٤].

وفي الحديث نقد لصفة عامة يتصف بها بنو آدم وهو طلب الازدياد, في إشارة منه عز وجلّ إلى فضل القناعة كما ذكر ابن حجر[٥].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور, باب: اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب (ص١٣٤٦/ح٦٦٧٩)، ومسلم –مطولاً- في التّوبة, باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف(ص١٣٧٣/ح٢٧٧٠)، وأحمد في المسند(ج٤٢/ص٤٠٤/ح٢٥٦٢٣-٢٥٦٢٤)، ثلاثتهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقّاص وعبيد ا بن عبد ا بن عتبة عن عائشة رضي ا عنها. ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن, باب: ومن سورة النّور (ص٩١١/ح٣١٩١) من طريق أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي ا عنها مطولاً.

ومِسطح المذكور في الحديث هو من الذين خاضوا في حديث الإفك الذي اتهمت فيه السيدة عائشة رضي اللع عنها.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الحرث والمزارعة, باب: كراء الأرض بالذّهب والفضة(ص٤٨٢/ح٢٣٤٨)، وأحمد في المسند(ج١٦/ص٣٧٦/ح١٠٦٤٢)، كلاهما من طريق فُلَيح ابن سليمان بن أبي المغيرة عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي ا عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٣٤).

(٤) المرجع السابق، وراجع:(ج١٣/ص٥٩٧).

(٥) المرجع السابق(ج٥/ص٣٤)

المطلب الثاني: الدعوات الإصلاحية الشرعية:

بعد عرض الدراسة لجملة من النصوص القرآنية العظيمة التي تتضمن مراجعات للنبي صلى الله علي وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، والتي تكشف لأصحابها عن جوانب في محلّ المراجعة لم تكن حاضرة في أذهانهم حال صدور الواقعة عنهم، تعرض الدراسة لمشروعية النقد من خلال ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية من ممارسة وسائل تحفظ أبناء الأمة الإسلامية من كافة الانحرافات التي يمكن الوقوع فيها، وتأتي أهمية هذا المطلب من جهة تخصصه في التأصيل الشرعي لموضوع النقد، واحترازا من الوقوع في التكرار فإن هذا المطلب سيقتصر على ذكر جملة من الأدلة الشرعية الواردة في الدعوات الإصلاحية الشرعية، التي تبين شرعية ممارسة النقد واعتباره وسيلة من وسائل الإصلاح والتنمية والتغيير في المجتمع الإسلامي.

الفرع الأول: دعوة الشريعة إلى الإصلاح بالنّصح:

قال تعالى: **ليسَ عَلى الضعَفَاء وَلا عَلى الْمَرضَى وَلا عَلى الذِينَ لا يَجِدونَ مَا ينفِقُونَ حَرَج إِذَا نَصَحواْ لِلّهِ وَرَسولِهِ** التوبه آية:٩١.

وفي الحديث المشهور عن تَمِيمٍ بن أوس الداري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (**الدين النصِيحَةُ**). قُلْنَا: لِمن يا رسول الله؟، قَالَ: (**لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسولِهِ وَلِأَئِمةِ الْمسلِمِينَ وَعَامتِهِم**)[(١)]

ومن أَخَصِ الأمثلةِ على النّقدِ الذي يتصل بالنّصيحة في الشّرع, موضوع البحث في أحوال الرجال وهو علم نَقْدِ الرجال المعروف بالجرح والتعديل, ففيه نصيحة لشرع الله تعالى وما جاء على لسان نبيه صلى الله عليه وسلّم وحفظ لهما, كما فيه نصيحة لعامة المسلمين. قال الترمذي: (عاب بعض من لا يفهم على أهل الحديث الكلام في الرجال...وإنّما حملهم على ذلك عندنا والله أعلم النّصيحة للمسلمين, لا يظَن أنهم أرادوا الطّعن على النّاس أو الغيبة, إنّما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعفَ هؤلاء لكي يعرفوا, لأن بعض الذين ضعفوا كان صاحب بدعة, وبعضهم

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الإيمان, باب: بيان أن الدين النّصيحة(ص٥١/ح٥٥) وأبو داود في الأدب, باب: في النّصحية(ص٩٢٤/ح٤٩٤٤), والنسائي في البيعة, باب: النّصيحة للإمام(ص٦١١/ح٤١٩٩–٤٢٠٠), وأحمد في المسند (ج٢٨/ص١٣٨/ح١٦٩٤٠) جميعهم من طريق سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري رضي الله عنه.

كان متهما في الحديث, وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ, فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتثبيتا، لأن الشّهادة في الدين أحق أن يثبت فيها من الشّهادة في الحقوق والأموال)[١].

الفرع الثاني: دعوة الشريعة إلى الإصلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهي الشعيرة العظيمة التي عرف ا عز وجلّ بها الأمة, وجعلها هوية لها وسبباً في خيريتّها وأفضليتها على غيرها من الأمم والجماعات. قال تعالى: **وَلْتَكُن منكُم أُمةٌ يَدعونَ إِلى الخَيرِ وَيَأْمرونَ بِالمَعروفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المنكَرِ** آل عمران آية:١٠٤. فقوله: **يَدعونَ إِلى الخَيرِ وَيَأْمرونَ بِالمَعروفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المنكَرِ** من باب عطف الخاص على العام إيذاناً بمزيد فضلهما على سائر الخيرات[٢], وإظهاراً لشرفها, وأنّهما الفردان الكاملان من الخير الذي أمر ا عباده بالدعاء إليه[٣].

وقال تعالى: **كُنتُم خَيرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ تَأْمرونَ بِالمَعروفِ وَتَنْهَونَ عَنِ المنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** آل عمران آية:١١٠. وفيه بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم. وقوله: **تَأْمرونَ بِالمَعروفِ وَتَنْهَونَ عَنِ المنكَرِ** يتضمن بيان كونهم خير أُمة, مع ما يشتمل عليه من أنّهم خير أُمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به, فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر زال عنهم ذلك, فهم خير أُمة على الشرائط المذكورة في الآية, ويكون المعنى كنتم خير أُمة حال كونكم آمرين ناهين مؤمنين با وبما يجب عليكم الإيمان به من كتابه ورسوله وما شرعه لعباده[٤].

لقد جعل ا عز وجلّ من شعيرة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر سمة أساسية للمجتمع الإسلامي, على درجة عالية من الأفضلية والأهمية, ذلك أنّها –وكما يقول الألوسي-

(١) الترمذي, السنن-كتاب العلل- (ص١١١٦)

(٢) الألوسي/ محمود(ت١٢٧٠هـ), **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**, ط١،(ضبط: علي عبد الباري عطية), دار الكتب العلمية، بيروت, (٢٠٠١م), (ج٢/ص٢٣٧)

(٣) الشوكاني/ محمد بن علي(ت١٢٥٠هـ), **فتح القدير**, ط١، دار ابن حزم، بيروت, (٢٠٠٠م), (ص٣٠٧)

(٤) الشوكاني، فتح القدير(ص٣٠٩)

تكميل للغير بعد تكميل النفس, فقد جاء في حديثه حول تفسير هاتين الآيتين قوله: (أمرهم سبحانه وتعالى بتكميل الغير إثر أمرهم بتكميل النفس ليكونوا هادين مهديين)(١).

ولا تخرج عملية النقد بغاياتها وأهدافها عن دائرة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكـر, وقد تبين سابقا صلة هذه الشعيرة بموضوع النّقد من حيث اشتراكهما في البناء والإصلاح وفـي جملة الضوابط والقواعد التي تحكم العمليات الإصلاحية بشكلٍ عام, واشتراكهما كذلك في آليـة البحث والمناقشة والتحليل وإصدار الحكم والتقويم, وتبين كذلك أن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يعد مصدراً رئيسياً ومهماً في إباحة النّقد وشرعيته. ولذلك فإن أهمية النّقد تنبثـق مـن أهمية هذه الشّعيرة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

وفي السنة ورد العديد من الأحاديث التي تُبين أفضلية الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر, وضرورة ممارستها تحقيقا لمصالح الدين والفرد, فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدري رضِي الله عنْه عن النبِي صلى الله علَيهِ وسلم قَالَ: (**إِياكُم وَالْجلُوسَ عَلَى الطرقَاتِ**)، فَقَالُوا: ما لَنَا بد، إنما هِي مجالِسنَا نَتَحدثُ فِيها. قَالَ: (**فَإِذَا أَبيتُم إِلا الْمَجَالِسَ فَأَعطُوا الطريقَ حَقهَا**)، قَـالُوا: ومـا حـق الطريق؟، قَالَ: (**غَض الْبَصَرِ وَكَف الْأَذَى وَرَد السلَامِ وَأَمر بِالْمَعروفِ وَنَهي عَن الْمنْكَر**)(٢)

وعنه –الخدري- عن النّبي صلى الله علَيهِ وسلم قال: (**مَن رَأَى مِنْكُم منْكَرا فَلْيغَيره بِيَدِهِ، فَـإِن لَم يَستَطِع فَبِلسَانِهِ، فَإِن لَم يَستَطِع فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضعَفُ الْإِيمَانِ**)(٣)

قال النووي: (واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم به قوام الأمر وملاكـه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح.. ونقل عن القاضي عياض قوله: هذا الحديث أصل

---

(١) الألوسي, روح المعاني(ج٢/ص٢٣٧)

(٢) رواه البخاري في كتاب: المظالم والغصب, بـاب: أفنيـة الـدور والجلـوس فيهـا والجلـوس علـى الصـعدات (ص٥٠٩/ح٢٤٦٥). ومسلم في اللباس والزينة, باب: النّهـي عـن الجلـوس فـي الطرقـات وإعطـاء الطريـق حقه(ص١٠٧٨/ح٢١٢١). ورواه أبو داود في الأدب, باب: في الجلوس في الطرقات(ص٩٠٤/ح٤٨١٥) وأحمد فـي المسند(ج١٨/ص١٣٠/ح١١٥٨٦) جميعهم من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم في كتاب: الإيمان, باب: بيان كون النّهي عن المنكر من الإيمان..(ص٤٨/ح٤٩)، وأبو داود في الصـلاة, باب: الخُطبة يوم العيد(ص٢١٥/ح١١٤٠), والترمذي في الفتن, باب ما جاء في تغيير المنكـر..(ص٦٣٤/ح٢١٧٩), والنسائي في الإيمان وشرائعه, باب: تفاضل أهل الإيمان(ص٧١٦/ح٥٠١٠-٥٠١١), وابن ماجه في كتـاب إقامـة الصلاة والسنّة, باب: ما جاء في صلاة العيدين(ص٣٠٢/ح١٢٧٥), وأحمد فـي المسـند(ج١٨/ص٧٨/ح١١٥١٤). جميعهم من طريق قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخّطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان, فقـام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخّطبة؟ فقال: قد تُرك ما هنالك. فقال أبو سعيد الخدري: أما هذا فقد قضى مـا عليـه, سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول.. وساق الحديث.

في صفة التغيير، فحقّ المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا.. ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخوف شره إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل)[1].

الفرع الثالث: دعوة الشريعة إلى الإصلاح بمحاسبة النفس:

فالمسلم قد ينْتَقِد نفسه ويراجعها دون حاجة إلى غيره, وتُقره الشّريعة على ذلك كما تحثه عليه. قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** الحشـر آيـة:١٨.

وقال: **بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** القيامة آية:١٤. أي: بصـير بعيـوب نفسـه[2].وقولـه: **وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ** قال ابن كثير: أي حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا[3].

وفي السنّة عن شداد بن أوس رضي ا عنه, عن النّبي صلى ا عليـه وسـلّم قـال: (**الكيس مَن دانَ نفســه** وعمِل لما بعد الموت, والعاجِز من اتّبع نفسه هواها وتمنّى على ا)[4]، وقول عمر رضي ا عنه: (حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا..)[5].

وتعود مشروعية النقد – بشكل عام- إلى مشروعية حرية الرأي والتعبير التـي تقرهـا الشّريعة الإسلامية وتدعو لممارستها ضمن أصول وضوابط تضمن عدم الخروج عليها، قـال تعالى: **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** آل عمران آية:١٥٩، وقال عز وجلّ: **وَأَمْرُهُمْ شُـورَى بَيْـنَهُمْ** الشورى آية:٣٨.

---

(١) النووي، المنهاج(ص)

(٢) الشّوكاني, فتح القدير(ص١٨٥٩)

(٣) ابن كثير/ إسماعيل(ت٧٧٤هـ), **تفسير ابن كثيـر**, ط١، (عناية: محمد أنس الخـن), مؤسسـة الرسـالة، بيـروت, (٢٠٠٠م), (ص١٣١٩)

(٤) سبق تخريجه، راجع(ص٣٩)

(٥) سبق تخريجه، راجع(ص٤٠)

ومن النصوص الدالة على مشروعية النّقد وتحثّ عليه ضمناً, ما روي عن أَبِي هريـرةَ رضي ا عنه عن رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم قالَ: (**الْمؤْمِن مِرآةُ الْمؤْمِن**)(١).
وفي رواية:(**المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فِيه عَيبا أصلحَه**)(٢).

قال الطّيبي: (أي المؤمن في إراءة عيب أخيه إليه, كالمرآة المجلوة التي تحكي كل مـا ارتسم فيها من الصور ولو كان أدنى شيء, فالمؤمن إذا نظر إلى أخيه, يستشفّ من وراء أقواله وأفعاله وأحواله تعريفات وتلويحات من ا الكريم..) (٣). وعند المناوي قوله: (معناه كُن لأخيك كالمرآة تُريه محاسن أحواله وتَبعثه على الشّكر وتَمنعه من الكِبر. وتُريه قبائح أموره بلين فـي خفية تنصحه ولا تفضحه)(٤).

وقال العظيم آبادي: (المؤمن مرآة المؤمن: أي آلة لإراءة محاسن أخيه ومعائبه لكن بينه وبينه, فإن النّصيحة في الملأ فضيحة, وأيضاً هو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه, كما يرسـم في المرآة ما هو مخْتفٍ عن صاحبه فيراه فيها, أي إنّما يعلم الشّخص عيب نفسه بإعلام أخيـه كما يعلم خال وجهه بالنّظر في المرآة)(5).

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: الأدب, باب في النصيحة والحِياطة(ص٩٢٠/ح٤٩١٨)، والبخاري في **الأدب المفـرد**, ط١، (تحقيـق: محمـد الألبـاني), دارالصـديق، السـعودية, (١٩٩٩م), (ص٩٠/ح٢٣٩), والبيهقـي/ أحمـد بـن الحسين(ت٤٥٨هـ), **السنن الكبرى**, ط١، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا), دار الكتب العلمية، بيـروت, (١٩٩٤م), (ج٨/ص٢٩٠/ح١٦٦٨١)، ثلاثتهم من طريق كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة رضي ا عنه. عنـد البخاري بلفظ(**المؤمن مرآة أخيه**)

والحديث فيه صدوقان كثير بن زيد، قال عنه الحافظ يخطئ، التقريب(ج٢/ص١٤٠)، والوليد بن رباح واسمه مقلوب من رباح بن الوليد بن يزيد بن نِمران، التقريب(ج١/ص٢٣٩). **وحسن إسناده ابن حجر** في: **بلوغ المرام من أدلـة الأحكام**, دار الفيحاء، دمشق، (١٩٩٣م), (ص٤٥١)

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد موقوفًا على أبي هريرة(ص٩٠/ح٢٣٨)، عن أصبغ بن الفرج عن عبد ا بن وهـب بن مسلم عن خالد بن حميد عن خالد بن يزيد الجمحِي عن سليمان بن راشد عن عبد ا بن رافع عـن أبـي هريـرة رضي ا عنه.

وخالد بن حميد قال عنه الحافظ: لا بأس به، انظر: التقريب(ج١/ص٢١٠)، وسليمان بن راشد: مقبول(ج١/ص٣١٣)، وقد توبع، ينظر التخريج السابق.

(٣) الطّيبي/ الحسين بن عبد ا (ت٧٤٣هـ), **الكاشف عن حقائق السنن**, ط١، (تحقيق: عبد الحميد هنداوي), مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة-الرياض، (١٩٩٧م), (ج١٠/ص٣١٩١).

(٤) فيض القدير(ج٦/ص٣٢٧)

(٥) العظيم آبادي, عون المعبود(ج٨/ص٢٦٤)

وعن الصنعاني: (أي المؤمن لأخيه كالمرآة التي ينظر فيها وجهه, فالمؤمن يطلع أخـاه على ما فيه من عيب وينبهه على إصلاحه, ويرشده إلى ما يزينه عند مولاه تعالى وإلى ما يزينه عند عباده وهذا داخل في النصيحة)(١).

وقال سلمان العودة حول الحكمة من التّشبيه بالمرآة في النّص الشّريف:

أولاً: أن المرآة صافية, لا يمكن أن تثبت شيئاً ليس موجوداً, فمن يقف أمام مرآة صافية سيرى صورته الحقيقية كما هي من غير زيادة ولا نقص, فالمؤمن ينقل للمؤمن صورته الحقيقية, كمـا أن النّقد هو انعكاس للواقع بإيجابياته وسلبياته وقبحه وجماله. فالمرآة إذاً أمينة.

ثانياً: المرآة كتومة, فلا تنقل الصورة ولا تنشرها ذات اليمين وذات الشمال.

ثالثاً: أن المرآة بلا ذاكرة فبمجرد أن يتجاوز عنها المرء تنمحي الصورة, إذ لا ذاكرة لها تحتفظ بالصورة التي كانت. وبفرض أن المرء كان يحمل شيئاً يقدح في الصورة, ثم ذهب وعدله وعاد مرة أخرى أمام المرآة، فلا شك أنّها ستعرض له صورته الجديدة الجميلة وتنسى بـل وتمحـو الصورة السابقة القديمة. فهي لا تحتفظ بذكريات تطارد المرء وتلاحقه.

ثم أردف, وهكذا ندرك أهمية أو الجانب الشرعي في موضوع النّقد, وأنّه نوع من العلاقة داخل المجتمع المسلم القائم على الإشفاق وعلى الرحمة وعلى التكامل بين المؤمنين(٢).

ولا شك أن من أقوى الأدلة على مشروعية النّقد, ممارسة النّبي صلى الله عليـه وسـلّم لهذه العملية وعلى نطاق واسع, وكذلك إقراره للغير على ممارستها, إذ أنني فيما جمعـت مـن أحاديث حول موضوع الدراسة لم أجد ما يدل على أن النّبي صلى الله عليه وسلّم نهى مرةً عن ممارسة النّقد, وإنّما جاء منه الأمر أو النّهي حول أمـور تتعلـق بهـذه الممارسـة, كالألفـاظ المستخدمة أو الأساليب وغيرها, مما أرسى قواعد وضوابط متينة لهذه العملية لابد من اتّباعهـا والأخذ بها لتبقى ضمن دوائر البناء والإصلاح في المجتمع الإسلامي.

---

(١) الصنعاني/ محمد بن إسماعيل(ت١١٨٢هـ), **سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام**, ط١، (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد), دار العاصمة، السعودية, (٢٠٠١م), (ج٤/ص٦٠٢)

(٢) العودة/ سلمان، **www.awalethnain.com**, لماذا نخاف النقد؟

المطلب الثالث: ممارسة الصحابة للنقد:

ورد في السنّة عن الصحابة -رضوان ا عليهم- ما يؤكّد على تقبلهم للنقد بل وطلـبهم إليه وحرصهم عليه إقامةً للدين وحفاظا عليه, وعلى أنفسهم، ونعرض في ذلـك مثـالين، الأول منهما النّقد الصادر عن عمر بن الخطاب رضي ا عنه للخليفة أبي بكر الصـديق رضـي ا عنه, عندما شَرع في محاربة من امتنع عن أداء الزكاة بعد وفاة النّبي صلى ا عليه وسلّم.

١. فعن أَبي هريرةَ رضِي الله عنْه قَالَ: لَما تُوفي رسولُ اللهِ صلى الله علَيـهِ وسـلم وكَان أَبو بكْرٍ رضِي الله عنْه، وكَفَر من كَفَر مِن الْعربِ. فَقَالَ عمر رضِي الله عنْه: **كَيفَ تُقَاتِلُ الناسَ، وَقَد قَالَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ: (أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ الناسَ حَتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلا الله، فَمَن قَالَهَا فَقَد عَصَمَ مِني مَالَه وَنَفْسَه إِلا بِحَقهِ وَحِسَابه عَلَى اللهِ)**، فَقَالَ: واللهِ لَأُقَاتِلَن من فَرقَ بين الصلَاةِ والزكَاةِ، فَإِن الزكَاةَ حق الْمال، واللهِ لَو منَعونِي عنَاقًا كَانُوا يؤَدونَها إِلَى رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم لَقَاتَلْتُهم علَى منْعِها. قَالَ عمر رضِي الله عنْه: فَواللهِ ما هو إِلا أَن قَـد شَرح الله صدر أَبِي بكْرٍ رضِي الله عنْه فَعرفْتُ أَنه الْحق[1]

لقد سجل الفاروق رضي ا عنه في احتجاجه على خليفة رسول ا صـلى ا عليـه وسلم, ومراجعته له على فعله وقراره في قوله: (**كَيفَ تُقَاتِلُ الناسَ، وَقَد قَالَ رَسولُ اللهِ صَـلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ: أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ الناسَ حَتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلا الله..**), سجل موقفا نقديا عظيمـا على درجةٍ عاليةٍ من الحِرص والمسؤولية تجاه الدين والدولة، فهو الناقد الذي ينْقد منعا لوقـوع المفسدة والضرر على الأمة, حفاظاً على بنائها وصلاح حالها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الزكاة, باب: وجوب الزكاة (ص٢٩٠/ح١٣٩٩)، ومسلم في كتاب الإيمان, باب: الأمر بقتال النـاس حتـى يقولـوا لا إلـه إلا ا محمـد رسـول ا ..(ص٣٧/ح٢٠), وأبـو داود فـي كتـاب الزكـاة, باب.(ص٢٨٩/ح١٥٥٦), والترمذي في الإيمان, باب: ما جاء أُمـرت أن أقاتـل النـاس حتـى يقولـوا لا إلـه إلا ا ,(ص٧٤٩/ح٢٦١٥), والنسائي في الجهاد, باب: وجـوب الجهـاد (ص٤٤٩/ح٣٠٩٣), وأحمـد فـي المسـند، (ج١٦/ص٤٨٩/ح١٠٨٤٠) جميعهم من طريق الزهري عن عبيد ا بن عبد ا بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة رضي ا عنه.

قوله (عناقاً) العناق الأنثى من ولد المعز, وجاء عند مسلم وأبو داود والترمذي بلفظ عِقالاً، وهو الحبل الذي يعقل بـه البعير. وقيل العِقال يطلق على صدقةِ عام, يقال أخذ منه عِقال هذا العام, يعني صدقته, وذهب الأكثر إلى حمل العِقال على حقيقته. انظر ابن حجر في الفتح (ج١٢/ص٣٤٤-٣٤٥).

وهو الناقد الذي لا تمنعه مكانة المنقود أو سلطته من أن يمحص فعله و يحكم عليـه، إذ أن الدين قد أرسى في نفسه حقيقة أن البشر يخطئون, وأنّهم سواسية أمام الحقّ.

وهو الناقد الذي يملك الحجة والدليل على محلّ النّقد وموضوعه.

وهو الذي لايطعن في المنقود أو يشهر به أو يستغلّ خطأه لتحقيق أهداف شخصية, بـل يعدل عن التخطئة الصريحة إلى التلاطف في القول.

ثم هو الناقد الذي لا يعاند إن بدا له قصور في نظره تجاه موضوع النّقد.

كما سجل الصديق رضي ا عنه موقفًا نادرا من صاحب السلطة الأولـى, إذ اكْتفـى وبكل تجردٍ من منزلته ومكانته الاجتماعية وكل متعلقات سلطته وامتيازاتها، اكْتفى بالرد علـى الناقد بما يبين سبب موقعه ويفسر حقيقة قراره واجتهاده، ليصلا بذلك رضي ا عنهمـا إلـى نتيجةٍ واحدة تَصب في مصلحة الأمة, لا مصلحة أي منهما.

وأما **المثال الثاني** فنعرضه من فترة الخلافة العمرية لدولة الإسلام، إذ شَكَا بعض أَهـلُ الْكُوفَةِ آنذاك سعدا بن أبي وقّاص رضِي الله عنْه للخليفة عمر للفاروق في كل شيءٍ حتّى نَقَدوا صلاتَه فيهم، وكان أميراً عليهم.

٢. فعن جابِر بن سمرة رضِي الله عنْه قال: شَكَا أهلُ الكوفة سعداً إلى عمر رضِي الله عنْه، فَعزلَه واستَعملَ علَيهم عمارا، **فَشكَوا حَتى ذَكَروا أَنه لَا يحسِن يصَلي**، فَأَرسلَ إِلَيهِ فَقَـالَ: (**يا أَبا إِسحَاقَ، إِن هَؤُلَاءِ يَزعمونَ أَنكَ لَا تُحسِن تُصَلي**، قَالَ أَبو إِسحاقَ: أَما أَنَا واللهِ فَإِني كُنْتُ أُصلي بِهِم صلَاةَ رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم ما أَخْرِم عنْها، أُصلي صلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَركُد فِـي الْأُولَيين وأُخِف فِي الْأُخْريين، قَالَ: ذَاك الظن بِك يا أَبا إِسحاقَ)، فَأَرسلَ معه رجلًا أَو رجالًا إِلَى الْكُوفَةِ فَسأَلَ عنْه أَهلَ الْكُوفَةِ ولَم يدع مسجِدا إِلا سأَلَ عنْه ويثْنُون معروفًا..[1]

(١) رواه البخاري في كتاب: الأذان, باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم..(ص١٦٢/ح٧٥٥)، ومسلم في الصلاة, بـاب: القـراءة فـي الظهـر والعصـر(ص٢١٧/ح٤٥٣), والنسـائي فـي الافتتـاح, بـاب: الركـود فـي الـركعتين الأوليين(ص١٥٥/ح١٠٠٤), وأحمد في المسند(ج٣/ص١٠٤/ح١٥١٨, ص١٢٤/ح١٥٤٨) أربعتهم من طريق عبـد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة.

زاد مسلم قول سعد: (**تُعلمني الأعراب الصلاةَ؟**)، وعند أحمد: (**آلأعاريب؟ وا ما آلو بهم عـن صـلاة رسـول ا صلى ا عليه وسلم..**) وعند مسلم بلفظ: (**وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول ا ..**)، قال النووي في **المنهاج..** (ص٤٦٨): وما آلو أي لا أقصر في ذلك. وقال ابن حجر في **الفتح**(ج٢/ص٣٠٤): (قول سعد: أَتُعلّمنـي الأعـراب الصلاةَ؟, فيه دلالة على أن الذين شكوه لم يكونوا من أهل العلم, وكأنهم ظنوا مشروعية التسوية بين الركعات فأنكروا على سعد التفرقة).

قال ابن حجر في قوله (**فشكوا**): ليست هذه الفاء عاطفة على قوله (**فعزلـه**) بـل هـي تفسيرية عاطفة على قوله (**شكا**) عطْف تفسير, وقوله (**فعزله واستعمل**..) اعتراض, إذ الشّكوى كانت سابقة على العزل. وعمار هو ابن ياسر استعمله على الصلاة واستعمل ابن مسعود علـى بيت المال, وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، وكأن تخصـيص عمـار بالـذكر لوقـوع التّصريح بالصلاة دون غيرها مما وقعت فيه الشّكوى، وفي قوله: (**يا أبا إسحاق**) وهـي كُنيـة سعد, قال ابن حجر: تعظيم من عمر له, وفيه دلالة على أنه لم تقْدح فيه الشّكوى عنده، وقولـه: (**وما أخْرم**) أي لا أنقص، و(**فأركد في الأوليين**) أي أُطول فيهما القراءة(1).

وهو موقف آخر يسجل للفاروق رضي ا عنه، إذ لم تمنعه مكانة سعدٍ رضي ا عنـه ومعرفته بصلاح حاله من أخذ النقد الموجه إليه على محمل الجد, فوقف موقفًا حياديا, لم يتحيـز فيه لطرف دون آخر, واتخذ عدة إجراءات وتدابير احتياطية ووقائية منعـاً لوقـوع ضـرر أو مفسدة، إذ استدعى سعدا رضي ا عنه, وعرض عليه الشّكوى على سبيل السؤال والإستفسـار والإستفهام لا على سبيل الطعن والإتهام، كما بعث تحريا إلى الكوفة ليطّلِع على حـال الأميـر هناك ويستطْلِع آراء الناس حوله، وقام بعزله عن الإمارة –رغم ثناء النّاس عليه- لا ظلمـا ولا تعسفا وإنّما احتياطا للدولة خوفا من وقوع فتنة أو مفسدة باستمرار ولايتِهِ.

قال النووي: (فيه أن الإمام إذا شُكِي إليه نائِبه بعث إليه واستفْسره عن ذلـك, وأنّـه إذا خاف مفسدة باستمراره في ولايته ووقوع فتنة عزلِه, فلهذا عزلَه عمر رضي ا عنه مع أنّه لم يكن فيه خلل, ولم يثبت ما يقدح في ولايته وأهلِيتِه..)(2). ثم ذكر ما ثَبتَ عند البخاري في حديث مقتل عمر والشورى, أن عمر رضي ا عنه لما طُلِب إليه وهو على فراش الموت أن يستَخلِف خليفةً بعده قال: (ما أَجِد أَحدا أَحق بِهذَا الْأمر مِن هؤُلَاءِ النفَرِ أَو الرهطِ الَذِين تُوفي رسولُ اللـهِ صلى الله علَيهِ وسلم وهو عنْهم راضٍ..، فسمى.. سعدا منهم، وقال: فَإِن أَصابتْ الْإِمرةُ سـعدا فَهو ذَاك، وإِلا فَلْيستَعِن بِهِ أَيكُم ما أُمر، **فَإِني لم أَعزلْه عَن عَجزٍ وَلَا خِيَانَةٍ**..)(3)

---

(1) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص٣٠٣،٣٠٢)

(2) النووي**,** المنهاج(ص٤٦٧)

(3) رواه البخاري في كتاب: فضائل أصحاب النّبي صلى ا عليه وسلم, باب: قصة البيعة والإتفاق علـى عثمـان بـن عفان(ص٧٧٢/ح٣٧٠٠), قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانه عن حصين عن عمرو بن ميمـون قـال: رأيت عمر بن الخطاب رضي ا عنه قبل أن يصاب بأيام.. وساق الحديث بطوله وفيه قصة مقتل عمر بن الخطّاب رضي ا عنه.

المبحث الثالث: أقسام النقد

تبين سابقا معنى النقد واستعمالاته في اللغة والاصطلاح والسنة المشرفة، وعلاقته بجملة من المصطلحات الواردة في الشرع أو المستفادة منها، وبعض العلوم الأخرى، كما تـم إبـراز الجانب الشرعي في موضوع النقد، وأُشير سريعا إلى تقسيمات النقد، وهو ما سيتم تناوله بشيء من التفصيل في هذا المبحث.

المطلب الأول: تقسيمه باعتبار الجهة المنْتَقَدَة

الفرع الأول: نقد الذات أو النقد الذاتي:

الذات هي النفس والشخص[1]، ونقدها يعني أنها الناقد والمنقود؛ وما يتصل بها من قول أو عمل أو هيئة أو نحو ذلك هو محل النقد وموضوعه. ورغم أن مصطلح نقد الذات مصـطلح حديث إلا أنه في مضمونه ودلالاته ليس كذلك، وقد تبين سابقًا اتصاله بمصطلح محاسبة النفس؛ قال القرضاوي: (والناس يرددون اليوم كلمة النقد الذاتي، ولا حرج في استعمال الكلمـة، إنمـا الحرج في اعتبار هذا المعنى جديدا علينا مقْتَبسا من غيرنا، وما هو إلا محاسبة النفس التي جاء بها قرآنُنا وسنتُنا وحفلت بها مصادر ثقافتنا)[2].

وجاء في بيان مفهوم نقد الذات أو النقد الذاتي بأنه:

- المراجعة الدائمة، والتقييم المستمر، الذي يجب أن يقوم به الفرد أو الجماعة دون توقف، ضمن مجموعة من الضوابط السليمة التي تكفل لهذه العملية أن تنمو وتتطـور وتتواصـل بشكل كامل وموضوعية تامة[3]
- إعلان العقل الواعي، والتعامل مع الأفكار كقيمة ذاتية أو كوحدات موضوعية، انفصلت فيها عن الشخصية[4]

---

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفي(ج١/ص٥٧٩)

(٢) القرضاوي/ يوسف،(١٩٩٢م)، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ط٤، القاهرة: مكتبة وهبة. (ص٧٩)

(٣) قوش/ يوسف عمر، (١٩٩٧م)، النقد الذاتي، خُطوة على الطريق، **مجلة البيان**، السنة الثانيـة عشـرة، العـدد١١٥، (ص٢٤- ٢٩)

(٤) جلبي/خالص، (١٩٨٤م)، **في النقد الذاتي**، ط١، مؤسسة الرسالة. (ص١٣)

- مراجعة النفس أو النشاط فرديا كان أو جماعيا، ثم محاسبتها(١)
- الكشف عن عيوب نفسك بنفسك، ومعرفة أسبابها، ومحاسبتها، وتقويم معوجها(٢)
- عملية تحدث داخل النفس الإنسانية، تسعى إلى التعرف على مواطن الخلل ومواجهة النفس بها، ومن ثم لومها ومحاسبتها بشكل مستمر، حتى يكون اللوم والمعاتبة صفة راسخة في النفس، تؤدي إلى صلاحها(٣)

فتشير التعريفات إلى كونها عملية محاسبةٍ ذاتيةٍ تتم من خلال المراجعة والكشف والتقييم، وتهدف إلى الإصلاح والتقويم، وذلك على صعيدين: صعيد الفرد وصعيد المجموعة، فينقسم نقد الذات إلى:-

أولا: نقد الذات الفردية:

أي نقد الشخص نفسه بنفسه، ومثاله في السنة ما روي من حديث عَائِشَةَ رضي ا عنها قَالَتْ: خَرَج النبي صلى الله عليهِ وسلم مِن عِنْدِي وهو قرير الْعين طَيب النفْس، فَرجع إِلَي وهو حزين، فَقُلْتُ لَه، فَقَالَ: **(إِني دَخَلْتُ الْكَعبَةَ وَوَدِدتُ أَني لم أَكُن فَعَلْتُ، إِني أَخَافُ أَن أَكُونَ أَتْعَبتُ أُمتِي مِن بَعدِي)**(٤)

---

(١) خالص جلبي، في النقد الذاتي(ص٢٠)

(٢) جادو/ عبد العزيز،(٢٠٠٠م)، **الطريق إلى علم النور والحق في ضوء علم النفس الحديث**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية. (ص٢٧)

(٣) حداد/ خلود عبد الكريم، (٢٠٠٤م)، **النقد الذاتي في ضوء التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن. (ص١٤)

(٤) رواه أبو داود في كتاب: المناسك، باب: في دخول الكعبة(ص٣٧٥/ح٢٠٢٩)، والترمذي في الحج، باب: ما جاء في دخول الكعبة(ص٢٧٢/ح٨٧٤)، وابن ماجه في المناسك، باب: دخول الكعبة(ص٧٠٥/ح٣٠٦٤)، وأحمد في المسند(ج٤١/ ص٥٠٤/ح٢٥٠٥٦)، وابن خُزيمة/ محمد بن إسحاق(ت٣١١هـ)، **صحيح ابن خزيمة**، ط٣، (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، (٢٠٠٣م)،(ج٢/ ص١٤١١/ح٣٠١٤)، والحاكم في المستدرك(ج١/ص٤٧٩)، جميعهم من طريق إسماعيل بن عبد الملك عن عبد ا ابن أبي مليكة عبد ا بن عبيد ا ، عن عائشة رضي ا عنها.

والحديث رجاله ثقات، رجال الشيخين غير إسماعيل بن عبد الملك وهو ابن أبي الصفَير قال عنه ابن معين في التاريخ(ج٢/ص٣٦): ليس بالقوي، وهو قول النسائي في **الضعفاء والمتروكين**،ط٢، (تحقيق: بوران الضناوي، وكمال الحوت)، مؤسسة الكتب الثقافية، (١٩٨٧م)، (ص٤٩)، وقال الحافظ في التقريب(ج١/ص٨٣)،: صدوق كثير الوهم، ونقل الذهبي تضعيف ابن مهدي وابن معين له، وقال: مشّاه بعضهم، انظر: الذهبي/محمد بن أحمد(٧٤٨هـ)، **المغني في الضعفاء**، ط١، (تحقيق: أبي الزهراء)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٧م)، (ج١/ص٨٤) .

وصححه الترمذي قال: حسن صحيح. والحاكم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتابعه الذهبي بقوله: صحيح، سمعه عبيد ا بن موسى منه-أي ابن أبي الصفير-، ونقل ابن حجر في الفتح(ج٣/ص٥٩٥) تصحيح الترمذي وابن خزيمة والحاكم وسكت عليه، وصحح إسناده محمد الأعظمي في تحقيق صحيح ابن خزيمة، وضعفه الألباني في **ضعيف ابن**

ثانيا: نقد الذات الجَمعية:

أي نقد الجماعة –أي جماعة- ذاتها، باعتبارها شخصا واحدا، تشـترك فـي الأهـداف والمصير. ومثاله ما روي عن سلَمةَ بن الأكوع رضِي الله عنْه قَالَ: خَفتْ أزواد الْقَومِ وأَملَقُوا فَأَتَوا النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فِي نَحرِ إِبِلِهِم فَأَذِن لَهم، فَلَقِيهم عمر فَأَخْبروه فَقَالَ: **مَا بَقَـاؤُكُم بعدَ إِبِلِكُم؟،** فَدخَلَ علَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ، **مَا بَقَاؤُهم بعدَ إِبِلِهـم؟،** فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**نَادِ فِي الناسِ فَيأْتُونَ بِفَضلِ أَزوَادِهِم**) فَبسِطَ لِذَلِك نِطَـع وجعلُوه علَى النطَعِ. فَقَام رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فَدعا وبرك علَيهِ ثُم دعاهم بِـأَوعِيتِهِم فَاحتَثَى الناس حتى فَرغُوا، ثُم قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (أَشْهد أَن لَا إِلَه إِلا الله وأَني رسولُ اللهِ)(١).

وفي رواية: (لَما كان غَزوةُ تَبوك، أَصاب الناس مجاعةٌ. قَالُوا: يا رسولَ اللهِ، لَو أَذِنْتَ لَنَا فَنَحرنَا نَواضِحنَا فَأَكَلْنَا وادهنا. فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (افْعلُوا). قَـالَ: فَجـاء عمر، فَقَالَ: **يا رَسولَ اللهِ! إِن فَعلْتَ قَلَّ الظهر، وَلَكِن ادعهم بِفَضلِ أَزوَادِهِم، ثُم ادع اللهَ لهـم عَلَيها بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَن يَجعَلَ فِي ذَلِكَ.** فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (نَعم)، قَـالَ: فَدعا بِنِطَعٍ فَبسطَه، ثُم دعا بِفَضلِ أَزوادِهِم..)(٢).

أما ما يشير إليه التعريفان الأول والأخير من تقييدِ ما يقوم به الفرد أو تقوم به الجماعة من مراجعةٍ وتقييمٍ **بالديمومَةِ والاستمرار** فهو ما يوحِي به التعبير الإلهي عن النفس المقْسمِ بها

ماجه(ص٢٤٤/ح٣١٢١)، وبشار معروف في تحقيق ابن ماجه(ج٤/ص٥٠٧) قال: إسناده ضعيف لضعف إسـماعيل بـن عبد الملك، يعتبر به عند المتابعة ولم يتابع، وحسنه شعيب الأرناؤوط قال: **حسن لغيره، وإسناده ضعيف لضعف إسماعيل بن عبد الملك**، ولعله حسنه بالطريق الذي رواه أحمد في المسند(ج٤٢/ص١١٠/ح٢٥١٩٧) عن عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد عن جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي عن عرفجة بن عبد ا عن عائشة رضي ا عنها قالت: دخل علي النبي صلى ا عليه وسلم يوما فقال: **لَقَد صَنَعتُ الْيَومَ شَيئًا وَدِدتُ أَني لم أَفْعَله، دَخَلْتُ الْبَيتَ فَأَخْشَى أَن يَجِيءَ الرجلُ مِن أُفُقٍ مِن الْآفَاقِ فَلَا يَستَطِيع دخُوله، فَيَرجِع وَفِي نَفْسِهِ مِنْه شَيء)، وإسناده ضعيف** لضـعف جـابر بـن يزيـد، انظـر التقريب(ج١/ص١٢٨)، قال شعيب: **حسن لغيره**.

(١) رواه البخاري في كتاب: الشركة، باب: الشركة في الطعام والنّهد والعروض (ص٥١٤/ح٢٤٨٤)، من طريق يزيـد بن أبي عبيد مولى سلمة عن سلمة رضي ا عنه، ومن طريق إياس بن سلمة عن أبيه رواه مسلم في كتاب اللقطـة، باب: استحباب خلْط الأزواد إذا قلّت والمؤاساة فيها (ص٨٧٤/ح١٧٢٩). وفيها ذكر الهم بنحر الإبل وجمـع الأزواد، دون ذكر قول عمر رضي ا عنه.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً(ص٤٠/ح٢٧) من طريـق الأعمش عن أبي صالح - ذكوان– عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري (شك الأعمش).

عنده: بالنفس اللّوامة، التي تعيش دوما عملية المراجعة والمحاسبة للذات، قال تعالى: **لا أُقْسِم بِيَومِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِم بِالنفْسِ اللوَامَةِ** القيامة آية:١،٢، فهي عملية ينبغي أن تكون متواصلة لا تتوقف لأهميتها ودورها في التغيير والبناء.

كما يذكر التعريفان الأول والثاني ضابطًا مهما من الضوابط التي يرتكز عليها نجاح العملية النقدية، سواء كانت نقدا للذات أو الآخر؛ وهو ما عبر عنه التعريف الأول بالموضوعية التامة، والتعريف الثاني بالتعامل مع الأفكار كقيمة ذاتية أو كوحدات موضوعية انفصلت فيها عن الشخصية.

والموضوعية -بشكل عام- صفة تُطلق عند إرادة تقييم أمر ما أو ظاهرة أو نحو ذلك تقييما صحيحا، إذ تنادي الموضوعية بالحِياد والنزاهة في الموقف، وتمنع من التأثر بالتّحيزات؛ فالموضوعية غياب لكل عوامل التحيز وكف لتأثيرها، كتأثير دوافع الشخص وعرفِهِ وقيمِهِ وموقفه الاجتماعي، فأن تكون موضوعيا معناه ألّا تتأثر بدوافعك وعرفِك وقيمِك وموقفَك الاجتماعي، والحكْم الموضوعي حكْم قد التزم بالموضوع المحكوم عليه(١).

وعرفَتْ **الموضوعية في التربية الإسلامية** بأنها:

(سِمةُ كل نشاط عقلي هادفٍ ومرن، يتصرف بشكل منظم-وفق شريعة ا -، ومقصود يستَهدِفُ حل المشكلات التي تعترض طريق الإنسان وتربيته، كما تستهدف دراسة الظواهر المختلفة وفهمها من أجل تفسيرها واستشراف مستقبلها، والوقوف على الحقيقة والتعامل معها بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية)(٢).

والذاتية هنا خِلاف الموضوعية فهي: غلبة رغبات الفرد الخاصة على الموضوعية في إدراكه وتفكيره؛ والإدراك بصورة ذاتية يعني ميل الفرد إلى إدراك الآخرين على الصورة التي يعرف بها نفسه(٣). ويطلقون على الذاتية مصطلح النرجسية.

---

(١) قنصوة/ صلاح،(١٩٨٠م)، **الموضوعية في العلوم الإنسانية**، دار الثقافة، القاهرة. (ص٥٩)

- الصايغ/ عبد ا أحمد،(١٩٨٣م)، **الموضوعية في البحث الاجتماعي**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق. (ص٩٥)

(٢) جرادات/ عبد الرزاق نجيب،(٢٠٠١م)، **الموضوعية في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن. (ص١٨)

(٣) معجم المصطلحات التربوية والنفسية،(ص١٨٦)

وبالإضافة لما يحققه النقد الذاتي على الصعيدين الفردي والجمعي من التغيير والإصلاح والبناء والتطوير الذي تذكره التعريفات، ، فهو يحقق كذلك:

- التعويد على محاسبة النفس، وخَلْق رادع داخلي يسهم في الحد من ارتكـاب الأخطـاء، ويعين على التزام الطريق المستقيم. كما يسهم في تقليل النقد الموجه من الآخر.
- التزويد بالشجاعة اللازمة للاعتراف بالذنب أو الخطأ، ولقبول النقد.
- التعويد على التواضع والبعدِ عن الكِبر، وتعزيز مبدأ أن لا عصمة لأحد، وأن أي نفـس معرضة للنقد، من خلال تناول ما يتصل بها من فكر أوسلوك أو ما شابه ذلـك بالمراجعـة والتحليل.
- المساهمة في تقبل الذات واحترامها وازدياد الثقة بها.
- تدريب الذات على حسن توجيه العقل وقيادته، وعلى تكوين أحكام صحيحة.

الفرع الثاني: نقد الآخر:

يلحظ في الشريعة الإسلامية تعدد الآيات والأحاديث الـواردة فـي موضـوع الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة الصريحة المباشرة للمؤمنين للقيام بمهام تلـك العمليـة وعدم التقصير فيها، بل جعل ا تعالى منها سمةً لخير أمةٍ تعرفها البشرية، قال تعالى: **كُنـتُم خَيرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناس تَأْمرونَ بِالْمَعروفِ وَتَنْهَوونَ عَن الْمنكَر وَتُؤْمنُـونَ بِاللّـهِ** آل عمـران آية:١١٠؛ كما تفوق تلك الآيات في عددها والدعوة إليها الآيات الواردة في محاسبة المرء نفسـه بنفسِه، وذلك أن المرء قد لا يرى عيب نفسه، أو قد يراه على غير حقيقته، كما قد يسيء تحليله وتقييمه واختيار أسلوب تقويمه؛ وقد يمنعه حب الذات والاعتزاز بها من الاعتراف بالـذنب أو حتى مجرد الالتفات إليه، ومن هنا تأتي الحاجة لوجود ما يعرف بنقد الآخر كما تبرز أهميته في حياة المسلم كوسيلة من وسائل التغيير والإصلاح والبناء.

وتطالعنا الأحاديث النبوية الشريفة بالكثير من المواقف النقدية التي تناول النبي صلى ا عليه وسلم فيها نَقدا للآخر على اختلافه، ولا غرابة في ذلك فهو النبي المعلم الذي بعثه ا هاديا للبشرية ورحمة لها، ومقوما لسلوكياتها وموجها لأخلاقها؛ فيمكن القول بأنه كان **نقدا شـموليا،** بمعنى أنه شمل مختلف أصناف المجتمع بما فيهم غير المسلمين هذا من ناحيـة، ومـن ناحيـة أخرى شمل جميع ما يصدر عن الآخر من معتقدات وسلوكيات وممارسـات، كتلـك المتصـلة بالعبادات والعقائد والأفكار والتعبيرات وغيرها.

وفيما يلي أمثلة على بعض ما تناوله النبي صلى ا عليه وسلم بالمراجعة والنقد، على سبيل الذكر لا الدراسة والتحليل، إذ سيتم تناول أساليبه صلى ا عليه وسلم في النقد في موضعه من هذه الدراسة بمشيئة ا .

١- نقد الآخر في مجال العقائد:

عن عبد ا بن عمرو بن العاص –رضي ا عنهما- قال: **خَرَجَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ عَلى أَصحَابِهِ وَهم يَخْتَصِمونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنمَا يفْقَأُ فِي وَجهِهِ حَب الرمان مِن الْغَضَبِ، فَقَالَ: (بِهَذَا أُمِرتُم أَو لِهَذَا خُلِقْتُم تَضرِبونَ الْقُرآنَ بَعضَه بِبَعضٍ، بِهَذَا هَلَكَتْ الأُمَم قَبلَكُم)** قَالَ فَقَالَ عبد اللهِ ابن عمرٍو: ما غَبطْتُ نَفْسِي بِمجلِسٍ تَخَلَفْتُ فِيهِ عن رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم ما غَبطْتُ نَفْسِي بِذَلِك الْمجلِسِ وتَخَلُفِي عنْه[1].

محل النقد الذي تناوله النبي صلى ا عليه وسلم هو: **موضوع الحوار الذي أنشأته تلك الجماعة من الصحابة ويتعلق بالقدر، والطريقة التي تمت مناقشته فيها، وبَدَتْ النصوص معها وكأن بينها تعارضا واختلافا.**

٢- نقد الآخر في مجال العبادات:

عن أَبِي هريرةَ رضِي الله عنْه أَن رجلًا دخَلَ الْمسجِد ورسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم جالِس فِي نَاحِيةِ الْمسجِدِ، فَصلى ثُم جاء فَسلم علَيهِ، فَقَالَ لَه رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (وعلَيك السلَام، **ارجِع فَصلِّ فَإِنكَ لَم تُصلِّ**) فَرجع فَصلى، ثُم جاء فَسلم فَقَالَ: (وعلَيك السلَام **فَارجِع فَصلِّ فَإِنكَ لَم تُصلِّ**) فَقَالَ فِي الثانِيةِ أَو فِي التِي بعدها: علمنِي يا رسولَ اللهِ، فَقَالَ: (إِذَا قُمتَ إِلَى الصلَاةِ فَأَسبِغْ الْوضوء، ثُم استَقْبِلْ الْقِبلَةَ فَكَبر، ثُم اقْرأْ بِما تَيسر معك مِن الْقُرآن، ثُم اركَع حتى تَطْمئِن راكِعا، ثُم ارفَع حتى تَستَوِي قَائِما، ثُم اسجد حتى تَطْمئِن ساجِدا، ثُم ارفَع حتى تَطْمئِن جالِسا، ثُم اسجد حتى تَطْمئِن ساجِدا، ثُم ارفَع حتى تَطْمئِن جالِسا، ثُم افْعلْ ذَلِك فِي صلَاتِك كُلِّها)[2]. ومحلّ النقد في النص: **طريقة الرجل في أداء صلاته، وكانت ناقصة تحتاج لإكمال.**

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب: السنة، باب: في القدر(ص٤١/ح٨٥)، وأحمد في المسند(ج١١/ص٢٥٠/ح٦٦٦٨) كلاهما من طريق أبي معاوية محمد بن خازم عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب بن محمد عن جده عبد ا بن عمرو بن العاص رضي ا عنه به. **والحديث إسناده حسن، فعمرو بن شعيب وأبيه صدوقان،** راجع التقريب(ج٢/ص٧٨)،(ج١/ص٣٣٩)، **وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سلسلة من أعلى درجات الحسن.**

(٢) **(متفق عليه).** رواه البخاري في كتاب: الاستئذان، باب: من رد فقال عليك السلام(ص١٢٧٨/ح٦٢٥١)، ومسلم في الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة..(ص١٩١/ح٣٩٧)، وأبو داود في الصلاة، باب: صلاة من لا يقيم

٣- نقد الآخر من عمال الدولة وموظفيها:

عن أَبِي حميدٍ الساعِدِي رضي ا عنه أَن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم استَعملَ عامِلًا، فَجاءه الْعامِلُ حِين فَرغَ مِن عملِهِ فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ هذَا لَكُم وهذَا أُهدِي لِي، فَقَالَ لَه: (**أَفَلَا قَعدتَ فِي بَيتِ أَبِيكَ وأُمكَ فَنَظَرتَ أَيهدَى لَكَ أَم لَا**)؟ ثُم قَام رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم عشِيةً بعد الصلَاةِ، فَتَشَهد وأَثْنَى علَى اللهِ بِما هو أَهلُه، ثُم قَالَ: (**أَما بعد فَما بَالُ الْعامِلِ نَستَعمِلُه فَيأْتِينَا فَيقُولُ هَذَا مِن عَمَلِكُم وَهَذَا أُهدِيَ لِي؟ أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيتِ أَبِيهِ وأُمهِ فَنَظَرَ هَلْ يهدَى لَه أَم لَا..**)؟[1]

محل النقد: **قبول العامل لهدايا المؤدين للزكاة، كون ذلك جاء بسبب موقعه وعمله في الولاية على جَمع أموال الصدقات، كما يبدو من كلام النبي صلى ا عليه وسلم، وفي قبوله للهدايا شبهة عليه الاحتراز منها.**

٤- نقد الآخر في مجال السلوكات عامة:

عن عبادِ بن شُرحبِيلَ رضي ا عنه قَالَ: **قَدِمتُ مَعَ عمومَتِي الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِن حِيطَانِهَا، فَفَرَكْتُ مِن سنْبلِهِ، فَجَاءَ صَاحِب الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي**، فَأَتَيتُ رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم أَستَعدِي علَيهِ، فَأَرسلَ إِلَى الرجلِ فَجاءوا بِهِ، فَقَالَ: (ما حملَك علَى هذَا)؟ فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ إِنه دخَلَ حائِطِي فَأَخَذَ مِن سنْبلِهِ فَفَركَه، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**مَا عَلمتَه إِذْ كَانَ جَاهِلًا، وَلَا أَطْعَمتَه إِذْ كَانَ جَائِعا، اردد عَلَيهِ كِسَاءَه**)[2].

صلبه في الركوع والسجود(ص١٦٦/ح٨٥٦)، والترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في وصف الصلاة(ص١٠٨/ح٣٠٣)، والنسائي في الافتتاح، باب: فرض التكبيرة الأولى(ص١٧٣/ح٨٨٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب: إتمام الصلاة(ص٢٥٤/ح١٠٦٠)، وأحمد في المسند(ج١٥/ص٤٠٠/ح٩٦٣٥)، جميعهم من طريق عبيد ا بن عمر بن حفص عن سعيد ابن أبي سعيد المقْبري عن أبي هريرة رضي ا عنه.

(١) رواه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي(ص١٣٤٠/ح٦٦٣٦)، ومسلم في الأمارة، باب: تحريم هدايا العمال(ص٩٣٦/ح١٨٣٢)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء، باب: في هدايا العمال(ص٥٦١/ح٢٩٤٦)، وأحمد في المسند(ج٣٩/ص٧/ح٢٣٥٩٨)، والدارمي في الزكاة، باب: ما يهدى لعمال الصدقة لمن هو؟(ص٤٨٩/ح١٦٧٥)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي عبد الرحمن بن سعد رضي ا عنه.

(٢) رواه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في ابن السبيل يأكل من التمر ويشرب من اللبن إذ مر به(ص٤٨٩/ح٢٦٢٠)، والنسائي في آداب القضاة، باب: الاستعداء(ص٧٦٥/ح٥٤١١) واللفظ له، وابن ماجه في التجارات، باب: من مر على ماشية قوم أو حائط، هل يصيب منه؟(ص٥٣٢/ح٢٢٩٨)، وأحمد في المسند(ج٢٩/ص٦٤/ح١٧٥٢١)، والحاكم في المستدرك(ج٤/ص١٣٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، جميعهم من طريق أبي بشر جعفر بن إياس بن أبي وحشية، عن عباد بن شُرحبيل اليشْكري رضي ا عنه. جاء من رواية أبي داود قول عباد: (**أصابتني سَنَةٌ فدخلت**

محلّ النقد: **سوء تعامل صاحب البستان مع الرجل صاحب الحاجة حين حَرَمَه من قضاء حاجته، وزاد على ذلك بأن ضربه وأخذ كسائه وترك تعليمه الصواب، وفي موقفه تعسف وتشديد واضحين.**

٥- نقد الآخر في مجال التعبير:

عن عَدِي بن حاتِمٍ رضي ا عنه أن رجلًا خَطَب عِنْدَ النبي صلى الله عليْهِ وسلم فقَالَ: **مَن يطِعِ اللهَ وَرَسوله فقَدْ رَشَدَ وَمَن يَعصِهِمَا فقَدْ غوَى** فقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم: (**بِئْسَ الْخَطِيب أنْتَ، قُلْ وَمَن يَعص اللهَ وَرَسوله فقَدْ غوِيَ**)(١)

محلّ النقد: **أسلوب الرجل وتعبيراته في خطبته.**

٦- نقد الآخر في مجال التفكير والرأي:

عن أم العلاء بِنْت الحارث رضي ا عنها أن عثمان بن مظْعونٍ سكن عِندهم فاشْتَكى فَمرضوه حتى إذا تُوفي وجعلوه فِي ثِيابِهِ دخَلَ عليهم النبي صلى ا عليه وسلم فقالتْ أم العلاء: رحمةُ ا عليك أبا السائب، **فشهادَتِي عَلَيْكَ لقد أكْرَمَكَ ا** ، فقال النبي صلى ا عليه وسلم: **وَمَا يدرِيكِ أن ا أكْرَمَه!** قَلْتُ: لا أدري بِأبي أنت وأمي يا رسول ا ، فقال رسولُ ا صلى ا عليه وسلم: **أما عثمان فَقَدْ جَاءَه وَا اليَقين وَإني لأرجو لَه الخَير، وا لا أدري وَأنا رَسولُ ا ما يفْعَلُ بِهِ.** قالت: فَوا لا أزكي أحدا بعده أبدا، وأحزنَنِي ذلك(٢).

حائطا..)، وعند ابن ماجه: **(أصابنا عام مخْمصة فأتيت المدينة..). والحديث صحح إسناده** ابن حجر في **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٥م)، في ترجمة عباد(ج٣/ص٤٩٩/ترجمة٤٤٨٤) قال: (**رواه أبو داود والنسائي.. بإسناد صحيح عن أبي بشر**). وعباد بن شرحبيل قال عنه ابن عبد البر/ يوسف بن عبد ا (٤٦٣هـ)، في **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ط١، (تحقيق: عادل مرشد)، دار الأعلام، عمان، (٢٠٠٢م)، (ص٤٧٢/ترجمة١٦٨٨): (**روى عنه جعفر بن أبي وحشية قصة ليس له غيرها، أنه قال: دخلت حائطا..**)، ونقل الحافظ في الإصابة قول ابن السكن عنه، قال: (يقال له صحبة وفيه نظر)، ورجح صحبته في التقريب(ج١/ص٣٧٣)، قال: (صحابي، نزل البصرة).

(١) رواه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والجمعة(ص٣٩٣/ح٨٧٠)، وأبو داود في الصلاة، باب: الرجل يخطب على قوس (ص٢٠٩/ح١٠٩٩)، والنسائي في النكاح، باب: ما يكره من الخطبة(ص٤٧٩/ح٣٢٨١)، وأحمد في مسنده (ج٣٠/ص١٨٢/ح١٨٢٤٧)، جميعهم من طريق سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن تميم بن طرفة عن عدِي بن حاتم.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: القرعة في المشكلات(ص٥٥٩/ح٢٦٨٧)، وأحمد في المسند(ج٤٥/ص٤٤٩، ٤٥٠/ح٢٧٤٥٧)، كلاهما من طريق ابن شهاب الزهري عن خارجة بن زيد الأنصاري عن أم العلاء رضي ا عنها.

وفي رواية: بِأبي أنْتَ يا رسول الله، فمن يكْرِمه الله!(١)

محلّ النقد: **تفكير أم العلاء رضي الله عنها، ورأيها في أن أبا السائب قد أُكْرِمَ عند الله تعالى، وهو أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى.**

٧- نقد الآخر في مجال الأمور الشخصية-مثاله:نقد الأسماء-:

عن حزن بن أبي وهب رضي الله عنه، أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال-النبي-: (**مَا اسمك**)؟، قال: حزن، قال:(**أنْتَ سَهل**)، قالَ: **لا أغير اسما سَماَنِيهِ أبِي**. وفي رواية: قال: **لا، السهلُ يوطأُ وَيمتهَن**. قال سعيد بن المسيب –وكان حزن جده-:فما زالت الحزونَةُ فينا بعد(٢).

محلّ النقد: **في تناوله صلى الله عليه وسلم اسم حزن وتغييره، دلالة ضمنية على نقد التسمية به، وبغيره مما هو في حكمه.**

٨- نقد الآخر من غير المسلمين:

عن عائِشَةَ وعبد اللهِ بن عباسٍ رضي الله عنهما قالَا: لَما نَزلَ بِرسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم طَفِقَ يطْرح خَمِيصةً لَه على وجهِهِ، فَإِذَا اغْتَم بِها كَشَفَهَا عن وجههِ، فَقَالَ وهو كَذَلِك: (**لَعنَةُ اللهِ عَلى الْيهودِ وَالنصَارَى اتخَذُوا قُبورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ**) يحذر ما صنَعوا(٣)

محلّ النقد: **انحراف اليهود والنصارى في عقائدهم بتعظيم قبورأنبيائهم، واتخاذها مساجد للعبادة والتقرب إلى الله تعالى.**

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أُدرج في أكفانه(ص٢٥٨/ح١٢٤٣)، من طريق عقيل عن ابن شهاب بسنده.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: اسم الحزن(ص١٢٦٨/ح٦١٩٠)، وأبو داود في الأدب، باب: تغيير الاسم القبيح(ص٩٢٦/ح٤٩٥٦)، وأحمد في المسند(ج٣٩/ص٧٧/ح٢٣٦٧٣)، ثلاثتهم من طريق عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده حزن رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الصلاة، باب.(ص١٠٥/ح٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور..(ص٢٤٥/ح٥٣١)، والنسائي في المساجد، باب: النهي عن اتخاذ القبور مساجد(ص١١٠/ح٧٠٥)، وأحمد في المسند(ج٤٣/ص٨٧/ح٢٥٩١٦)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: تقسيمه باعتبار الأثر:

أثر الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده[١]. وقد ذكر سابقا أن للنقد في الممارسات البشرية صورتين، الأولى إيجابية يراعي الناقد فيها أداء نقده على الشكل الصحيح الذي يحقق مصلحة المنقود ويدفعه نحو التغيير، والثانية سلبية تجعل من النقد أمرا مزعجا وغير مقبول، ويفترض أن يترتب على الصورة الأولى الأثر الإيجابي البنّاء، وعلى الصورة الثانية الأثر السلبي الهدام.

ويعتبر الأثر المترتب على عملية النقد سواء ما كان منها نقدا للذات أو الآخر، من أهم مراحل تلك العملية، فهو **ثمرتها والنتيجة التي انتهت إليها**؛ وهذا الأثر إما أن يكون **إيجابيا بناءا أو سلبيا هَدّاما** كما تقدم، وفيما يلي أمثلة من السنة النبوية على كلا الأثرين.

الفرع الأول: النقد الإيجابي البنّاء:

لا شك أن جميع الانتقادات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هي من قبيل النقد الإيجابي البناء، وستعرض الدراسة في الفصول الخاصة ببيان أساليبه صلى الله عليه وسلم في النقد جملة من الأحاديث التي تبرز الإيجابية والبناء في نقده صلى الله عليه وسلم.

ونعرض في هذا الفرع مثالا نقديا صادرا عن الفاروق رضي الله عنه، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم عليه، بل ورتب عليه التغيير.

فعن سلَمةَ بن الأكوعِ رضِي الله عنْه أنه قَالَ: خَفتْ أَزواد الْقَومِ وَأَملَقُوا فَأَتَوا النبي صلى الله علَيهِ وسلم فِي نَحر إِبِلِهم فَأَذِن لَهم، فَلَقِيهم عمر فَأَخْبروه فَقَالَ: **مَا بَقاؤُكُم بَعدَ إِبِلِكُم؟**، فَدخَلَ علَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ، **مَا بَقاؤُهم بَعدَ إِبِلِهم**؟، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**نَادِ فِي الناس فَيأْتُونَ بِفَضلِ أَزوَادِهِم**) فَبسِطَ لِذَلِك نِطَع وجعلُوه علَى النطَعِ. فَقَام رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فَدعا وبرك علَيهِ ثُم دعاهم بِأَوعِيتِهِم فَاحتثَى الناس حتى فَرغُوا، ثُم قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (أَشْهد أَن لَا إِلَه إِلا الله وأَني رسولُ اللهِ)[٢].

---

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، (ص٦٢)

(٢) سبق تخريجه، ينظر(ص٦٢)

وفي رواية: (لَما كان غَزوةُ تَبوك، أَصاب الناس مجاعةٌ. قَالُوا: يا رسولَ اللهِ، لَو أَذِنْتَ لَنَا فَنَحرنَا نَواضِحنَا فَأَكلْنَا وادهنا. فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (افْعلُوا). قَـالَ: فَجـاء عمر، فَقَالَ: **يَا رَسولَ اللهِ! إِن فَعلْتَ قَلَّ الظهر، وَلَكِن ادعهم بِفَضلِ أَزوَادِهِم، ثُم ادع اللهَ لهـم عَلَيهَا بِالْبَركَةِ، لَعَلَ اللهَ أَن يَجعَلَ فِي ذَلِكَ.** فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (نَعم)، قَـالَ: فَدعا بِنِطَعٍ فَبسطَه، ثُم دعا بِفَضلِ أَزوادِهِم ..)(1).

وفي الحديث نموذج للنقد الإيجابي البنّاء الذي اجتمع فيـه صـلاح الـدافع مـن إرادة المصلحة العامة والتركيز عليها، وحسن تناول الموقف محلّ النقد بالتحليل والمناقشه والتقيـيم، وسداد الرأي فيه، مع مراعاة تقديمه بأسلوب لا يخرج عن محل النقد، ولا يتعداه لتناول الآخرين بالجرح والطعن أوالتشهير وما إلى ذلك، وباختيار كلماته المناسبة، وقد أخذ النبي صلى ا عليه وسلم بنقد الفاروق رضي ا عنه، وبنى عليه قرارا جديدا بعدم السماح بنحر الإبل، ونحى فـي سبيل حلّ الأزمة والخروج منها منحى آخر، حين أمر بجمع ما لديهم من الـزاد ودعـا عليـه بالبركة والتكثير، وهو ما تحقق بفضل ا تعالى وكرمه، وكان في نقد عمر رضـي ا عنـه ومراجعته للنبي صلى ا عليه وسلم فيما اقترحه الصحابة من نحر الإبل حلا للأزمة التي كانوا فيها، كان له أثر إيجابي عظيم واضح في النص الكريم.

الفرع الثاني: النقد السلبي الهدام:

عن أبي هريرة رضي ا عنه، أُتِي النبي صلى ا عليه وسلم بِرجلٍ قَد شَرِب، قَـالَ: اضربوه، قالَ أَبو هريرةَ فَمِنا الضارب بِيدِهِ ومِنا الضارب بِنَعلِهِ والضارب بِثَوبِه، فَلَما انْصرفَ قَالَ بعض القَومِ: **أَخزَاكَ ا**، قالَ: **(لا تَقُولُوا هَكَذا لا تُعِينُوا عَلَيهِ الشيطَان)**(2)

وعن عمر بن الخَطابِ رضِي ا عنْه أن رجلا على عهدِ النبي صلى ا عليـهِ وسـلم كان اسمه عبد ا .. وكان النبي قَد جلَده فِي الشرابِ، فَأُتِي بِهِ يوما فَأمر بِهِ فَجلِد، فَقَالَ رجلٌ مِن

---

(1) سبق تخريجه، ينظر(ص٦٢)

(2) رواه البخاري في كتاب: الحدود، باب: الضرب بالجريد والنعال(ص١٣٦٣/ح٦٧٧٧)، وأبو داود في الحدود، بـاب: الحد في الخمر(ص٨٣٦/ح٤٤٧٧)، وأحمد في المسند(ج١٣/ ص٣٦٥/ح٧٩٨٥)، ثلاثتهم من طريق يزيد بن عبد ا بن الهاد عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث عن أبي سلمة عبد ا بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضـي ا عنه. زاد أحمد قوله صلى ا عليه وسلم: (ولكن قولوا رحمك ا)

القَومِ: **اللهم العَنْه مَا أَكْثَرَ مَا يؤْتَى بِهِ،** فَقَالَ النبي صلى ا ُ عليهِ وسلّم: (**لا تَلْعَنُوه فَـوَا ِ مَـا عَلِمتُ إِنه يحِب ا َ وَرَسوله)**[1].

قال ابن حجر في قوله صلى ا عليه وسلم **لا تُعِينُوا عَلَيهِ الشـيطَان**: وجـه عـونهم الشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي، فـإذا دعـوا عليـه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان[2].

وقوله صلى ا عليه وسلم: **فَوَا ِ مَا عَلِمتُ إِنه يحِب ا َ وَرَسوله،** إخبار مـن النبـي صلى ا عليه وسلم بأن المذكور يحب ا ورسوله، وإن تكررت منه المعصية، وارتكب ما هو منهي عنه[3].

والنص ظاهر في أن مراجعتهم لأمر الرجل ونقدهم لتكرار فعله بقـولهم: **أَخْـزَاكَ ا ُ**، وقولهم: **اللهم العَنْه مَا أَكْثَرَ مَا يؤْتَى بِهِ**، وجواب النبي صلى ا عليه وسلم بنهيهم عـن ذلـك وبيان سلبيته على الرجل، ظاهر في أن نقدهم كان من قبيل النقد السلبي الهدام، وإن لم يكن ذلك دافعهم في النقد ولا هدفهم منه.

وعن أَنَسٍ بن مالك رضِي ا ُ عنْه قَالَ: بلَغَ صفِيةَ أَن حفْصةَ قَالَتْ: **بِنْتُ يَهودِي، فَبكَتْ،** فَدخَلَ علَيها النبي صلى ا ُ علَيهِ وسلّم وهِي تَبكِي فَقالَ: (ما يبكِيكِ)؟، فَقَالَتْ: **قَالَتْ لِي حَفْصَـةُ إِني بِنْتُ يَهودِي**، فَقَالَ النبي صلى ا ُ علَيهِ وسلم: (**إِنكِ لابنَةُ نَبِي، وَإِن عَمكِ لنَبِي، وَإِنكِ لتَحتَ نَبِي، فَفِيمَ تَفْخَر عَلَيكِ**)؟. ثم قال: **اتقي ا يا حفصة**[4].

في النص أن السيدة حفصة رضي ا عنها نقدت السيدة صفية رضي ا عنها بقولهـا **بِنْتُ يَهودِي،** فأثر القول فيها، وانعكس سلبا عليها إذ حزنت وبكت. ثم أجابها النبـي صـلى ا عليه وسلم بما يعكس الأثر الإيجابي في نفسها ليحل محلّ السلبي.

(١) رواه البخاري في كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر..(ص١٣٦٤/ح٦٧٨٠) من طريق الليـث بـن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم مولى عمر عن عمـر بـن الخطـاب رضي ا عنه.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١٢/ص٧٩)

(٣) المرجع السابق(ج١٢/ص٩٢)

(٤) رواه الترمذي في كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي صلى ا عليه وسلم(ص١١٠١/ح٣٩٢٠)، وأحمـد فـي المسند(ج١٩/ص٣٨٤/ح١٢٣٩٢)، كلاهما من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس رضـي ا عنـه. والحديث **إسناده صحيح رجاله ثقات**. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الفصل الثاني

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع نقد الآخر وهديه في ترك النقد

المبحث الأول: قبوله صلى الله عليه وسلم النقد

المطلب الأول: قبوله النقد الموجه له من المسلمين

المطلب الثاني: قبوله النقد الموجه له من غير المسلمين

المطلب الثالث: قبوله النقد الموجه لغيره من المسلمين

المبحث الثاني: رَده صلى الله عليه وسلم النقد

المطلب الأول: رده النقد الموجه له من المسلمين

المطلب الثاني: رده النقد الموجه له من غير المسلمين

المطلب الثالث: رده النقد الموجه لغيره من المسلمين

المبحث الثالث: تركه صلى الله عليه وسلم النقد

المطلب الأول: تركه النقد مراعاةً للطباع

المطلب الثاني: تركه النقد مراعاةً لعدم مناسبته للتوقيت

المطلب الثالث: تركه نقد ما يتعلق بالحقوق

المطلب الرابع: تركه نقد الطعام المباح

المبحث الأول: قبوله النقد

قبل الشروع في عرض مباحث اتجاهات النبي صلى ا عليه وسلم في النقد لا بد من الإشارةإلى أن هذا الفصل يختصّ بعرض وبيان مواقف النبي صلى ا عليه وسلم تجاه النقد الصادر عن الآخرين سواء ما كان منه موجها له أو لغيره، وقد تعددت مواقفه صلى ا عليه وسلم في ذلك، فنرى منه ثلاث اتجاهات في النقد تظهر من خلال مباحث هذا الفصل.

المطلب الأول: قبوله النقد الموجه له من المسلمين.

المقصود بقبوله صلى ا عليه وسلم النقد الموجه إليه، قبوله من حيث المبدأ، أي من حيث إمكانية توجيه النقد له سواء ترتب عليه تغيير ما في فعله أو موقفه وما شابه أو لم يترتب؛ فإن ترتب عليه التغيير كان ذلك أقوى في الدلالة، وأدعى في الاستدلال، والجامع لأحاديث المطلب أن النبي صلى ا عليه وسلم لم ينْكر فيها أيا من المراجعات الموجهة له، ورد في كل منها على محل المراجعة بما يوضح الأمر ويزيل اللبس، أما الفائدة العامة التي تُجنى من أحاديث المطلب أن ما كان ممكنًا في شخص النبي صلى ا عليه وسلم، فهو في شخص غيره أكثر إمكانًا وأولى.

<u>الفرع الأول: قبوله النقد والمراجعة في قرارته السياسية:</u>

عن أَبي وائِلٍ شقيق بن سلمة قَالَ: كُنا بِصِفين، فَقَام سهلُ بن حنَيفٍ فَقَالَ: أَيها الناس، اتهموا أَنْفُسكُم، فَإِنا كُنا مع رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم يوم الْحديبِيةِ ولَو نَرى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا. فَجاء عمر بن الْخَطابِ فَقَالَ: **يا رَسولَ اللهِ، أَلَسنَا عَلَى الْحَق وَهم عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: (بَلَى)، فَقَالَ: أَلَيسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنةِ وَقَتْلَاهم فِي النارِ؟ قَالَ: (بلَى)، قَالَ: فَعَلَامَ نُعطِي الدنِيةَ فِي دِينِنَا، أَنَرجِع وَلما يَحكُمِ الله بَينَنَا وَبَينَهم؟** فَقَالَ: **(يَا ابنَ الْخَطابِ إِني رَسولُ اللهِ وَلَن يضَيعَنِي الله أَبدا)**. فَانْطَلَقَ عمر إِلَى أَبِي بكْرٍ فَقَالَ: لَه مِثْلَ ما قَالَ لِلنبِي صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَالَ: إِنه رسولُ اللهِ ولَن يضيعه الله أَبدا. فَنَزلَتْ سورةُ الْفَتْحِ فَقَرأَها رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم علَى عمر إِلَى آخِرِها، فَقَالَ عمر: يا رسولَ اللهِ، أَوفَتْح هو؟، قَالَ: (نَعم)[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الجزية، باب: إثم من عاهد ثم غدر..(ص٦٦٩/ح٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية(ص٩٠٦/ح١٧٨٥)، وأحمد في المسند(ج٢٥/ص٣٤٨/ح١٥٩٧٥)، ثلاثتهم من طريق عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل عن سهل بن حنيف رضي ا عنه.

يظهر في النص[1] اعتراض عموم الصحابة على عقد الصلح المعروف بصلح الحديبية الذي عقده النبي صلى ا عليه وسلم مع المشركين في العام السادس للهجرة، وكانوا قد قصدوا مكة للاعتمار في البيت فَحالَ المشركون بينهم وبين ذلك، وطلبوا إلى النبي عقد صلحٍ اشترطوا فيه شروطًا لم يقبلها المسلمون ورأوا فيها إجحافًا وتعسفًا.

والشاهد الذي من أجله سِيقَ الحديث في هذا الموضع هو مراجعة عمر رضي ا عنه المباشرة للرئيس والقائد النبي صلى ا عليه وسلم في قراره موافقة المشركين على عقد الصلح وشروعه في كتابة بنوده معهم، إذ تناول ابن الخطاب أمر الصلح وما تضمنه من شروط بوصفه قبولا بالدنية في الدين، والدِنِيّة الخَصلَة المذمومة وهي بمعنى الضعيف الخَسيس[2]؛ ولا يخفى ما في هذا الوصف من شِدةٍ ولَذْعٍ؛ ورغم ذلك لم يرد أن النبي نهى عمر عن تناولِهِ قراره صلى ا عليه وسلم بالنقد والمراجعة لا في ذلك الوقت ولا حين أسفر هذا الصلح عما أسفر عنه من الخير والبركة على المسلمين، واكتفى بتأكيده صلى ا عليه وسلم أمر النّصر والفتح. وفي قبوله صلى ا عليه وسلم النقد والمراجعة في أمره وقراره الرئاسي بالإضافة لما يدلّ على إمكانِهِ وإن ظَهر أنه لم يكن في محلّه، يشير كذلك إلى فَصلِهِ صلى ا عليه وسلم في تلقيه النقد بين شخصِهِ وما يصدر عنه من مواقف وآراء، بمعنى أنه لا يحمل النقد الموجه إليه على محمل شخصي، بل يلتزم محلّ النقد وموضوعه في تلقّيه ورده، وبالتالي لا يرى فيه إخلالا بشخْصه أو بمنزلته ومكانته؛ فيكون قبوله النقد مبنيا على أسسٍ سليمة منها ما ذُكِر وهو متصل بالمنقود، ومنها ما هو متصل بالناقد من العلم بحسن نيته وقصده وغيرته وإرادته ما فيه عز الدين ونصرته، والتزامه تناول محل النقد دون تجاوزه، ومنها ما هو متصل بالظرف والحالة الشعورية عند الطرف الآخر، فقد راعى النبي صلى ا عليه وسلم في قبوله الانتقاد من عمر رغم شدته صعوبة الموقف الذي كان يقفه المسلمون عامة آنذاك، وما شعروا فيه من الانكسار والضعف.

---

(١) سيأتي الحديث مفصلا حول هذا النص في مبحث نقد الذات الجمعية.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٥٨٦)

الفرع الثاني: قبوله النقد والمراجعة في أحكامه:

عن جبير بن مطْعِمٍ رضي ا عنه قَالَ: مشَيتُ أَنَا وعثْمان بن عفان إِلَى النَبِي صلى الله علَيهِ وسلم، فَقُلْنَا: **أَعطَيتَ بَنِي الْمطَلِبِ مِن خُمسِ خَيبَرَ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحن بِمَنْزِلَةٍ وَاحِـدَةٍ مِنْـكَ؟** فَقَالَ: (**إِنمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمطَلِبِ شَيء وَاحِد**)، قَالَ جبير: ولَم يقْسِم النَبِي صلى الله علَيـهِ وسلم لِبنِي عبدِ شَمسٍ وبنِي نَوفَلٍ شَيئًا[1].

قوله: (**وَنَحن بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْكَ**) أي في الانتساب إلى عبد مناف، فعثمان من بني عبد شـمس، وجبير من بني نوفل، وعبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب سواء الجميع من عبد مناف[2].

خص رسول ا صلى ا عليه وسلم سهم ذوي القربى الوارد ذكرهم في النص ببنـي هاشم والمطلب[3]، وهو الأمر الذي وقف عنده عثمان وجبير رضي ا عنهما وراجعا فيه النبي صلى ا عليه وسلم، متناولين الأمر من ناحية وحدة القرابة التي تجمع بين النبي وبنـي هاشـم والمطلب وبينهم، وكان السؤال المطروح في أذهانهم: لِم هذا الاختصاص؟

ولم ينْكر النبي صلى ا عليه وسلم عليهم نقدهم ومراجعتهم حكمـه فـي سـهم ذوي القربى، وذلك أن لمراجعتهم وجها معتَبرا وهو دخولهم في عموم الآية ووحدة القرابة كما سـبق بيانه؛ فقبِلَ تناولهم الأمر بالنقد، وبين لهم سبب الاختصاص، وهو في قوله: (**إِنمَا بَنُـو هَاشِـمٍ وَبَنُو الْمطَلِبِ شَيء وَاحِد**)، أي كشيء واحد بأن كانوا متوافقين متحابين متعاونين فلم تكن بينهم مخالفة في الجاهلية ولا في الإسلام[4]. قال ابن حجر: الحديث ظاهر في أنـه أعطـاهم بسـبب النصرة وما أصابهم بسبب الإسلام من بقية قومهم الذين لم يسلموا[5]. وقال ابن كثير في قولـه تعالى: **وَاعلَموا أَنمَا غَنِمتُم من شَيءٍ فَأَن لِلّهِ خُمسَه وَلِلرسولِ وَلِذِي الْقُربَى** الأنفال آيـة:٤١، (بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الإسلام ودخلوا معهم في الشعب غضـبا لرسول ا صلى ا عليه وسلم وحماية له، مسلمهم طاعةً ولرسوله، وكافرهم حمية للعشيرة

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر(ص٨٧٨/ح٤٢٢٨)، وأبو داود في الخراج والإمـارة والفـيء، باب: في بيان مواضـع قسـم الخمـس وسـهم ذي القربـى(ص٥٦٨/ح٢٩٧٨)، والنسـائي فـي كتـاب قسـم الفيء(ص٦٠١/ح٤١٣٨)، وابن ماجه في الجهاد، باب: قسمة الخمس(ص٦٦٦/ح٢٨٨١)، جميعهم من طريق يونس ابن يزيد عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم رضي ا عنه.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص٣٠١)

(٣) اختلفت الآراء الفقهية حول خُمس الخُمس الذي لأولي القربى، ولا يتسع المقام هنا لبيانها.

(٤) العظيم آبادي، عون المعبود(ج٥/ص٣٦٩)

(٥) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص٣٠٢)

وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رسول ا ، وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل، وإن كانوا بني عمهـم فلم يوافقوهم على ذلك بل حاربوهم ونابذوهم ومالؤا بطون قريش على حرب الرسول)[(١)].

وفي استنتاج كل من ابن حجر وابن كثير نظر وتأمل، فليس إعطاء بني هاشـم وبنـي المطلب دون بني نوفل وبني شمس لمجرد أن بني هاشم وبني المطلب ناصروه ووقفوا معه في الشعب، بل إن قوله صلى ا عليه وسلم: **إِنمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمطلِبِ شَيء وَاحِد** يـدلّ علـى أنّهم هم المقصودون بذي القربى الوارد ذكرهم في النص، فنسب هاشم والمطلب أقرب لرسـول ا صلى ا عليه وسلم من نوفل وعبد شمس، ولو كان الأمر كما ذهب ابن حجر وابن كثيـر لكان في ذلك من رسول ا صلى ا عليه وسلم إحياء للعصبية -حاشاه من ذلك-[(٢)].

ولا شك أن مراجعة كل من عثمان وجبير رضي ا عنهما لم تكن على سبيل الطعـن في حكمه صلى ا عليه وسلم أو ما شابه ذلك، ولكن الأمر التبس عليهم، حينما قسم لبني هاشم والمطلب ولم يقسم لهم، وقد كانوا على نفس الدرجة من القرابة.

الفرع الثالث: قبوله النقد والمراجعة في قراراته الخاصة:

عن عبدِ اللهِ بن عمر رضِي الله عنْهما أَن عبد اللهِ بن أُبي لَما تُوفي جاء ابنُه إِلَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ أَعطِنِي قَمِيصك أُكفنْه فِيهِ، وصل علَيهِ واسـتَغْفِر لَـه، فَأَعطَاه النبِي صلى الله علَيهِ وسلم قَمِيصه، فَقَالَ: **(آذِني أُصَلي عَلَيـهِ)، فَآذَنَـه، فَلَمـا أَرَادَ أَن يصَلِيَ عَلَيهِ جَذَبَه عمَر رَضِيَ الله عَنْه فقَالَ: أَلَيسَ الله نَهَاكَ أَن تُصَلِيَ عَلَى الْمنَافِقِينَ؟ فَقَـالَ: (أَنَا بَينَ خِيَرَتَين)، قَالَ: استَغْفِر لَهم أَو لا تَستَغْفِر لَهم إِن تَستَغْفِر لَهم سَبعِينَ مَرةً فَلَن يَغْفِـرَ اللّه لَهم** التوبة آية:٨٠. **فَصَلى عَلَيهِ، فَنَزَلَتْ: وَلا تُصَل عَلَى أَحَدٍ منْهم ماتَ أَبَدا وَلا تَقُم عَلَـىَ قَبرِهِ** التوبة آية:٨٤[(٣)].

---

(١) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم(ص٥٧٤)

(٢) من إضافات الأستاذ الدكتور سلطان العكايلة في مناقشة الرسالة بتاريخ: ٢٠٠٧/٥/١٧م.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الكفن في القميص الذي يكّف أولاً ولا يكفّ(ص٢٦٣/ح١٢٦٩)، ومسلم فـي كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل عمر رضي ا عنه(ص١٢٠٢/ح٢٤٠٠)، وفيها: (فأخذ بثوب رسول ا صلى ا عليه وسلم ..)، والنسائي في الجنائز، باب: القميص في الكفن(ص٢٨٨/ح١٩٠٢)، وابن ماجه في الجنـائز، بـاب: فـي الصلاة على أهل القبلة(ص٣٥٨/ح١٥٢٣)، وفيها قول عمر رضي ا عنه للنبي صلى ا عليه وسلم لما أراد الصـلاة عليه: ما ذاك لك)، ورواه أحمد في المسند(ج٨/ص٣٠٨/ح٤٦٨٠). جميعهم من طريق عبيد ا ابن عمر بن حفص بـن عاصم بن عمر بن الخطاب عن نافع مولى ابن عمر عن عبد ا بن عمر رضي ا عنهما.

وفي روايةٍ من حديثِ عمر بن الْخَطابِ رضِي الله عنْه قَالَ: لَما ماتَ عبد اللهِ بن أُبي بن سلُولَ **دعِيَ له رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ لِيصَلِّيَ عَليهِ، فَلما قَامَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ وَثَبتُ إِلَيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسولَ اللهِ، أَتُصَلي عَلى ابن أُبي وَقَد قَالَ يَومَ كَذَا كَذَا وَكَذَا أُعَدد عَليهِ قَولَه، فَتَبَسمَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ وَقَالَ: (أَخر عَني يَا عمَر)، فَلما أَكْثَرتُ عَليهِ قَالَ: (إِني خُيرتُ فَاخْتَرتُ، لَو أَعلَم أَني إِن زِدتُ عَلى السبعِينَ يغْفَر له لَزِدتُ عَليهَا)... وفيها قَولُ عمَرَ: فَعَجِبتُ بَعد مِن جرأَتِي عَلى رَسول اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ يَومَئِذٍ وَالله وَرَسولُه أَعلَم**[1].

سأبدأ كلامي من حيث انتهى سيدنا عمر رضي ا عنه، حين راجع ذاته متعجبا من جرأته على النبي صلى ا عليه وسلم في تناوله لأمر صلاته على عبد ا بن أبي وقد ظهر منه ما ظهر من النفاق، إذ جذَبه وفي روايةٍ أخذ بثوبه[2]، ثم سأله بصيغةٍ لا تخلو من التعجب: **(أَليسَ الله نَهَاكَ أَن تُصَليَ عَلى الْمنَافِقِينَ؟)** وفي رواية قال: ما ذاك لك[3]. وأنه وثَب إليه! ولا يخفى ما في هذا التعبير من الدلالة على ما أصاب عمر آنذاك من الإثارة والتحفّز نتيجة لقرار النبي صلى ا عليه وسلم الصلاة على ابن أبي؛ في حين اكتفى النبي صلى ا عليه وسلم في جواب عمر بالإيضاح فقال: **(أَنَا بَينَ خِيَرتَين)،** أي بين خيار الاستغفار للمنافقين وعدمه، مستشهدا بالآية الكريمة: **استَغْفِر لَهم أَو لا تَستَغْفِر لَهم** على إمكان الصلاة عليهم، وأنه اختار الاستغفار، وهو الخيار المتَوقع مِمّن أرسله ا تعالى رحمةً للعالمين؛ ويقول في الرواية الثانية وقد تبسم لعمر رغم ما صدر عنه من الشدة والصلابة في مراجعته: **(أَخر عَني يَا عمَر.إِني خُيرتُ فَاخْتَرتُ، لَو أَعلَم أَني إِن زِدتُ عَلى السبعِينَ يغْفَر له لَزِدتُ عَليهَا)**. وقوله أَخر عني: أي كلامك[4].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: (استَغْفِر لَهم أَو لا تَستَغْفِر لَهم إِن تَستَغْفِر لَهم سبعِين مرةً فَلَن يغْفِر اللَّه لَهم)، (ص٩٦٨/ح٤٦٧٠)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة التوبة(ص٨٨٢/ح٣١٠٨)، والنسائي في كتاب الجنائز، باب: الصلاة على المنافقين(ص٢٩٧/ح١٩٦٨)، وأحمد في مسنده(ج١/ص٢٥٤/ح٩٥)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عبيد ا بن عبد ا بن عتبة عن ابن عباس عن عمر رضي ا عنهم.

(٢) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: {ولاَ تُصل علَى أَحدٍ منْهم ماتَ أَبدا ولاَ تَقُم علَى قَبرِهِ} التوبة، آية:٨٤، (ص٩٦٩/ح٤٦٧٢)، وانظر تخريج الحديث(ص٨١)

(٣) اللفظ لابن ماجه، راجع تخريج الحديث(ص٨١)

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٤٢٩)

ويقود الكلام هنا إلى ما سبق ذكره من أثر دافع المنقود في تقبل نقده أو رده، وأحسب أن هذا النص من أكثر النصوص إشارة إلى أهمية الدافع بل ودوره في تقبل الآخر وما يصدر عنه، فقد قَبِلَ النبي صلى ا عليه وسلم من عمر جميع ما صدر عنه من قول أو فعل في تلك الحادثة دون إنكار شيء عليه، رغم أنه رضي ا عنه قد راجع نفسه في أسلوبه في المراجعة، واعتبر فيه جرأة على النبي صلى ا عليه وسلم، ولكن النبي قَبِلَ منه ولم ينْكر، لما علمه من حرص عمر رضي ا عنه الشديد على الدين وأهله وشدته على أعدائه وهو الدافع الذي دفعه للتوقف أمام اختيار النبي صلى ا عليه وسلم، وقد ذكر ابن حجر القولَ بأن عمر إنما قال ذلك حرصا على النبي صلى ا عليه وسلم ومشورة لا إلزاما، وأن له عوائد بذلك[1]، فلم يكن عمر رضي ا عنه ينْقُصه حسن التأدب والكلام مع النبي صلى ا عليه وسلم، كما لم تكن صلابته وشدته على طريقة الأعراب وغيرهم ممن ظهر منهم الجفاء والغلاظة في تعاملهم مع النبي صلى ا عليه وسلم فيما ترويه بعض النصوص؛ لم يكن رضي ا عنه على هذا ولا ذاك ليقال مثلا بأن النبي صلى ا عليه وسلم صبر عليه كما كان يصبر على الأعراب وغيرهم، بل ورد في بعض شرح ابن حجر للحديث توجيهه لتبسم النبي صلى ا عليه لعمر بأنه كان تأنيسا وتطييبا لقلبه، كالمعتذر صلى ا عليه وسلم عن ترك كلامه ومشورته[2]، دون إنكارٍ لهما.

<u>الفرع الرابع: قبوله النقد والمراجعة في المواقف التي تستدعي التثبت والتوضيح:</u>

عن عبدِ اللهِ بن عمر أَن عمر بن الْخَطابِ رضِي الله عنْهما رأَى حلةً سِيراء عِنْد باب الْمسجِدِ، فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ، لَو اشْتَريتَ هذِهِ فَلَبِستَها يوم الْجمعةِ ولِلْوفْدِ إِذَا قَدِموا علَيك، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**إِنمَا يَلْبَس هَذِهِ مَن لا خَلَاقَ له فِي الْآخِرَةِ**). ثُم جاءتْ رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم مِنْها حلَلٌ، فَأَعطَى عمر بن الْخَطابِ مِنْها حلةً، فَقَالَ عمر: **يَا رَسولَ اللهِ، كَسَوتَنِيهَا وَقَد قُلْتَ فِي حلةِ عطَارِدٍ مَا قُلْتَ؟**! قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**إِني لَم أَكْسكَهَا لِتَلْبَسَهَا**). فَكَساها عمر بن الْخَطابِ أَخًا له بِمكةَ مشْرِكًا[3].

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٤٢٧)

(٢) ابن حجر الفتح(ج٨/ص٤٢٩)

(٣) رواه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: يلبس أحسن ما يجد(ص١٨٧/ح٨٨٦)، ومسلم في اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة..والحرير على الرجال..(ص١٥٠١/ح٢٠٦٨)، وأبو داود في الصلاة ، باب: اللبس للجمعة(ص٢٠٥/ح١٠٧٦)، والنسائي في الجمعة، باب: الهيئة للجمعة(ص٢١٣/ح١٣٨٤)، ومالك في الموطأ كتاب اللباس، باب: ما جاء في لبس الثياب(ج٢/ص٢٨٨/ح١٨)، جميعهم من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر رضي ا عنهما.

وفي رواية: فَقَالَ: **يَا رَسولَ اللهِ، إِنكَ قُلتَ: (إِنمَا هَذِهِ لِبَاس مَن لا خَلَاقَ له) وَأَرسَلتَ إِلي بِهَذِهِ الْجبةِ؟** فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**تَبِيعهَا أَو تُصِيب بِهَا حَاجَتَكَ**)(١).

قوله **سِيَرَاءَ**: أي حرير، **وعطـارد** صاحب الحلة وهو ابن حاجب التميمي، وأخو عمـر بمكة هو عثمان بن حكيم، وكان أخاه من أمه(٢). وقوله **لا خَلَاقَ له**: أي لا نصيب له في الآخرة، وقيل من لا حرمة له، وقيل من لا دين له، فعلى الأول يكون محمولا على الكفار، وعلى القولين الأخيرين يتناول المسلم والكافر(٣).

كان للاختلاف الظاهري بين قول النبي صلى ا عليه وسلم لعمر وفعله معه دور فـي تناول عمر رضي ا عنه الأمر بالنقد والمراجعة مع النبي صلى ا عليه وسلم، مبـرزا لـه الاختلاف بين الموقفين منه، إذ فَهم من قوله (**إِنمَا يَلْبَس هَذِهِ مَن لا خَلَاقَ له فِي الْـآخِرَةِ**) النهي عن الحرير مطلقًا، ورأى في فعله ببعثه الحلّة له الإباحة. فبين له النبي صلى ا عليه وسلم أنه لم يفهم الأمر على وجهه الصحيح، إذ النهي المطلق هو عن لبسه للرجال لا عن الانتفـاع بـه، فقال:(**إِني لم أَكْسكهَا لِتَلْبَسَهَا**)، وقال:(**تَبِيعهَا أَو تُصِيب بِهَا حَاجَتَكَ**).

واختلاط الفهم أو الظن من الأمور التي يتكرر حدوثها بين الناس عامـة، وهـو أحـد الأسباب التي ينتشر بها النقد وتكثر المراجعة بين الناس، وهو ما يتطلب إعطاء فرصة لكل من الناقد والمنقود، الأول لشرح موقفه وتقديم أسبابه لتوضيح محلّ النقد وإزالة اللبس عنه، والثـاني لتحسين فهمه أو ظنه. وعلى ذلك يعد التثبت والإيضاح وإزالة اللبس، من الأسباب المهمة التـي تدعونا لقبول نقد الآخر ومراجعته، على أن يراعى عدم التجاوز في سوء الفهـم أو الظـن، إذ تحذر الشريعة من مثل ذلك قال تعالى: **إِن بَعضَ الظن إِثْم** سورة الحجرات، آية:١٢.

قال النووي: (قد يتوهم متوهم أن فيه دليلا على أن رجال الكفار يجوز لهم لبس الحرير، وهذا وهم باطل لأن الحديث إنما فيه الهدية إلى كافر، وليس فيه الإذن له في لباسها. وقد بعث النبي ذلك إلى عمر وعلي وأسامة ولا يلـزم منـه إباحة لبسها لهم، بل صرح بأنه إنما أعطاه لينتفع بها بغير اللبس). المنهاج(ص١٥٦٩)

(١) رواه البخاري في كتاب: العيدين، باب: في العيدين والتجمل فيه(ص١٩٩/ح٩٤٨)، ومسلم في اللباس والزينة، بـاب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة..(ص١٠٥٢/ح٢٠٦٨)، والنسائي في كتاب صلاة العيدين، باب: الزينة للعيـدين (ص٢٤٢/ح١٥٦٣)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن سالم بن عبد ا عن عبد ا بن عمر رضـي ا عنهما.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص٤٧٥)

(٣) النووي، المنهاج(ص١٥٦٨)

الفرع الخامس: قبوله النقد المحرج:

عن عبدِ الرحمن بن حسنَةَ رضي ا عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وعمرو بن الْعاص إِلَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فَخَرج ومعه درقَةٌ، ثُم استَتَر بِها ثُم بالَ. فَقُلْنَا: **انْظُروا إِلَيهِ يبولُ كَمَا تَبولُ الْمرأَةُ!** فَسمِع ذَلِك فَقَالَ: **(أَلَم تَعلَموا مَا لَقِيَ صَاحِب بنِي إِسرَائِيلَ، كَانُوا إِذَا أَصَابَهم الْبولُ قَطَعوا مَا أَصَابَه الْبولُ مِنْهم، فَنَهَاهم، فَعذبَ فِي قَبرِهِ)**[١].

الدَرَقَة:هي الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عصب[٢].

لما كان من شأن العرب البول قائما[٣]، وخالف النبي صلى ا عليه وسلم عادتهم تلك فبال قاعدا ليعلّم المسلمين جواز ذلك بل واستحبابه، كونه أستر وأبعد عن مماسة البول كما ذكر ابن حجر[٤]، تناول عبد الرحمن بن حسنة وعبد ا بن عمرو بن العاص رضي ا عنهما الأمر من جهة مشابهة فعله صلى ا عليه وسلم بفعل النساء، إما في الهيئة جلوسا أو التستر حياءا.

ولا شك أن هذا النقد هو من قبيل النقد المحرج للمرء، لاتصاله أولا بأمر قضاء الحاجة وهو من الأمور التي يتحرج الإنسان من تناولها والكلام فيها عامة، وثانيا لتشبيههم فعله بفعل النساء سواء قصدوا من ناحية التستر حياءا أو الهيئة جلوسا؛ والحاصل أن النبي صلى ا عليه وسلم تجاوز التشبيه بكلا معنَيَيه ولم ينْكِره عليهم، واقتصر في رده على نقدِ فعلِهِ بالتحذير من أن قولهم مشابه لقول رجل من بني إسرائيل نهى قومه عما كان معروفًا في دينهم ومأمورا به

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: الاستبراء من البول(ص١٩/ح٢٢)، والنسائي في كتاب الطهارة، باب: البول إلى السترة يستتر بها(ص١٣/ح٣٠)، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب: التشديد في البول (ص١٠٣/ح٣٤٦)، وأحمد في المسند(ج٢٩/ص٢٩٣/ح١٧٧٥٨)، جميعهم من طريق الأعمش سليمان بن مهران عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة رضي ا عنه.

والحديث قال الحافظ عنه في الفتح(ج١/ص٤٣٥): (**صحيح، صححه الدارقطني وغيره**)، وصححه الحاكم في المستدرك(ج١/ص١٨٤)، وتابعه الذهبي قال: رواه عدة عن الأعمش، وهو على شرطهما، وصححه الألباني، انظر: **صحيح سنن أبي داود**، ط١، مؤسسة غِراس،الكويت، (٢٠٠٢م) (ج١/ص٥٠)، وشعيب الأرناؤوط في الموسوعة الحديثية(ج٢٩/ص٢٩٣/ح١٧٧٥٨).

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود(ج١/ص٣٢)

(٣) نقله ابن ماجه في كتاب: الطهارة وسننها، باب: في البول قاعدا(ص٩٤/ح٣٠٩)، بأثر مقطوع عن أحمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: (كان من شأن العرب البول قائما. ألا تراه في حديث عبد الرحمن بن حسنة يقول: قعد يبول كما تبول المرأة). وأحمد هذا مستور، انظر التقريب(ج١/ص٣٨)

(٤) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٤٣٥)

من قَطْع ما يصيبه البول لعدم التنزه عنه، وحثهم على ترك القطع، فكان جزاؤه أن عـذب فـي قبره؛ فحذرهم النبي صلى ا عليه وسلم من إنكار الاحتراز من البول[1].

وهذا النص واحد من نصوص كثيرة تُبرز مدى التفاني الذي قدمه النبي صـلى ا عليه وسلم في توجيه أمته وتعليمها والإصلاح من شؤونها، فلم يكن شخصه صلى ا عليه وسلم مرتَكزه في التعامل مع الآخرين عندما يصدر عنهم ما يستدعي التقويم والإصلاح، وإن تنـاول هذا الصادر في ظاهر الأمر من شخصه، بل كان على غاية التسامح في حق نفسه، يركزعلـى موضع الإصابة والخلل، ويوظف النقد في تعديل السلوكيات وتحسينها والإصلاح.

(١) العظيم آبادي، عون المعبود(ج١/ص٣٢)

المطلب الثالث: قبوله النقد الموجه له من غير المسلمين:

أرسى النبي صلى الله عليه وسلم قواعد مهمة فيما يخص الحوار النقدي مع الآخر من أهل الأديان والعقائد المختلفة، منها:

١. حسن الاستماع إلى نقدهم وتحليلهم للأمور والقضايا.
٢. أخْذُ نقدهم على محمل الجد ما كان محتملا.
٣. الإقرار لهم بصحة الرأي وسلامة التحليل حين يظهر ذلك في نقدهم.
٤. الاستفادة من آرائهم النقدية، وتوظيفها بما يخدم الشريعة ويتماشى مع روح أحكامها دون ما يتعارض معها.
٥. البعد عما من شأنه تعطيل ما سبق من التّعصب والتنابذ والرفض لغير سبب وما إلى ذلك.

ويعرض هذا المطلب لحديثٍ وجه فيه واحد من علماء اليهود نقدا للنبي صلى الله عليه وسلم تناول فيه بعض ما يتردد على ألسنة المسلمين بالفحص والتمحيص والمراجعة، وهو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشِئْتَ، وحلفُهم بالكعبة، مبرزا ما في هذين القولين من دلالات التّنْدِيد والإشراك بالله تعالى.

فَعن قُتَيلَةَ بِنْتِ صيفي الْجهينيةِ رضِي الله عنْها، **أن يَهودِيا أتَى النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ، فَقَالَ: إنكُم تُنَددونَ وَإنكُم تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ وَالكَعبَةِ، فَأَمَرَهم النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ إذَا أَرَادوا أَن يَحلِفُوا أَن يَقُولُوا وَرَب الكَعبَةِ، وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ الله ثم شِئْتَ**[1]. قال السنْدِي **تُنَددونَ**: أي تتخذون أندادا[2].

---

(١) رواه النسائي في: كتاب الأيمان والنذور، باب: الحلف بالكعبة(ص٥٥٠/ح٣٧٧٥)، وأحمد في المسند(ج٤٥/ص٤٣/ح٢٧٠٩٣)، الحاكم في المستدرك(ج٤/ص٢٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير(ج٢٥/ص١٣-١٤/ح٥-٦)، جميعهم من طريق معبد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قُتَيلة رضي الله عنها.

وقُتَيلة بنت صيفي الجهنية، ذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب(ص٩٣٣/ترجمة برقم٣٤٣٤). وقال في ترجمتها: (ويقال الأنصارية، كانت من المهاجرات الأول).

والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه ابن حجر في الإصابة(ج٨/ص٢٨٤/ترجمة برقم١١٦٤٣)، والحاكم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتابعه: الذهبي(ج٤/ص٢٩٧). والألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ط٤، المكتب الإسلامي، (١٩٨٥م)، (ج١/ص٢١٣/ح١٣٦)، وشعيب الأرناؤوط في الموسوعة الحديثية(ج٤٥/ص٤٣).

(٢) السندي/ محمد بن عبد الهادي(ت١١٣٨هـ)، **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السنْدي**، ط٣، (تحقيق: مكتب التراث الإسلامي)، دار المعرفة، بيروت، (١٩٩٤م)، (ج٧/ص١٠)

وفي روايةٍ **أَتَى حَبر مِن الْأَحبَار رَسولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلَمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمد نِعـمَ الْقَوم أَنْتُم لولا أَنكُم تُشْرِكُونَ، قَالَ: (سبحَانَ اللهِ وَمَا ذَاكَ) قَالَ: تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْـتُم وَالْكَعبَـةِ.** قَالَتْ: فَأَمهلَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم شَيئًا، ثُم قَالَ: **(إِنه قَد قَالَ، فَمَن حَلَـفَ فَلْيَحلِـفْ بِرَب الْكَعبَةِ)**. قَالَ: **يَا محَمد نِعمَ الْقَوم أَنْتُم، لولا أَنكُم تَجعَلُونَ لِلهِ نِدا**، قَالَ: **(سبحَانَ اللهِ وَمَـا ذَاكَ)** قَالَ: **تَقُولُونَ مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ**. قَالَ فَأَمهلَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم شَـيئًا ثُـم قَالَ:**(إِنه قَد قَالَ، فَمَن قَالَ مَا شَاءَ الله فَلْيَفْصِلْ بَينَهمَا ثُم شِئْتَ)**(١).

قال السندي: قوله: **لولا أَنكُم تُشْرِكُونَ،** أي لولا أن فيكم من يشْرِك. وقولـه صـلى ا عليه وسلم: **(إِنه قَد قَالَ)**، أي قد قال ما سمعتم، وهو صحيح بناء على أن حـق الحالِـف أن لا يكون إلا با ، فالحالِفُ بغيره بمنزلة الشرك(٢).

وفي روايةٍ من حديث حذيفة بن اليمان، قال النبي صلى ا عليه وسلم للمسـلمين لمـا روجِع في الأمر: **(أَمَا وا ـ إن كُنت لَأعرِفُهَا لَكُم، قُولوا: مَا شَاءَ ا ُ ثُم شَاءَ محَمد)**(٣)، وذكـر السندي أن معناه: ما عرفت هذه الكلمة لكم، وما تفكرت في كلامكم حتى أعرف أن هذه الكلمـة تصدر عنكم، ولو عرفت لنهيتكم عنها(٤).

يظهر من النّص الشريف أن النبي صلى ا عليه وسلم لم يكن مطلِعـا علـى تـداول الصحابةِ الحلْفَ بالكعبة والتشريك اللّفْظِي بالمشيئة، فلما قال اليهودي مقالته تلك عِلم مـا كـان

---

(١) لفظه لأحمد والطبراني، والحاكم –مختصرا-، بالتخريج السابق من طريق عبد الـرحمن بـن عبـد ا بـن عتبـة المسعودي عن معبد بسنده. والمسعودي قال عنه الحافظ في التقريب(ج١/ص٤٥٣): (صدوق اختلط قبل موته). وهو متابع تابعه مِسعر بن كِدام وهو ثقة ثبت، التقريب(ج٢/ص٢٤٩).

(٢) نقلًا عن الموسوعة الحديثية، حاشية التحقيق،(ج٤٥/ص٤٤)، فلم أهتَدِ لمصدرِه الأصلي- أي قول السندي -.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب: الكفارات، باب: النهي أن يقال مـا شـاء ا وشـئت(ص٤٩٢/ح٢١١٨)، وأحمـد فـي المسند(ج٣٨/ص٣٦٤/ح٢٣٣٣٩) كلاهما من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربِعي بن حِـراش عن حذيفة بن اليمان رضي ا عنه، ووقع في رواية أحمد قول النبي صلى ا عليه وسـلم: (**قـد كنـت أكرههـا منكم..**).

والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، لكن اختُلِف في إسناده على عبد الملك بن عمير فقد رواه هكذا عن ربعي عن حذيفة، ورواه جمع عنه عن ربعي عن الطفَيل بن سخْبرة -أخي عائشة لأمها، أم رومان-، منهم ابن ماجه في الكتاب والباب المذْكورين له، من طريق أبي عوانه وضاح بن عبد ا ، وأحمد في المسـند(ج٣٤/ص٢٩٦/ح٢٠٦٩٤) مـن طريق حماد بن سلَمة، والدارمي في كتاب: الاستئذان، بـاب: فـي النهـي عـن أن يقـول مـا شـاء ا وشـاء فلان(ص٨٨٧/ح٢٧٠١) من طريق شعبة بن الحجاج؛ وذكر ابن حجر في الفـتح(ج١١/ص٦٦٢) تـرجيح العلمـاء روايته عن ربعي عن الطّفيل، قال:(وهو الذي رجحه الحفّاظ، وقالوا أن ابن عيينة وهم في قوله عن حذيفة وا أعلم)

(٤) السندي، **سنن ابن ماجه بشرح السنْدي**، ط١، (تحقيق: خليل مـأمون شـيحا)، دار المعرفـة، بيـروت، (١٩٩٦م)، (ج٢/ص٥٥٠)

يصدر عنهم فنهاهم عنه؛ ولا شك أن استجابتة صلى ا عليه وسلم للنقد والمراجعة الواردين في النص عن اليهودي وأَخْذِهِ ذلك بعيْن الاعتبار، لا شك أنها لا تعني بحال أن تلك المراجعة وذلك النقد كانا السبب الذي من أجله نهى النبي صلى ا عليه وسلم صحابته عن ذلك القـول، وإنمـا انْبنَى نَهيه على الشرع، وعِلْمِهِ النّبوي بذم ذلك أو تحريمه؛ إلا أنه صلى ا عليـه وسـلم فـي الوقت نفسه لم يرد نقد الرجل أو يرفض مراجعته لمجرد أنّه على غير ملّة الإسلام، على سبيل التعصب أو رفْض الآخر -على معنى المختلفِ في الدين والعقيدة- ورفض كل ما يصدر عنه، بل لم يجد النبي حرجا في تصحيح سلوك المسلمين جراء ما أبرزه ذلك اليهودي مـن أمـرهم وأظهره، وفي ذلك إقرار منه صلى ا عليه وسلم على صحة رأيه وسلامة نقده.

أضف إلى ذلك ما أشارت إليه الرواية الثانية إلى كون اليهودي حبرا من الأحبـار، أي رجلا من رجال العلم بالديانة اليهودية أو ببقاياها -إن صح التعبير-، إذ أن اليهود حرفوا التوراة كما هو منصوص عليه في شريعتنا، فلا يبعد أن الحبر كان على علم بقبح ذلك القول وذمه لما يتضمنه من دلالات تعارض التوحيد.

المطلب الثالث: قبوله النقد الموجه لغيره من المسلمين

يعرض هذا المطلب نماذج من قبول النبي صلى ا عليه وسلم نقد الصحابة بعضهم بعضا في حضوره، وهو أمر –أي قبوله- لا شك فيه طبعا، لا سيما وقد قبِلَ النقد على نفسِهِ صلى ا عليه وسلم؛ إلا أنها نماذج يظهر في بعضها التّداخل مع أمورٍ نهى الشارع عنها وأهمها الغِيبة، وقد تقدم كلام العلماء في مثل هذه النصوص واستدلالهم بها على إباحة الغيبة في بعض المواضع فذكروا التظلّم، وطلب الحقوق، والنّصح؛ وتقدم كذلك بيان صلة مصطلح النقد بمصطلح الغيبة وغيرها من المصطلحات المذمومة شرعا وعرفًا والتي أُطلق عليها في هذه الدراسة اسم المصطلحات الهدمِية، لما يتم فيها من تناول وإظهار المعايب والمساوئ وتتبع جوانب النقص بقصد التحقير أو التعيير أوغيرها من المقاصد الهدمِية وذلك للنّيل من الطرف الآخر. ولا تقع النصوص الواردة هنا في هذه الدائرة المذمومة والمنهي عنها شرعا، بل إن النبي صلى ا عليه وسلم أخذ النقد الوارد فيها بعين الاعتبار والقَبول، وكان له توجيه في كل منها.

<u>الفرع الأول: قبوله النقد طلبا للحق الذاتي:</u>

١. عن عائشة رضي ا عنها: أن هِنْداً أُم معاويةَ قالت لِرسول اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم: **إن أَبا سفْيانَ رَجلٌ شَحِيح فهَلْ عَلي جناح أَن آخُذَ مِن مَالِهِ سِرا**؟ قالَ: (**خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعروفِ**)[1]. وفي رواية: (**رجلٌ مسيك**)[2] أي شحيح بخيل[3].

موضع النقد هنا ما تَناولَتْه هند رضي ا عنها من الأمر الصادر عن زوجها والمتعلق بالإنفاق عليها وعلى أبنائها، إذ لم تكن نفقته تلك على قدر حوائجهم، ما دعاها لوصفه بالشح والإمساك، فكان ذلك منها على سبيل التظلم للنبي صلى ا عليه وسلم استيفاء لحقها وحقّ أبنائها، لا على سبيل الطعن و التشهير أو الغيبة وإن كانت صورة الغيبة موجودة فيه، إلا أنها ليست الغيبة المذمومة شرعا، فكان لها سبب بذلك وعذر، قال ابن حجر: استُدِلّ بهذا الحديث على جواز ذكر الإنسان بما لا يعجِبه إذا كان على وجه الاستفتاء والاشتكاء ونحو ذلك، وهو

(١) سبق تخريجه، راجع(ص٣٦)

(٢) سبق تخريجه، راجع(ص٣٦)

(٣) النووي, المنهاج(ص١٣٢١)

أحد المواضع التي تُباح فيها الغيبة[1]. وقد قِبلَ النبي صلى ا عليه وسلم نقدها وأقرهـا علـى إمكان الأخذ من ماله، ووجهها إلى الأخذ بالمعروف، أي بالقدر الذي عرفَ بالعادة أنه الكفاية[2].

٢. وعن جرير بن عبدِ اللهِ رضي ا عنه قَالَ: جاء نَاس مِن الْأعرابِ إِلَى رسول اللـهِ صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَالُوا: **إِن نَاسا مِن الْمصَدقِينَ يأْتُونَنَا فَيظْلِمونَنَا**. قَالَ: فَقَالَ رسولُ اللـهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**أَرضوا مصَدقِيكُم**). قَالَ جرير: ما صدر عني مصدقٌ منْذُ سمِعتُ هذَا مِن رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم إِلا وهو عني راضٍ[3]. والمصدقون هم السعاة العاملون علـى الصدقات[4]

في هذا النص الشريف وجهت جماعة من الأعراب اعتراضا للنبي صلى ا عليه وسلم على عمال الصدقة الذين كان يبعثهم لجمع الزكاة منهم، منتقدين ما كان يصدر عنهم من الظلـم تجاههم، فكان نقدهم على سبيل التظلم والشكوى، فوجههم النبي صلى ا عليه وسـلم بالتأكيـد على أهمية إرضاء السعاة، وحثهم عليه، .

وقد كان للعلماء في قوله صلى ا عليه وسلم للأعراب: (**أَرضـوا مصَـدقِيكُم**) رغـم شكواهم من ظلمهم توجيهات، فقال النووي: (معناه ببذل الواجب وملاطفتهم وترك مشاقهم، وهذا محمول على ظلمٍ لا يفَسق به الساعي، إذ لو فُسقَ لانعزل ولم يجب الدفع إليه، بـل لا يجـزي، والظلم قد يكون بغير معصية، فإنه مجاوزة الحد، ويدخُل في ذلك المكروهات)[5]

وقال السندي: (عِلِم صلى ا عليه وسلم أن عامِلِيهِ لا يظلمون، ولكن أربـاب الأمـوال لمحبتهم بالأموال يعدون الأخذ ظلما، فقال لهم ما قال، فليس فيه تقرير للعاملين على الظلـم ولا تقرير للناس على الصبر عليه وعلى إعطاء الزيادة على ما حده ا تعالى في الزكاة)[6]

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٩/ص٦٣٥)

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إرضاء السعاة(ص٤٥٢/ح٩٨٩)، وأبو داود في الزكاة، بـاب: رضـا المصـدق (ص٢٩٨/ح١٥٨٩)، والنسائي في الزكاة، باب: إذا جاوز في الصـدقة(ص٣٦٢/ح٢٤٦٢)، وأحمـد فـي المسـند (ج٣١/ص٥٤٢/ح١٩٢٠٧)، جميعهم من طريق محمد بن أبي إسماعيل عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير رضي ا عنه. وزاد أبو داود والنسائي وأحمد بعد قوله صلى ا عليه وسلم: (أرضوا مصدقيكم)، قالوا: يا رسول ا ، **وإن ظلمونا**؟، قال: (أرضوا مصدقيكم). وزاد أبو داود من رواية عثمان بن أبي شيبة: (أرضوا مصدقيكم **وإن ظُلِمتُم**).

(٤) النووي، المنهاج(ص٧٦٩)

(٥) المرجع السابق.

(٦) السندي، شرحه على سنن النسائي(ج٥/ص٣٢)

وقال السهارنفوري: (أرضوا مصدقيكم.. أي وإن اعتقدتم أنكم مظلومون بسبب حبكم أموالكم، ولم يرد أنهم وإن كانوا مظلومين حقيقة يجب إرضاؤهم، بل المراد أنه يستحب إرضائهم وإن كانوا مظلومين حقيقة لقوله صلى ا عليه وسلم فإن تمام زكاتكم رضاءهم)[١]

٣. وعن وائل بن حجر رضي ا عنه قَالَ: جاء رجلٌ مِن حضرموتَ ورجلٌ مِن كِنْدةَ إلى النبي صلى الله عليهِ وسلم، فَقَالَ الْحضرمِي: يا رسولَ اللهِ، إن هذَا قَد غَلَبنِي على أَرضٍ لِي كانَتْ لِأبِي. فَقَالَ الْكِنْدِي: هِي أَرضِي فِي يدِي أَزرعها لَيس له فِيها حق. فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم لِلْحضرمِي: (أَلَكَ بينَةٌ؟)، قَالَ: لَا، قَالَ: (فَلَكَ يمِينُه)، قَالَ: **يَا رَسولَ اللهِ، إن الرجلَ فَاجِر لَا يبالِي علَى ما حَلَفَ عَلَيهِ، وَلَيسَ يَتَوَرع مِن شَيءٍ**. فَقَالَ: (**لَيسَ لَكَ مِنْه إلَّا ذَلِكَ**). فَانْطَلَقَ لِيحلِفَ، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم لَما أَدبر: (أَما لَئِن حلَفَ علَى مالِهِ لِيأْكُلَه ظُلْما لَيلْقَين الله وهو عنْه معرِض)[٢].

قوله **غَلَبنِي**: أي بالغصب والتعدي، **وفي يدي**: أي تحت تصرفي[٣].

وقوله **إن الرجلَ فَاجِر**: أي كاذب لا يبالي، **وَلَيسَ يَتَوَرع**: أصل الورع الكفّ عن الحرام، والمقصود ليس له ورع عن شيء، **وليسَ لَكَ مِنه إلا ذَلِكَ**: أي ما ذكر من اليمين[٤].

تناول الحضرمي في شكواه وتظلمه للنبي صلى ا علي وسلم خصمه الكِنْدي بكلام لاذعٍ، حين انتقده بإظهار ما فيه من معايب ومساوىء فذكر فجوره وعدم تورعه عن شيء من المعاصي والمظالم؛ ولم ينْكِر النبي صلى ا عليه وسلم عليه ذلك، لعلمه بأن قوله هو على سبيل الإخبار والتعريف به لا على سبيل التشهير، ليكون النبي صلى ا عليه وسلم مطّلِعا على حقيقته وحاله قبل أن يقضي بينهما؛ قال ابن حجر: (كل من اطّلع من حال شخص على شيء،

---

(١) السهارنفوري، خليل أحمد(ت١٣٤٦هـ)، **بَذْل المَجهود في حَل أبي داود**، ط١، (تعليق: محمد زكريا الكاندهلوي)، دار الريان للتراث، مصر، (١٩٨٨م).(ج٨/ص٩٣)

(٢) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار(ص٨٢/ح١٣٩)، وأبو داود في الأيمان والنذور، باب: فيمن حلف يميناً ليقتطع بها مالاً لأحد(ص٦١٨/ح٣٢٤٥)، والترمذي في الأحكام، باب: ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه(ص٤٠٩/ح١٣٤٥)، ثلاثتهم من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن أبيه وائل رضي ا عنه.

وروى مسلم في الكتاب والباب السابقين له من طريق عبد الملك ابن عمير عن علقمة عن أبيه، أن الكِنْدي هو امرؤ القيس ابن عابس وأنه غلَب الحضرمي على أرضه في الجاهلية، والحضرمي هو ربيعة ابن عبدان.

(٣) العظيم آبادي، عون المعبود(ج٦/ص١٥١)

(٤) النووي، المنهاج(ص٢٢٤)

وخشي أن غيره يغتر بجميل ظاهره فيقع في محذور ما، فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدا نصيحته)[١]

وقضى النبي صلى ا عليه وسلم بينهما بحكم الشرع وإن لم يكن هذا الحكـم مرضِـيا للشّاكي، فحكم بالبينة على المدعي وهو الحضرمي، واليمين على المدعى عليه وهو الكِنْدِي، مع الإشارة إلى أن الحاف كَذِبا يقتضي إعراض ا تعالى عن الحالف، وفي ذلك توجيه و تحـذير، كما فيه تأنيس للحضرمي إن كان مظلوما بأن الظالم لا يفلت من العقاب ربه تعالى.

الفرع الثاني: قبوله النقد دفاعا عن حق الآخر:

عن أَبِي قَتَادَةَ الحارث بن ربعي رضِي الله عنْه قَالَ: خَرجنَا مع رسول اللهِ صلى اللـه علَيهِ وسلم عام حنَينٍ، فَلَما الْتَقَينَا كَانَتْ لِلْمسلِمين جولَةٌ، فَرأَيتُ رجلًا مِن الْمشْرِكين علَا رجلًا مِن الْمسلِمين، فَاستَدرتُ حتى أَتَيتُه مِن ورائِهِ حتى ضربتُه بِالسيفِ علَى حبل عاتِقِهِ، فَأَقْبـلَ علَـي فَضمنِي ضمةً وجدتُ مِنْها رِيح الْموتِ، ثُم أَدركَه الْموتُ فَأَرسلَنِي. فَلَحِقْتُ عمر بـن الْخَطَّـابِ فَقُلْتُ: ما بالُ الناسِ؟ قَالَ: أَمر اللهِ. ثُم إِن الناس رجعوا وجلَس النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ: (من قَتَلَ قَتِيلًا لَه علَيهِ بينَةٌ فَلَه سلَبه). فَقُمتُ فَقُلْتُ: من يشْهد لِي؟ ثُم جلَستُ، ثُم قَالَ: (مـن قَتَـلَ قَتِيلًا لَه علَيهِ بينَةٌ فَلَه سلَبه) فَقُمتُ فَقُلْتُ: من يشْهد لِي؟ ثُم جلَستُ، ثُم قَالَ الثَّالِثَةَ مِثْلَـه، فَقُمـتُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (ما لَك يا أَبا قَتَادةَ؟) فَاقْتَصصتُ علَيهِ الْقِصةَ. فَقَالَ رجلٌ: **صَدَقَ يَا رَسولَ اللهِ وَسَلَبه عِنْدِي فَأَرضِهِ عَنِي. فَقَالَ أَبو بَكْرٍ الصديقُ رَضِيَ الله عَنْه: لَا هَـا اللهِ إِذًا لَا يَعمِد إِلَى أَسَدٍ مِن أُسدِ اللهِ يقَاتِلُ عَن اللهِ وَرَسولِهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَـلمَ يعطِيـكَ سَلَبه؟ فَقَالَ النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ: (صَدَقَ)** فَأَعطَاه. فَبِعتُ الدرع، فَابتَعتُ بِهِ مخْرفًا فِـي بنِي سلِمةَ فَإِنه لَأَولُ مالٍ تَأَثَّلْتُه فِي الْإِسلَامِ[٢].

قوله **جولة**: أي حركة فيها اختلاف، و**عَلا رجلا من المسلمين**: ظَهر عليه، و**حَبل عاتقه**: حبل العاتِق عصبه، والعاتِق موضع الرداء من المِنْكب، و**وجدت منها ريح الموت**: من شدتها[٣]

(١) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٥٥٧)

(٢) رواه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه..(ص٦٥٩/ح٣١٤٢)، ومسلم في الجهاد والسير، باب: استحقاق القاتل سلب القتيل(ص٨٨٣/ح١٧٥١)، وأبو داود في الجهـاد، بـاب: فـي السلب يعطى القاتل(ص٥١١/ح٢٧١٧)، ومالك في الموطأ كتـاب الجهـاد، بـاب: مـا جـاء فـي السـلب فـي النفل(ج٢/ص٩/ح١٨)، جميعهم من طريق مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن ابن أفلح عمر بن كثير عن أبـي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة رضي ا عنه. وأبو محمد هو نافع ابن عباس أو عياش الأقرع.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٤٥، ٤٦)

وقوله **فلحقت عمر**: في السياق حذْفٌ بينَتْه رواية أخرى وفيها: (**ثم برك فتحلل، ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب بالناس..**)[1]

سَلَبه: السلْب هو ما يوجد مع المحارب من ملبوس وغيره عند الجمهور[2].

أما قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه **(لَا هَا اللهِ إِذًا)**: فإن **ها** للتنبيه وهي بمنزلة واو القسم والمعنى: لا والله يكون ذا، أو ويأبى الله، ويقال: لا ها الله ما فعلت كذا[3].

وقوله **لَا يَعمِد إِلَى أَسَدٍ**: أي لا يقصد رسول الله إلى رجلٍ كأنه أسد في الشجاعة يقاتل عن دين الله ورسوله فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبةٍ من نفسه[4]

انتقد أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذلك الرجل الذي استولى على سلَبِ أبي قتادة من قتيله، ثم ذهب يطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعويضه و إرضاءه عن سلبه الذي أخذه؛ وهو الأمر الذي رأى فيه أب بكر رضي الله عنه انتقاصا لحقّ أبي قتادة، الذي قاتل في سبيل الله تعالى في تلك المعركة وهي حنين قتال الأسود، نصرة لدينه وشريعة رسوله، فبادر رضي الله عنه لتوجيه نقدٍ للرجل بلهجة دفاعية قوية أظهرت حقّ أبي قتادة في الحصول على السلب نفسه؛ فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على دفاعه قائلا: **(صَدَقَ)**، وعمِل برأيه. قال النووي: في الحديث فضيلة لأبي بكر في إفتائه بحضرة الرسول، واستدلاله لذلك، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك[5].

ويُلحظ أن أبا قتادة رضي الله عنه استشهد الناس ثلاثا على سلَبِه ولم يشْهد له أحد حتى اقتص القصة كاملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أن باح بها أمام الحاضرين قام آخَذُ السلب ليشهد معه ويطلب من النبي ما طلَب!، ولا شك أن تأخر الرجل عن تصديق دعوى أبي قتادة والشهود له، جعل موقفه -أي أبو قتادة- يبدو في بداية الأمر على جانب الضعف، إذ لم يجد أحدا يصدقه في دعواه؛ ويبدو لي أن ذلك كله كان له دور في استثارة الصديق رضي الله عنه ليقسِم على استحقاق أبي قتادة السلب دون غيره، بالإضافة لكونه من قاتل ببسالة وقتل ذلك المشرك.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: قول الله تعالى: {ويوم حنَينٍ إِذْ أَعجبتْكُم كثْرتُكُم فلَم تُغْن عنكُم شيْئًا}.. التوبة، آية: ٢٥(ص٨٩٣/ح٤٣٢٢)، من طريق الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد بسنده السابق.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص٣٠٤)

(٣) المصدر السابق(ج٨/ص٤٧-٤٩)، والنووي، المنهاج(ص١٣٤٧)

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٤٩)

(٥) النووي، المنهاج(ص١٣٤٧)

الفرع الثالث: قبوله النقد في الاستِنْصاح والإصلاح:

عن عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قالَ: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليهِ وسلم فَقالَ: **يَا رَسولَ اللهِ، إني عَالجتُ امرَأةً فِي أقْصَى المَدِينَةِ وَإني أصَبتُ مِنْهَا مَا دونَ أن أمَسهَا، فَأنَا هَذَا فَاقْضِ فِي مَا شِئْتَ.** فَقالَ له عمر: **لَقَد سَتَرَكَ الله لَو سَتَرتَ نَفْسَكَ.** قالَ: فَلَم يرد النبي صلى الله عليهِ وسلم شَيئًا. فَقام الرجلُ فَانْطَلَقَ، فَأتْبَعه النبي صلى الله عليهِ وسلم رجلًا دعاه وتَلَا عليهِ هذِهِ الآيةَ: **وَأَقِمِ الصلاةَ طرَفَي النهَارِ وَزلفًا منَ الليلِ إن الحَسَنَاتِ يذْهِبنَ السيئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذاكِرِينَ** . هود: آية:١١٤. فَقَالَ رجلٌ مِن القَومِ: يا نَبِي اللهِ، هذَا له خَاصةً؟ قالَ: (بلْ لِلناسِ كافةً)(١).

قوله: (**عَالجتُ امرَأةً فِي أقْصَى المَدِينَةِ**...)، قال النووي: أي تناولها واستمتع بها بأنواع الاستمتاع إلا الجِماع(٢). وأقصى المدينة: أسفلها وأبعدها عن المسجد(٣).

جمع الفاروق رضي الله عنه مع الشدة والصلابة في الدين، الحِكْمةَ وجرأة الرأي للمسلمين؛ فالنص الشريف هنا يخْبِر عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم مستسلما منْصاعا، مخْبِرا عن فعلته وذنبه راجيا النجاة منهما؛ فرأى الفاروق رضي الله عنه الأمر على وجهٍ آخر، حين نقد فعل الرجل في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: (**لَقَد سَتَرَكَ الله لَو سَتَرتَ نَفْسَكَ**)، قال العظيم آبادي: أي لكان حسنًا(٤). فأبرز الفاروق حقيقة أن الله تعالى ستَره إذ لم ينكشف أمره ولم يطلِع عليه أحد من الناس، فلو أكْملَ هذا الستر وأتَمه بالستْر على نفسِهِ ولم يفْتَضِح أمره لكان ذلك حسنًا.

وقد قدم الفاروق رضي الله عنه نقده لفعل الرجل على سبيل النصح له والإصلاح من شأنه وأمره، لا على سبيل إقراره على الذنب وارتِضائه له، فنزل النص القرآني مشيرا إلى أن فعله لا يعد من الكبائر وليس له حد يحد فيه، ولكنه من السيئات التي يقتضي محوها وذهابها

---

(١) رواه مسلم في كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: {إن الْحسنَاتِ يذْهِبن السيئَاتِ}، (ص١٣٦٦/ح٢٧٦٣)، وأبو داود في الحدود، باب: في الرجل يصيب من المرأة دون الجماع فيتوب قبل أن يأخذه الإمام(ص٨٣٤/ح٤٤٦٨)، والترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة هود(ص٨٨٨/ح٣١٢٣)، ثلاثتهم من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم عن سماك بن حرب عن إبراهيم بن يزيد بن قيس عن علقمة بن قيس بن عبد الله والأسود بن يزيد بن قيس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) النووي، المنهاج(ص١٩٣٠)

(٣) العظيم آبادي، عون المعبود(ج٧/ص٥٣١)

(٤) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٧/ص٥٣١)

أداء الحسنات، وذكر النص الصلاة. قال النووي: إن فعلته من الصغائر، لأنها كفّرتها الصـلاة، ولو كانت كبيرة موجبةً للحد أو غير موجبةٍ له لم تسقط بالصلاة[1].

(١) النووي، المنهاج(ص١٩٣٠)

المبحث الثاني: رده النقد

يتضمن هذا المبحث بشكل عام أحاديث رد النبي صلى ا عليه وسلم النقد الموجه فيها له أو لغيره برفضه وإنكاره على أصحابه، إذ أنها نقود من النوع الـذي يتنـاول فيـه الناقـد الأشخاص بألوان الطعن والاتهام والمعايبة والتشهير وغيرها مما هو مذموم ومنهي عنه شـرعا وعرفًا، وبمعنى آخر يتناول الذوات لا الأفعال أو الأقوال الصادرة عنها، وهو ما يخرج بالنقـد عن دوره الأصلي في البناء والإصلاح، ليصبح من قبيل النقد الهدمي الذي تترتب عليـه آثـار ونتائج سلبية.

المطلب الأول: رده النقد الموجه له من المسلمين:

<u>الفرع الأول: رده النقد الموجه له على سبيل الطعن والاتهام:</u>

عن الزبير بن العوام رضِي الله عنْه أَنه خَاصم رجلًا مِن الْأَنْصار قَد شَهد بـدرا إِلَـى رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فِي شِراجٍ مِن الْحرةِ كَانَا يسقِيانِ بِهِ كِلَاهما. فَقَالَ رسـولُ اللـهِ صلى الله علَيهِ وسلم لِلزبيرِ: (**اسق يَا زبَير ثُم أَرسِلْ إِلى جَارِكَ**). فَغَضِب الْأَنْصاري، فَقَالَ: **يَـا رَسولَ اللهِ، آن كَانَ ابنَ عَمتِكَ؟، فَتَلَونَ وَجه رَسول اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ ثُم قَالَ: (اسـق ثُم احبِس حَتى يَبلُغَ الْجَدر) فَاستَوعَى رَسولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ حِينَئِذٍ حَقـه لِلزبَيـر،** وكان رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم قَبلَ ذَلِك أَشَار علَى الزبيرِ بِرأْيٍ سعةٍ لَه ولِلْأَنْصاري، فَلَما أَحفَظَ الْأَنْصاري رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم استَوعى لِلزبيرِ حقه فِي صرِيحِ الْحكْـمِ. قَـالَ عروةُ قَالَ الزبير: واللهِ ما أَحسِب هذِهِ الْآيةَ نَزلَتْ إِلا فِي ذَلِك: **فَلا وَرَبـكَ لا يُؤْمِنُـونَ حَتـىَ يحَكموكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهم** النساء آية:٦٥[1].

قوله **شِرَاج من الْحَرةِ**: شِراج جمع شَرج والمراد به هنا مسيل الماء، والحـرة موضـع بالمدينة. وكان بالمدينة واديان يسيلان بماء المطر فيتنافس الناس فيه، فقضى رسول ا صـلى ا عليه وسلم للأعلى فالأعلى؛ قال العلماء: (الشرب من نهر أو مسِيل غير مملوك، يقدم الأعلى

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصلح، باب: إذا اشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بـالحكم البـين(ص٥٦٤/ح٢٧٠٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى ا عليه وسلم(ص١١٧٩/ح٢٣٥٧)، وأبو داود فـي الأقضـية، باب في القضاء(ص٦٨٣/ح٣٦٣٧)، والترمذي في تفسير القرآن، بـاب.(ص٨٦٠/ح٣٠٣٨)، والنسـائي فـي آداب القضاة، باب: الرخصة للحاكم الأمين أن يحكم وهو غضبان(ص٧٦٥/ح٥٤٠٩)، وابن ماجه في كتاب السنن، بـاب: تعظيم حديث رسول ا صـلى ا عليـه وسـلم والتغلـيظ علـى مـن عارضـه(ص٢٢/ح١٥)، وأحمـد فـي المسند(ج٣/ص٣٥/ح١٤١٩)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن الزبير بـن العـوام رضي ا عنهم.

فالأعلى، ولا حق للأسفل حتى يستغني الأعلى، وحده أن يعطي الماء الأرض حتـى لا تشـربه ويرجع إلى الجدار، ثم يطلقه). وهو الأمر الذي تخاصم الزبير فيه مع ذلك الأنصاري[١]، إذ كان الماء يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري فيحبسه لإكمال سقْي أرضه ثم يرسله إلـى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع[٢].

فلما تخاصما إلى النبي صلى ا عليه وسلم قضى بينهما برأي فيه سعة لكليهمـا كمـا يذكر النص، إذ قال: (**اسق يَا زبَير ثُم أَرسِلْ إِلى جَارِكَ**)، فغلبت على الأنصاري حينئذ أطماعه المادية بتعجيل السقي لأرضه وبادر إلى انتقاد قضاء النبي صلى ا عليه وسـلم، متهمـا إيـاه بالانحياز للزبير في حكمه كونه ابن عمته، إذ قال بلهجة متسائلة فيها هجوم واستنكار: **آن كـانَ ابنَ عَمتِكَ؟**، والمعنى: حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمتك[٣]. ولا يخفى ما فـي قولـه مـن المطاعن والتجريح المباشر في شخص النبي صلى ا عليه وسلم وما صدر عنه من حكـم، إذ اعتبر الأنصاري أن حكمه كان شخصيا بمعنى مراعاته لجوانب تتعلق بحياته الشخصـية وهـو صلة القرابة بينه وبين الزبير، مدعِيا ومتهما النبي صلى ا عليه وسلم أن ذلك كان له الدور في توجيه حكمه وقضائه بينهما.

وهو نقد سلبي أنكره النبي صلى ا عليه وسلم حتى تلون وجهه منه غضبا، ورده على صاحبه حين أمر الزبير أن يستوفي جميع حقه بعد أن كان أمره بترك بعضه، إذ كان حقّـه أن يسقي حتى يبلغ الجدر وهو المسناة، أي ما رفِع حول المزرعة كالجدار[٤]؛ فقال للزبير: (**اسـق ثُم احبِس حَتى يَبلُغَ الْجَدر)، قال الراوي: فَاستَوعَى رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَـلمَ حِينَئِـذٍ حَقه لِلْزبَير**، وكان رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم قبلَ ذَلِك **أَشَارَ عَلى الزبَير بِرَأْيٍ سَـعَةٍ لـه وَلِلْأَنْصَارِي، فَلما أَحفَظَ الْأَنْصَارِي رَسولَ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ استَوعَى لِلْزبَير حَقه فِـي صَرِيح الْحكْمِ**.

وقوله **استَوعَى** أي استوفى، **وَأَحفَظَ** أي أغْضب. وذكر ابن حجر توجيه العلماء لحكـم النبي صلى ا عليه وسلم على الأنصاري حال غضبه مع نهيه أن يحكم الحاكم وهو غضـبان،

---

(١) اختُلف فيه، ورجح الحافظ أنه حاطب بن أبي بلتعة وذكر ما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن سـعيد بـن المسـيب: (نزلت-الآية-في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء)، قال الحافظ: (إسناه قوي مع إرساله، فإن كان سعيد سمعه من الزبير فيكون موصولا). ينظر الفتح(ج٥/ص٤٥)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٤٦، ٤٩)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٥/ ص٤٧)

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٢٤١)

أن النهي معلّل بما يخاف على الحاكم من الخطأ والغلط، والنبي مأمون لعصمته من ذلك حـال السخط[١].

عن أَبي سعِيدٍ الْخُدري رضِي الله عنْه قُال: بعثَ عِلي بن أَبِي طَالِبٍ رضِي الله عنْه إِلى رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم مِن الْيمن بِذُهيبةٍ فِي أَدِيمٍ مقْروظٍ لَم تُحصلْ مِن تُرابِهـا، قَـالَ: **فَقَسَمَهَا بَينَ أَربَعَةِ نَفَرٍ: بَينَ عيَينَةَ بن بَدرٍ، وَأَقْرَعَ بن حابِس، وَزَيدِ الْخَيلِ، وَالرابِع إِما عَلْقَمَةُ وَإِما عَامِرِ بن الطفَيل.** فَقَالَ رجلٌ مِن أَصحابِهِ: **كُنا نَحن أَحَق بِهَذَا مِن هَؤُلَاءِ.** قَالَ: فَبلَغَ ذَلِـك النبي صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَالَ: **(أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِين مَن فِي السمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَر السـمَاءِ صَبَاحا وَمَسَاء)**؟ قَالَ: فَقَام رجلٌ غَائِر العينَين، مشْرفُ الْوجنَتَين، نَاشِز الْجبهةِ، كَـث اللحيـةِ، محلُوقُ الرأْسِ، مشَمر الْإِزارِ، فَقَالَ: **يَا رَسولَ اللهِ، اتق اللهَ،** قَالَ: **(وَيلَكَ، أَوَلَستُ أَحَـق أَهـل الأَرض أَن يَتقِيَ اللهَ؟)** قَالَ: ثُم ولى الرجلُ، قَالَ خَالِد بن الْولِيدِ: يا رسولَ الـهِ، أَلَـا أَضـرب عنُقَه؟ قَالَ: **(لَا، لَعَله أَن يَكُونَ يصَلي)** فَقَالَ خَالِد: **وَكَم مِن مصَل يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيسَ فِي قَلْبِه**؟ قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: **(إِني لَم أُومَر أَن أَنْقُبَ عَن قُلُـوبِ النـاس، وَلَـا أَشُـق بطُونَهم..)**[٢].

وفي رواية: (أَتَاه ذُو الْخُويصِرةِ، وهو رجلٌ مِن بنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: **يَا رَسولَ اللهِ، اعـدِلْ. فَقَالَ: (وَيلَكَ، وَمَن يَعدِلُ إِذَا لَم أَعدِلْ قَد خِبتَ وَخَسِرتَ إِن لَم أَكُن أَعدِلُ..)**[٣].

وفي أخرى: (فَتَغَيظَتْ قُريشٌ والْأَنْصار، فَقَالُوا: يعطِيهِ صنَادِيد أَهل نَجدٍ ويدعنَا؟، قَالَ: (إِنما أَتَأَلفُهم) فَأَقْبلَ رجلٌ... فَقَالَ: **يَا محَمد، اتق اللهَ.** فَقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسـلم: **(فَمَـن يطِيع اللهَ إِذَا عَصَيتُه؟ فَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهل الأَرض وَلَا تَأْمَنُونِي)**[٤].

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٤٩)

(٢) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلـى الـيمن(ص٨٩٩/ح٤٣٥١)، ومسـلم فـي كتـاب الزكـاة، بـاب: ذكـر الخـوارج وصـفاتهم(ص٤٨٧/ح١٠٦٤)، وأحمـد فـي مسنده(ج١٧/ص٤٦/ح١١٠٠٨)، ثلاثتهم من طريق عمارة بن القعقاع بن شُبرمة عن عبد الرحمن بن أبي نُعم البجلي عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه.

(٣) رواه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام(ص٧٥٣/ح٣٦١٠)، ومسلم في الكتـاب والبـاب السابقين(ص٤٨٧/١٠٦٤)، كلاهما من طريق ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عـن أبـي سـعيد الخدري رضي ا عنه.

(٤) رواه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى:(تَعرج الْملَائِكَةُ والروح إِلَيهِ)، (ص١٤٧٧/ح٧٤٣٢)، ومسلم فـي الكتاب والباب السابقين، وأبو داود في كتاب السنة، باب: في قتال الخوارج (ص٨٩٢/ح٤٧٦٤)، والنسائي في كتاب

قوله **بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا**: الذّهيبة تصغير ذهبة، وأديم مقـروظ أي مدبوغ بالقرظ وهو ورق السلَم[1]، ولم تحصل من ترابها أي لم تخلص من تراب المعـدن، وكأنها كانت تبرا وتخليصها بالسبك. **وزيد الخيل** المذكور في النص هو ابن مهلهل، قيل له ذلك لعنايته بها، ويقال لم يكن في العرب أكثر خيلا منه، وسماه النبي زيد الخير لما كان فيـه مـن الخير[2]. أما أوصاف ذو الخويصرة: **غَائِرِ الْعَيْنَيْنِ** أي عيناه داخلتان في محاجرهما لاصـقتين بقعر الحدقة وهو ضد الجحوظ، **مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ** بارزهما، **وَنَاشِزِ الْجَبْهَـةِ** مرتفعهـا، **وكَـث اللحيَةِ** كثيرها. **وصَنَادِيد أَهل نَجدٍ** أي ساداتها. وقوله: **إِنِي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النـاس،** معناه إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم[3].

وقوله **قَدْ خِبتَ وَخَسِرتَ إِن لَمْ أَكُن أَعدِلُ،** معناه خِبتَ أنت أيها التابع إذا كنت لا أعدل لكونـك تابعا ومقتديا بمن لا يعدِل. وروي خبتُ وخسرتُ بضم التاءين ، والفتح أشهر[4].

في النصوص المذكورة نموذج ثانٍ على الانتقادات السلبية المردودة التي كانـت توجـه للنبي صلى ا عليه وسلم من بعض المسلمين ممن ضعف إيمانهم، وغلبتهم مطامعهم الشخصية ودوافعهم المادية من أجل زيادة الكسب والتحصيل؛ حتى بلغ نقد أحدهم حد الطعن فـي عدلـه صلى ا عليه وسلم وتقواه، حين لم تحقّق قِسمته للغنائم المذكورة في النص تطلعاتِهِ وأهوائِـه، وقصر نظره النقدي عن تناول أمور كان من شأنها توجيه نقده في الاتجاه الصحيح، من علمـه صلى ا عليه وسلم الإلهي الذي يوحى إليه من السماء، إلى عصمته عن الظلم واختلال التقوى وأمثال ذلك، ثم حكمته النبوية البالغة وحسن سياسته وتدبيره، وبعد نظره لما فيه تحقيق مصلحة الإسلام والمسلمين.

فلم يتناول ذو الخويصرة سوى جانبا واحدا في نقده، وقام بالتركيز عليه، دون أن يسمح لعقله بمراجعة الجوانب الأخرى، فجاء حكمه مختلا نتيجة لاختلال الميزان الذي وزن به؛ وهو ما نبهه إليه النبي صلى ا عليه وسلم في رده على اتهاماته حين قال له زاجِرا وموبخًا (**وَيلَكَ، أَوَلستُ أَحَق أَهل الأَرض أَن يَتقِيَ اللهَ**)، وفي الرواية الثانية: (**وَيلَكَ، وَمَن يَعدِلُ إِذَا لَم أَعدِلْ قَد**

الزكاة، باب: المؤلفة قلوبهم(ص٣٧٩/ح٢٥٨٠)، وأحمد في المسند(ج١٨/ص١٩١/ح١١٦٤٨)، خمستهم من طريـق سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن أبي نُعم عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه.

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٤٣٩)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١٣/ص٥١٥)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٨٤-٨٦)، والنووي، المنهاج(ص٨١٣)

(٤) النووي، المنهاج(ص٨١٤)

خِبتَ وَخَسِرتَ إِن لم أَكُن أَعدِلُ)، وفي الثالثة: (**فَمَن يطِيع اللهَ إِذَا عَصَيتُه؟ فَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهـل الأَرض وَلَا تَأْمَنُونِي)**، وقال في مطلع النص وقد بلغه أن القوم عامة تناولوا قسمته بالمراجعـة، إذ رأوا أنهم أولى بها من هؤلاء الأشراف فقال: (**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِين مَن فِي السمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَر السمَاءِ صَبَاحا وَمَسَاء**)؟!، فأظهر لهم ما غفلوا عنه تحت وطأة مطامعهم وسيطرة دوافعهم، من أنه أمين ا تعالى على رسالته وأهل أرضه، فكيف لمن كان هذا مقامه عند ا تعـالى أن يظلم أو يجور؟؛ وبأنه متصل با عز وجلّ على الدوام، ومن كان هذا شأنه فلا يسأل عن تقواه فضلا عن الشك فيه!.

ويقول سلمان العودة: إن النقد والحوار حين يتجرد عن أنظمة الأخلاق والعـدل، فإنـه يتحول إلى معارك بشرية مفتوحة، تمارس قوى الشر الكامنة في النفس البشرية حركتها الطاغية في هذه المعركة باسم العلم أو الدين أو الحقوق[١]. وكلامه يصِفُ تماما حالـة ذي الخويصـرة، الذي تجاوز حدود الأدب والعدل في نقده تحت غطاء المطالبة بالحقوق.

وقد بين النبي صلى ا عليه وسلم أن قسمته لهؤلاء الأشراف دون غيرهم إنمـا كـان على سبيل تأليف قلوبهم أملا في حسن إسلامهم وثباتهم على الدين، ومن المعلـوم أن المؤلفـة قلوبهم فئة من الفئات التي ورد النص في استحقاقها واعتبارها مصرفًا من مصارف الزكاة، قال تعالى: **إِنمَا الصدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِين وَالْعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالْمؤَلفَةِ قُلُوبهم** التوبة آية:٦٠

<u>الفرع الثاني: رده النقد الموجه له بلا طعن ولا اتهام:</u>

عن أَنَس بن مالِكٍ رضِي الله عنْه قَالَ: قَالَ نَاس مِن الْأَنْصار حِين أَفَاء الله علَى رسولِهِ صلى الله علَيهِ وسلم ما أَفَاء مِن أَموال هوازن، **فَطَفِقَ النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ يعطِي رِجَالًا الْمِائَةَ مِن الْإِبِل**. فَقَالُوا: **يَغْفِر الله لِرَسول اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ يعطِـي قُرَيشًـا وَيَتْرُكُنَـا وَسيوفُنَا تَقْطُر مِن دِمَائِهِم!** قَالَ أَنَس: فَحدثَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم بِمقَالَتِهِم، فَأَرسـلَ إِلَى الْأَنْصار فَجمعهم فِي قُبةٍ مِن أَدمٍ ولَم يدع معهم غَيرهم. فَلَما اجتَمعوا قَام النبِي صـلى الـله علَيهِ وسلم، فَقَالَ: (**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُم**) فَقَالَ فُقَهاء الْأَنْصار: **أَما رؤَسَاؤُنَا يَا رَسولَ اللهِ فَلَـم يَقُولُوا شَيئًا وَأَما نَاس مِنا حَدِيثَةٌ أَسنَانُهم فَقَالُوا يَغْفِر الله لِرَسول اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَـلمَ يعطِي قُرَيشًا وَيَتْرُكُنَا وَسيوفُنَا تَقْطُر مِن دِمَائِهِم. فَقَالَ النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ: (فَإِني أُعطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلفُهم، أَمَا تَرضَونَ أَن يَذْهَبَ الناس بِالْأَموَال وَتَذْهَبونَ بِالنبِي صَـلى**

---

(١) العودة/ سلمان، http://www.alarabnews.com/alshaab/٢٠٠٥/١١-٠٣-٢٠٠٥/salman.htm مقالة بعنوان: **مقدمة في منهج النقد**، الإثنين بتاريخ(١٤٢٦/١/٢٦هـ -٢٠٠٥/٩/٣م)، (ص٢،١)

الله عَلَيهِ وَسَلَمَ إلى رِحَالِكُم، فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبونَ بِهِ خَير مِما يَنْقَلِبونَ بِهِ) قَالُوا: **يَا رَسولَ اللـهِ قَد رَضِينَا**[١].

وفي رواية قالوا: (**وَا ـ إن هَذا لَهوَ العَجَب، إن سيوفَنَا تَقْطُر مِن دِمَاءِ قُرَيش وَغَنَائِمنَـا تُـرَد عَلَيهم**)[٢]

وفي أخرى: (فقالت الأنْصار: **إذَا كانَتِ الشدةُ فَنَحن نُدعَى وَتُعطى الغَنَائِم غَيرَنَا**)[٣]

يشبه هذا النص الكريم النص السابقَ في محلّ النقد والمراجعة، وهو قسمة النبي صـلى ا عليه وسلم لغنائم غَنِمها المسلمون في بعض شؤونهم الحربية، إذ قَسم النبي صلى ا عليـه وسلم تلك الغنائم في كلا النصين بإعطاء فئة دون أخرى.

ويختلف النّصان في جملة أمور، أولها أن كلا منهما قصة مختلفـة[٤]، ثانيهـا يتصـل بالجهة الناقدة وأسلوبها في النقد، وثالثها يتصل بكيفية تعامله صلى ا عليه وسلم مع ذلك النقـد وإنكاره له.

أما الجهة الناقدة هنا فقد كانت فئة من الأنصار، ومن المعروف أن للأنصار عامة منزلة عظيمة عند النبي صلى ا عليه وسلم أشار إليها في غير موضع خلال حياته؛ ورغم ما حملـه نقد تلك الفئة من الاعتراض على قسمة النبي والرفض لها كما حمل النص السابق، إلا أن أجواء المراجعة منهم والرد من طرف النبي صلى ا عليه وسلم مختلفة عن تلك الأجواء التي تُلِقيهـا القصة السابقة. وأولُ ما يلاحظ ذلك في تعبيرهم حين قالوا (**يَغْفِر الله لِرَسول اللهِ صَـلى اللـه عَلَيهِ وَسَلَمَ يعطِي قُرَيشًا وَيَتْرُكُنَا وَسيوفُنَا تَقْطُر مِن دِمَائِهم**) فرغم أن قولهم يغفر ا لرسـول ا يشير إلى فعله بالتخطئة، إلا أن تعبيرهم بطلب المغفرة يعكس جانبا إيجابيـا مـن حـالتهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان(ص٨٩٥/ح٤٣٣١)، ومسلم في الزكـاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصـبر مـن قـوي إيمانـه(ص٤٨٢/ح١٠٥٩)، وأحمـد فـي المسـند (ج٢٠/ص١٢٢/ح١٢٦٩٦)، ثلاثتهم من طريق ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك رضي ا عنه.

(٢) رواه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار وقول ا عـز وجـل: [والـذين آووا ونَصـروا].. (ص٧٨٧/ح٣٧٧٨)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين، وأحمد في المسند(ج٢١/ص٢٢٠/ح١٣٦٠٨)، ثلاثتهم مـن طريق شعبة بن الحجاج عن أبي التياح عن أنس بن مالك.

(٣) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان(ص٨٩٦/ح٤٣٣٧) بنحوه، ومسـلم فـي الكتاب والباب السابقين واللفظ له، كلاهما من طريق معاذ بن معاذ عن عبد ا بن عون عن هشام بن زيد بن أنـس عن أنس بن مالك رضي ا عنه.

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٨٦)، قال في شرح حديث ذي الخويصرة:(هذه القصة غير القصة المتقدمة في غزوة حنين، ووهم من خلطها بها). والقصة الواردة في غزوة حنين هي حديث الباب وهي قسمة النبي صـلى ا عليـه وسـلم لأموال الغنائم على قريش والطلقاء دون الأنصار.

الشعورية تجاه النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه بعيدة عن التغيظ والحنق وخالية من الاتهام والطعن، بل فيه دلالة على محبته وعذْره.

وفي التعبير بقولهم (**وَالله إن هَذا لَهوَ العَجَب، إن سيوفَنَا تَقْطُر مِن دِمَاءِ قُرَيش وَغَنَائِمنَا تُرَد عَليهم**) التزام منهم بمراجعة محلّ النقد وموضوعه وهو فعله صلى الله عليه وسلم، دون تناول شخصه بالنقد أو التخطئة، إذ تعجبوا كيف أنهم من جاهد وقتل، ثم تُقْسم الغنائم لغيرهم.

وقولهم **سيوفُنَا تَقْطُر مِن دِمَائِهم**: هو من القلب والأصل ودماؤهم تقطر من سيوفنا، ويحتمل أن يكون بمعنى الباء، وبالغ من جعلَ الدم قطر السيوف[1].

أما قولهم (**إذَا كانَتِ الشدةُ فَنَحن نُدعَى وَتُعطَى الغَنَائِم غَيرَنَا**) ذلك لأنهم لبوا نداء النبي صلى الله عليه وسلم حين أدبر عنه الناس في تلك المعركة، إذ ورد في مطلع هذه الرواية أنّه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلافٍ، ومن الطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذ نِداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: (**يا معشر الأنصار**)، قالوا: **لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك**، ثم التفت عن يساره فقال: (**يا معشر الأنصار**)، فقالوا: **لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك**. ويظهر بذلك عذْرهم في النقد والمراجعة وحقهم فيه.

ويلاحظ كذلك في نقدهم أنهم تناولوا الأمر بينهم ولم يواجهوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاب، وعدم المواجهة تقتضي المهابة، والمهابة تنشأ إما عن الخوف والارتعاد أو عن المحبة والاستحياء، أما الأول فلم يعرف أن الصحابة كانوا يخافون النبي خوف الرعية من ملوكها، ولكن كانوا يهابونه حبا واستحياء لمنزلته في قلوبهم.

ومما تُعذر به تلك الفئة من الناس في نقدها أنهم كانوا **حَدِيثَةٌ أَسنَانُهم** كما وصفهم رؤساؤهم، وفيه قال ابن حجر: اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم صلى الله عليه وسلم ما خَفِي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم[2].

وأما كيفية تعامل النبي صلى الله عليه مع نقدهم ورده له، فيشير النص إلى أنه جمعهم في **قُبةٍ مِن أَدَمٍ**[3] **وَلَم يَدع مَعَهم غَيرَهم**، فاجتمع بهم اجتماعا مغلقًا عليهم وفيه إكرام لهم واحترام، ثم بدأهم بسؤال يحمل في ثناياه العتاب والملامة قال: (**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُم**)، ومن

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٧/ص١٤٠)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٦١)

(٣) الأدم هو الجلد المدبوغ. ابن حجر، الفتح(ج٧/ص١٤٠)

المعروف أن العتاب يقع بين المتحابين الذين تربطهم صلات وأواصر متينة، فرد النبي صلى ا عليه وسلم مراجعتهم ببيان سبب قسمته الغنائم على ذلك الوجه وهو تأليف قلـوبٍ لـم يـتمكن الإيمان منها بعد لقرب عهدها بحالة الكفر، وذكرهم بأن أولئك غنِموا الأموال أما هـم فغنمـوا قربه ومجاورته قائلا **أَمَا تَرضَونَ أَن يَذْهَبَ الناس بِالأَموَال وَتَذْهَبونَ بِالنبِي صَلى اللـه عَلَيـهِ وَسَلمَ إِلى رِحَالِكُم**، وقد كان قريبا منهم حيا وميتًا صلى ا عليه وسلم.

وخلاصة القول بأن الطريقة التي رد النبي صلى ا عليه وسلم بها نقد أولئك الجماعـة من الأنصار تختلف عن طريقته في الرد على نقد ذي الخويصرة، فأولئك كان لهم منزلة وفضل يشهدان لهم بحسن النية والحال، كما أنهم في مراجعتهم واعتراضهم على أمر القسمة لم يتناولوا شخصه الكريم بالإساءة وما شابه، فجاء رده صلى ا عليه وسلم علـيهم قريبـا إلـى المـودة والرحمة، بخلاف طريقته مع ذي الخويصرة الذي غلبته مطامعه فوجه اتهاما صريحا لشـخص النبي صلى ا عليه وسلم وطعن فيه، فرد عليه بما فيه زجره وتوبيخه. وعليه يمكن القـول أن النبي صلى ا عليه وسلم كان يبني نقده على أسس لعلّ من أهمها الـوعي بطبيعـة المنقـود وتوجهاته ودوافعه، وكان يراعي الفروق الفردية والجماعية في الجهات المنقودة.

المطلب الثاني: رده النقد الموجه له من غير المسلمين:

عن عائِشَةَ رضي ا عنها قالَتْ: كان على رسول اللهِ صلى الله عليْـهِ وسـلم ثَوبـان قِطْريان غَلِيظَان، فَكان إِذَا قَعد فَعرقَ ثَقُلَا عليه، فَقَدِم بز مِن الشامِ لِفُلَانٍ الْيهودِي، فَقُلْتُ: لَو بعثْتَ إِلَيهِ فَاشْتَريتَ مِنْه ثَوبين إِلَى الْميسرةِ، فَأَرسلَ إِلَيهِ، فَقَالَ: **قَد عَلِمتُ مَا يرِيد إِنمَا يرِيد أَن يَـذْهَبَ بِمَالِي أَو بِدَرَاهِمِي**. فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**كَذَبَ قَد عَلِمَ أَني مِن أَتْقَـاهم لِلـهِ وَآدَاهم لِلْأَمَانَةِ**)[١]

قوله **قِطْريان**: ضرب من البرود فيه حمرة وله أعلام وفيه بعض خشونة، **والبز** كـذلك ضرب من الثياب، ومعنى **الْمَيسَرَة**: أي مؤجلا إلى وقت اليسر، **وَآدَاهم** أي أحسنهم وفاء. وقول اليهودي: (**قَد عَلِمتُ مَا يرِيد إِنمَا يرِيد أَن يَذْهَبَ بِمَالِي أَو بِدَرَاهِمِي**)، ما إستفهامية على العلم أو موصولة، والعلم بمعنى العرفان[٢].

من الواضح أن النبي صلى ا عليه وسلم رد النقد الذي وجهه اليهـودي لطلبـه، لمـا تضمنه من الطعن في نيته، واتهامه بأنه يعمد إلى تضييع حقوقه والمماطلة فـي أدائـه، وهـو الصادق الأمين صلى ا عليه وسلم. ولم يتردد النبي في إبراز سوء قصد اليهودي بنقده، ونيته في الطعن مع علمه بتمام تقواه وأمانته في الأداء.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: البيوع، باب: ما جاء في الرخصة في الشراء الى أجل(ص٣٧٣/ح١٢١٧)، والنسـائي فـي البيوع، باب: البيع إلى الأجل المعلوم(ص٦٦٤/ح٤٦٣٠) كلاهما عن أبي حفص عمرو بن علي عن يزيد بن زريـع عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة مولى ابن عباس عن عائشة رضي ا عنها به. والحـديث إسـناده صـحيح فرجاله كلهم ثقات وصححه الألباني في صحيح النسائي(ج٣/ص٩٥٧/ح٤٣١٤).

ورواه من طريق محمد بن المنهال عن يزيد بن زريع بسنده الحاكم في مستدركه(ج٢/ص٢٣-٢٤) وقـال: صـحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وفي روايته قول اليهودي(قد علمت ما يريد محمد يريد أن يذهب بثـوبي ويمطلنـي فيها)، ورواه أحمد في مسنده(ج٤٢/ص٧٠/ح٢٥١٤١) من طريق شعبة عن عمارة بن أبي حفصة بسنده وفيها (إنمـا يريد أن يذهب بثوبي أو لا يعطيني دراهمي). قال شعيب: **إسناده صحيح على شرط البخاري**.

(٢) المباركفوري/ محمد بن عبد الرحمن(ت١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، (تخريج: رائـد بـن أبـي علفة)، بيت الأفكار الدولية، (ج١/ص١٢١٨-١٢١٩)

المطلب الثالث: رده النقد الموجه لغيره من المسلمين:

الفرع الأول: رده النقد الموجه لغيره على سبيل الطعن والإساءة:

عن عبدِ اللهِ بن عمر رضِي الله عنْهما أن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم بعثَ بعثًا وأمر علَيهم أُسامةَ بن زيدٍ **فَطَعَنَ الناس فِي إِمَارَتِهِ**. فَقَام رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ: **(إِن تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَد كُنْتُم تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِن قَبلُ، وَايم اللهِ إِن كَانَ لخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِن كَانَ لَمِن أَحَب الناس إِلَي وَإِن هَذَا لَمِن أَحَب الناس إِلَي بعدَه)**[1].

قوله **بَعَثَ بَعثًا**: هو البعث الذي أمر بتجهيزه في مرض وفاته، **وطَعَنَ**: يطْعن في العرض والنسب، و**تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ**: يشير إلى إمارة زيد بن حارثة في غزوة مؤته[2]، **وَايم اللهِ**: من ألفاظ القَسم، كعمر الله وعهد الله[3]، **وَخَلِيقًا**: أي حقِيقًا بها ومستحقا لها[4]

في هذا النص نَقْدان أحدهما صريح والآخر ضِمني، أما الأول فتناول أسامة بن زيد رضي الله عنه بالطعن حينما أمره النبي صلى الله عليه وسلم على جيش انتدب فيه كبار المهاجرين والأنصار، فتكلم في ذلك قوم قيل أنهم إنما طعنوا فيه لكونه مولى[5]، وسواء كان هذا سبب النقد أوغيره فلا شك أن دافعهم كان الطعن مباشرة في شخصه وذاته كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في النص. أما الثاني فإن هذا النقد الصريح يشتمل على نقد ضمني لاختيار النبي صلى الله عليه وسلم له على جيش فيه من هو أكبر منه سِنا وأفضل مكانة، فتضمن الرد النبوي لنقدهم ردا على كليهما-الصريح والضمني- إذ رد على تناولهم أسامة بالاستخفاف والطعن فيه، بأنه من أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم، وهو تصريح يدلّ على عِظَمِ منزلة أسامة ذلك المولى، وفيه رد على جميع الناقدين الذين يتناولون الأشخاص بالنقد بقصد الإساءة والإهانة والتحقير وغير ذلك من أشكال الاستخفاف، كما رد على اعتراضهم لتأميره على الجيش بتذكيرهم بصدور مثل هذا الطعن عنهم في أبيه زيد حينما أمره على جيش

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي تُوفي فيه(ص٩٢٢/ح٤٤٦٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما(ص١٢١٥/ح٢٤٢٦)، والترمذي في المناقب، باب: زيد بن حارثة(ص١٠٨٥/ح٣٨٤٢)، وأحمد في المسند(ج٨/ص٣٢٤/ح٤٧٠١) جميعهم من طريق عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج٢/ص٢٦٢٠)

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٩٤)

(٤) النووي، المنهاج(ص١٧٦٧)

(٥) ابن حجر، الفتح(ج١٣/ص٢٢٤)

مؤنه، فأقسم با عز وجلّ على أنه كان خليقًا بذلك المنصب، ومستحِقا له، وقادرا على سياسته وتدبيره والقيام بمتطلباته، كما هو ابنه أسامة رضي ا عنهما.

ومما يلاحظ في هذا النص أن الجماعة الطاعنة قد كررت نفس الخطأ في نقدها مرتين، وسبب ذلك تركها الموضوعية والحِيادية في تناولها أمر التأمير بالنقد، فغَلب عليها الانحياز والتعصب للأنساب والمكانة الاجتماعية، إذ كان زيد وابنه كما ذُكِر سابقًا من الموالي ولم يكونوا من سادات القوم أو أشرافها نسبا، فإن عذِر الطاعنون في المرة الأولى فلا عذْر لهم في الثانية وقد تبين لهم أن الأمر يرجع إلى أعمال الأشخاص وقدراتهم وما يصدر عنهم، لا إلى أنسابهم ومواطنهم وغير ذلك مما يحاكم به الأشخاص ويوزنون به ظلما وتعسفًا.

فيعد هذا النص من النصوص المهمة التي تَظْهر بها أهمية الموضوعية والحِيادية في تناول الأمور بالنقد، والبعد عن التعصب والانحياز، وهو ما يتطلب توفر حسن النية لدى الناقد، وتركيزه في العملية النقدية على كل ما من شأنه تحقيق المنفعة العامة والإصلاح والبناء، كما يتطلب النزاهة في إصدار الأحكام على الناس بإبراز ما هم أهلٌ له دون النيل منهم بدمٍ أو نسب أو غير ذلك مما لا يقدم أو يأخر في المحصلة والنتائج.

الفرع الثاني: رده النقد الموجه لغيره على سبيل إصدار الأحكام:

عن عِتْبان بن مالِكٍ رضي ا عنه، وهو مِن أَصحابِ رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم مِمن شَهِد بدرا مِن الْأنْصار، أَنه أَتَى رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فقَالَ: يا رسولَ اللهِ قَد أَنْكَرتُ بصري، وأَنَا أُصلي لِقَومِي فَإِذَا كانَتْ الْأمطَار سالَ الْوادِي الذِي بيني وبينَهم لَم أَستَطِع أَن آتِي مسجِدهم فَأُصلي بِهِم، ووددتُ يا رسولَ اللهِ أَنك تَأْتِيني فَتُصلي فِي بيتِي فَأَتخِذَه مصلى. قَالَ فَقَالَ لَه رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: (سأَفْعلُ إِن شَاء الله)، قَالَ عِتْبان فَغَدا رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم وأَبو بكْرٍ حِين ارتَفَع النهار فَاستَأْذَن رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فَأَذِنْتُ لَه، فَلَم يجلِس حتى دخَلَ الْبيتَ. ثُم قَالَ: (أَين تُحِب أَن أُصلي مِن بيتِك)؟ قَالَ: فَأَشَرتُ لَه إِلَى نَاحِيةٍ مِن الْبيتِ، فَقَام رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فَكَبر فَقُمنَا فَصفنَا فَصلى ركْعتَين ثُم سلم. قَالَ: وحبسنَاه علَى خَزِيرةٍ صنَعنَاها لَه. قَالَ: فَآب فِي الْبيتِ رجالٌ مِن أَهلِ الدار ذَوو عددٍ فَاجتَمعوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهم: **أَين مَالِك بن الدخَيشِن أَو ابن الدخْشُن؟ فَقَالَ بَعضهم: ذَلِكَ منَافِقٌ لَا يحِب اللهَ وَرَسوله، فَقَالَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ: (لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاه قَد قَالَ لَا إِلَهَ إِلَا الله يرِيد بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ)** قَالَ: الله ورسولُه أَعلَم، قَالَ: **فَإِنا نَرَى وَجهَه وَنَصِيحَتَه إِلَى**

الْمنَافِقِينَ. قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: (**فَإِن اللهَ قَد حَرمَ عَلى النارِ مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلا الله يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ**)[١]

قول القائل عن مالكٍ المذكور في النص: (**ذَلِكَ منَافِقٌ لَا يحِب اللهَ وَرَسولَه**)، هو النقـد الذي رده النبي صلى ا عليه وسلم بصيغة النهي قائلا بحزمٍ وجزم: (**لَا تَقُلْ ذَلِكَ**) ومعناه لا تقل في حقه ذلك[٢]، ثم بين له وللحاضرين بقوله: (**أَلَا تَرَاه قَد قَالَ لَا إِلَهَ إِلا الله يريد بِـذَلِكَ وَجـهَ اللهِ**)؟ أن إجراء أحكام الإسلام يكون على الظاهر دون ما في الباطن كما ذكر ابـن حجـر[٣]. وذكر كذلك من فوائد الحديث: التنبيه على من يظن به الفساد في الدين عند الإمام علـى جهـة النصيحة وأن ذلك لا يعد غيبة[٤]، وترجم البخاري لهذا النص في بعض مواضعه في الصـحيح بقوله: ما جاء في المتأولين[٥]، ويؤيد ترجمته ما احتج به القائل وهو قوله: (**فَإِنا نَـرَى وَجهَـه وَنَصِيحَتَه إِلى الْمنَافِقِينَ**)، أي أنه حينما رأى توجهه نحو المنافقين ونصيحته لهم تأول ذلك منـه بأنه على شاكلتهم في النفاق. وبناء على ماسبق لا يحمل قوله في مالك علـى إرادة الطعـن أو الإساءة أو الغيبة المذمومة شرعا وغير ذلك، بل اعتبره ابن حجر نصيحة، واعتبـره البخـاري تأولا لا يمنعه الشرع؛ ورغم هذا وذاك رده النبي صلى ا عليه وسلم ونهـى عنـه، ذلـك أن توجيه حكمٍ بالنّفاق على مسلمٍ ليس بالأمر الهين ولا اليسير، فقد ذم ا تعـالى النفـاق وأهلـه وتوعدهم بالعذاب الشديد؛ وهو من الأمور الباطنة التي لا يعلمها إلا ا تعالى ولا ينبغي تناولها والخوض فيها إلا ما عرفَ منها بالنص عليه.

ويندرج تحت هذا النوع من النقود التي ردها النبي صلى ا عليه وسلم ما كـان علـى شاكلته مما للشرع فيه قول وبيان كتناول الآخرين بالتكفير أو القذف بلا بينة أو غير ذلـك، وإن توفّر حسن النية والقصد لدى الناقد، ومما يستَفاد من النص رد النقد عن المنقود حين تُعرف عدم

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: المساجد في البيوت(ص١٠٢/ح٤٢٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر(ص٣٠٠/ح ٢٦٣)، والنسائي في السهو، باب: تسليم المأموم حين يسلّم الإمام(ص٢٠٤/ح١٣٢٩)، وابن ماجه في المساجد والجماعات، باب: المساجد في الدور(ص١٩٠/ح٧٥٤)، وأحمـد في مسنده(ج٣٩/ص١٨٧/ح٢٣٧٧٠). جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن محمود بن الربيع الأنصاري عـن عِتبان بن مالك رضي ا عنه.

(٢) النووي، المنهاج(ص٥٧٥)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٢/ص٣٧٧)

(٤) المرجع السابق(ج١/ص٦٨٨)

(٥) البخاري، الصحيح، كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين(ص١٣٩١/ح٦٩٣٨)

صحة ما انتُقِد به، فمن واجب المسلم ذب السوء عن أخيه المسلم، كما قال النووي في بعض فوائد الحديث: فيه الذب عمن ذُكِر بسوء وهو بريء منه[١].

أما قوله في النص:

أَنْكَرتُ بَصَري: أراد به ضعف بصره[٢].

وسَالَ الْوَادِي: أي سال الماء في الوادي.

ولم يَجلِس حَتى دَخَلَ الْبيتَ: المعنى فلم يجلس في الدار ولا غيرها حتى دخل البيت مبادِرا إلى ما جاء بسببه.

وَحَبَسنَاه عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعنَاهَا له: حبسناه أي منعناه من الرجوع، وخريزة نوع من الأطعمة.

فَآبَ فِي الْبيتِ رِجَالٌ مِن أَهل الدار: آب رجالٌ أي اجتمعوا بعد أن تفرقوا، ومن أهل الدار أي محلتهم[٣].

<u>الفرع الثالث: رد النقد الموجه لغيره حين لا يكون في محلّه:</u>

عن عبدِ اللهِ بن عمر رضِي الله عنْهما قال: **مَر النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ عَلَى رَجلٍ وَهوَ يعَاتِب أَخَاه فِي الْحَيَاءِ**، يقُولُ **إِنكَ لتَستَحيِي حَتى كَأَنه يَقُولُ قَد أَضَر بِكَ**، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: (**دَعه فَإِن الْحَيَاءَ مِن الْإِيمَان**)[٤]

بعض النقود لا تكون في محلها، يظن أصحابها أنهم يهدون بها إلى الخير ويحققون المنفعة للآخرين، والواقع خلاف ذلك، إذ تترتب على نقودهم آثار سلبية على الجهة المنقودة، وينشأ عنها الهدم لا البناء دون نية سابقة بذلك؛ وحديث الباب مثال على ذلك، فقد تناول الرجل المذكور في النص صفة الحياء البارزة في أخيه بالمراجعة والانتقاد، والظاهر أن أخاه كان كثير

---

(١) النووي، المنهاج(ص٥٧٦)

(٢) السنْدي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السنْدي(ج٣/ص٧٣)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٦٨٤-٦٨٦)

(٤) **(متفق عليه).** رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الحياء(ص١٢٥٦/ح٦١١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان..وفضيلة الحياء..(ص٤٤/ح٣٦)، وأبو داود في الأدب، باب: في الحياء(ص٩٠٠/ح٤٧٩٥)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء أن الحياء من الإيمان(ص٧٥٢/ح٢٦٢٤)، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب: الحياء(ص٧١٩/ح٥٠٣٥)، وابن ماجه في كتاب المقدمة، باب: الإيمان(ص٣٣/ح٥٨)، وأحمد في المسند(ج٩/ص١٦٤/ح٥١٨٣)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن سالم بن عبد ا عن أبيه عبد ا بن عمر رضي ا عنهما. رواه البخاري بلفظ :(**يعاتب أخاه**)، والبقية بلفظ :(**يعظ أخاه في الحياء**)

الحياء كما قال ابن حجر، وأن ذلك كان يمنعه من استيفاء حقوقه، فعاتبه أخوه علـى ذلـك[1]؛ وذهب إلى تقييم تلك الصفة في أخيه والحكم عليها من خلال النّظر في جانب واحد من جوانبهـا وهو ما يلحق أخاه بسببها من الأضرار، وما يفوته من الحقوق، أي قام بالتركيز على الجانـب السلبي في التزام تلك الصفة، دون تناول الجانب الإيجابي وإبرازه والنظر فيه، فبادر بتوجيه نقد شديد لأخيه عاتبه فيه على تكرار صدور تلك الصفة عنه، وحثه على تركها. وجاء في بعـض الروايات أنه **كان يَعِظُه في الحياء**[2]، قال ابن حجر: المراد بوعظه أنه يذكر له ما يترتب على ملازمته من المفسدة[3]، وقال النووي: أي ينهاه عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته[4]، وقـال السندي: يعاتب عليه في شأنه ويحثه على تركه[5].

فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه نقده على الفور آمرا الرجل الكفّ عن نهـي أخيـه عن صفة الحياء، قال: (**دَعه فَإِن الْحَيَاءَ مِن الْإِيمَان**)، أي اتركه على هذا الخلق، ودعـه علـى فعل الحياء؛ ثم زاد صلى الله عليه وسلم بأن ما نهاه عنه هو من الإيمان؛ وإطلاق كونـه مـن الإيمان مجاز، ومعناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمـان، فسـمي إيمانًا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه[6].

إن التقييم الصحيح لمحل النقد هو الذي يتم فيه تناول الجوانب الإيجابية والسلبية، الحسنَة والسيئة على حد سواء، ومن ثم وضعها في الميزان ليكون الحكم عليها حكما دقيقًا وسديدا، أمـا نقد الأمور بتناول جانبٍ وإهمال ما دونه لا شك أنه يفسد التقييم والحكم وبالتالي يخرج بالنقد عن دائرة النفع الإصلاح. فصفة الحياء التي تناولها الرجل بالذم وإن كانت تتسبب لأخيـه بفـوات بعض الحقوق وغيرها من الأشياء، إلا أنها علامة مهمة على الإيمان، ووجودهـا فـي الـنفس يعصم المؤمن عن المعاصي والذنوب والظلم، فلا شك أن ما يحققه المرء لذاته بـالتزام خلـق الحياء هو أكبر بكثير مما كان يطمح ذلك الرجل أن يحققه لأخيه حين ذهب يحثه علـى تـرك الالتزام بالحياء.

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج١/ص١٠١)

(٢) انظر تخريج الحديث.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٦٤٠)

(٤) النووي، المنهاج(ص١٤٥)

(٥) السندي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي(ج٨/ص٤٩٦)

(٦) ابن حجر، الفتح(ج١/ص١٠١)، والنووي، المنهاج(ص١٤٥)

الفرع الرابع: رده النقد العنيف:

عن أبي هريرةَ رضي ا عنه قالَ: **قامَ أعرابِي فبالَ في المسجِدِ فتناولَه الناس**، فقَـالَ لهم النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: (**دعوه وهريقُوا علَى بولِهِ سجلًا من ماءٍ أو ذنُوبا من مـاءٍ، فإنمَا بعِثْتُم ميسرِينَ ولَم تُبعثُوا معسرِينَ**)[1] وفي رواية: (**فثارَ إليهِ الناس ليقعوا بِهِ**)[2]

وجاء في رواية قول الأعرابي: (**فقامَ إلي بِأَبِي وأُمي فلَم يؤَنب ولَم يسب فقالَ إن هذَا المسجِدَ لا يبالُ فِيهِ وإنمَا بنِيَ لِذِكْرِ اللهِ وللصلاةِ ثُم أَمرَ بِسجلٍ من ماءٍ فأُفْرِغَ علَى بولِهِ**)[3]

قوله **فتناوَله الناس**: أي بألسنتهم، **وسجلًا وذنُوبا**: الدلو ملأى ماء[4].

رد النبي صلى ا عليه وسلم أسلوب الشدة والعنْف الصادر عن صحابته في انتقاد فعل الأعرابي الذي كان جاهلا بحرمة ما صدر عنه، آمرا الحاضرين أولا بتركه حال فعلـه إذ ورد في بعض الروايات قوله:(**دعوه ولا تُزرِموه**)[5] أي لا تقطعوا عليه بولـه، والإزرام القَطْـع[6]، وثانيا بمعالجة أمر النجاسة التي أصابت المكان بإهراق الماء عليها، وثالثا بتوجيههم إلى التعامل مع مثل هذه المواقف بما يليق بها من الرفق والتيسير واللين، لا الشـدة والعنـف والتعسـير. فالرجل كان له عذْر بجهله، والشدة مع الجهل تؤدي غالبا إلى النفـور وعـدم التقبـل وفـوات المصلحة؛ قال تعالى مخاطبا نبيه عليه السلام: **فَبِمَا رَحمَةٍ منَ اللّهِ لِنتَ لهم وَلَو كُنـتَ فَظـا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضواْ مِن حَولِكَ** سورة آل عمران، آية:(١٥٩)

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد(ص٦٢/ح٢٢٠)، من طريق ابن شـهاب الزهري عن عبيد ا بن عبد ا بن عتبة عن أبي هريرة رضي ا عنه. ورواه أبو داود في كتاب الطهارة، بـاب: الأرض يصيبها البول(ص٨٥/ح٣٨٠)، والترمذي في كتـاب الطهـارة، بـاب: مـا جـاء فـي البـول يصـيب الأرض(ص٦٠/ح١٤٧)، وأحمد في مسنده(ج١٢/ص١٩٧/ح٧٢٥٥)، جميعهم من طريق سفيان بن عيينه عـن ابـن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي ا عنه.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: قول النبي صلى ا عليه وسلم يسروا ولا تعسروا(ص١٢٥٨/ح٦١٢٨) مـن طريق يونس ين يزيد وشعيب بن أبي حمزة بالإسناد السابق.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب: الطهارة وسننها، باب: الأرض يصيبها البول كيف تُغسل(ص١٣٩/ح٥٢٩)، وأحمـد فـي المسند،(ج١٦/ص٣١٥/ح١٠٥٣٣)، كلاهما من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريـرة رضـي ا عنه. ومحمد بن عمرو قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام(ج٢/ص٢٠٥)، وانظر التخريج السابق.

(٤) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٤٣٠)

(٥) رواه مسلم فـي كتـاب: الطهـارة، بـاب: وجـوب غسـل البـول وغيـره مـن النجاسـات إذا حصـلت فـي المسجد(ص١٥١/ح٢٨٤) عن قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد عن ثابت بن أسلم عن أنس بن مالك رضي ا عنه.

(٦) النووي، المنهاج(ص٣٥٩)

وهو الأمر الذي حذّر منه النبي صلى ا عليه وسلم ضمنيا حين ذكر لهم أمر التيسير وأنهم مبعوثون به، وإسناد البعث إليهم على طريق المجاز، لأنه هو المبعوث صـلى ا عليـه وسلم بما ذكر، لكنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك، إذ هم مبعوثون من قِبَلِهِ بذلك أي مأمورون[1].

ثم تناوله النبي صلى ا عليه وسلم بالنصح والتوجيه للمعروف.

(١) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٤٣٠)

المبحث الثالث: تركه النقد

يعرض هذا المبحث لأحاديث تضمنت مواقف تستحقّ النقد والمراجعة، إلا أن النبي صلى ا عليه وسلم ترك الخوض فيها، لأسباب منها ما يتعلق بطبيعة الشخص المنقود ومنها ما يتعلق بالظرف أو التوقيت وغير ذلك؛ على أن ترك النقد في بعض الحالات التي تعرضها النصوص لا يعني بالضرورة التجاوز أو التغاضي كلية عن الجهة المنقودة ومحلّ النقد، فمثلا ما كان تركه مرتبطًا بالحالة النفسية للمنقود والتي قد تمنع استجابته للنقد، يصبح ممكنًا حينما يكون التوقيت مناسبا لذلك، أي حين يكون المنقود في حالة تسمح له بالاستجابة والقبول؛ ولا يخفى ما في ذلك من حكمة وتغليب للفائدة والمصلحة التي يرجوها الناقد للمنقود، كما لا تخفى دلالته على ما يتمتع به الناقد من المرونة والمقدرة العالية على اختبار المواقف والتعامل معها بشكل صحيح، وهو جزء يسير مما كان يتمتع به النبي صلى ا عليه وسلم في تعامله مع مختلف المواقف وتناوله للأمور. ومن الجدير بالذكر أن بعضا مما يظهر في النصوص ترك النبي صلى ا عليه وسلم لنقده كلية كتركه نقد طبيعة الجفاء في الأعراب، هو مما يقع في حدود ودائرة المعقول الذي لا غلو فيه أو تعد أو غير ذلك مما يجعله غير مقبول.

المطلب الأول: تركه النقد مراعاةً للطباع:

الفرع الأول: جفاء الأعراب:

١. عن صفْوان بن عسالٍ الْمرادِي رضي ا عنه قال: كُنا مع النِبي صلى الله علَيهِ وسلم فِي سفَرٍ، فَبينَا نَحن عِنْده إِذْ **نَادَاه أَعرَابِي بِصَوتٍ له جَهوَرِي يَا محمد، فَأَجَابَه رَسولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ نَحوا مِن صَوتِهِ: (هَاؤُم)** فَقُلْنَا لَه: **وَيحَكَ اغْضض مِن صَوتِكَ فَإِنكَ عِنْدَ النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ، وَقَد نُهِيتَ عَن هَذَا.** فَقَالَ: **وَاللهِ لَا أَغْضض،** قَالَ الْأَعرابِي: **الْمَرء يحِب الْقَومَ وَلَما يَلْحَقْ بِهِم؟** قَالَ النِبي صلى الله علَيهِ وسلم: **(الْمَرء مَعَ مَن أَحَب يَومَ الْقِيَامَةِ)**(1)

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار(ص١٠١٤/ح٣٥٤٦). ورواه النسائي في **السنن الكبرى**، (تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن)، دار الكتب العلمية، بيروت،(١٩٩١م)، (ج٦/ص٣٤٤/ح١١١٧٨)، وأحمد في المسند(ج٣٠/ص١١/ح١٨٠٩١)، وابن حبان في صحيحه(ج٤/ص١٤٩/ح١٣٢١)، والطبراني في الكبير(ج٨/ص٦٩/ح٧٣٥٩) جميعهم من طريق عاصم بن أبي النجود وهو ابن بهدلة، عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال رضي ا عنه.

والحديث قال فيه الترمذي حسن صحيح، **وإسناده حسن** من أجل عاصم بن أبي النجود، قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام(ج١/ص٣٦٥/ ترجمة٣٣٧٤). وحديثه لا يرقى إلى الصحة، (انظر: شعيب الأرناؤوط، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ص ١٤٨، تخريج حديث ١٣١٩)

وفي رواية: (**إذ ناداه رجل كان في آخْريات القوم بصوت له جهوري جافٍ جاف**)[١]

قال ابن الأثير: من سكن البادية غَلُظَ طَبعه لقلة مخالطة الناس. **والجاف** من الجفاء وهو غِلَظُ الطبع. **والجافُ** الأحمق. وناداه بصوت **جَهوَري** أي شديدٍ عالٍ[٢]. **وهاؤم** بمعنى تعال وخذ، وقول الصحابة للأعرابي **اغْضض من صَوتِكَ** أي اخفضه، **وَقَد نُهيتَ عَن هَـذَا** أي عـن رفـع صوتك فوق صوت النبي[٣].

تَرك النبي صلى الله عليه وسلم في النص مراجعة الأعرابي أو مناقشته فيما صدر عنه من رفْع صوته رغم نزول الآية الكريمة بالنهي عنه، وتذكير الصحابة له بالحكم؛ ويرجع ذلـك إلى علم النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما صدر عنه من شأن رفْع الصوت إنما يرجع إلى بيئته وهي البداءة، وما تَجبل عليه ساكنوها من قسوة الطبع وحدته والجفاوة، ولا يرجع الأمر منه إلى التجاوز أو قصد الإيذاء. وقد ذكر المباركفوري في قول الأعرابي **وَاللهِ لا أَغْضض**: إنما قالـه لأنه كان جلف جاف[٤]. ولا يبدو أن الأمر كان يرجع إلى جهله بالحكم لقوله بعد تذكير الصحابة له: **وَاللهِ لا أَغْضض**.

فتعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع ما صدر عنه بالتماس العذر له، ومراعاة ما طُبِع عليه في بيئة البادية، باعتبار الأمر خارجا عن إرادته أولا، وهو سليم النية والقصـد ثانيـا وإن صدر عنه ما خالف النص. بل وجه المباركفوري رفْع النبي صلى الله عليه وسلم صوته نحـوا من صوت الأعرابي كما ورد في النص، بأن ذلك كان **شفقة عليه لئلا يحبط عمله**، قال: رفـع النبي صوته حتى كان مثل صوته أو فوقه لفَرط رأفته به[٥]. وفيه دلالة على التماس النبي العذر له، والأخذ بحسن نيته.

٢. ومن المواقف التي صدر فيها جفاء وقسوة من الأعراب تجاه النبي صلى الله عليـه وسلم وتجاوز عنها دون تناولها بالمراجعة ما روي عن أَنَسِ بن مالِكٍ رضِي الله عنْه قالَ: كُنْتُ أَمشِي مع النبِي صلى الله علَيهِ وسلم وعلَيهِ برد نَجرانِي غَلِيظُ الْحاشِيةِ، **فَأَدرَكَه أَعرَابِي فَجَذَبَـه جَذْبةً شَدِيدَةً**، حتى نَظَرتُ إِلَى صفْحةِ عاتِقِ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم قَد أَثَـرتْ بِـهِ حاشِـيةُ

(١) اللفظ عند الترمذي(ص١٠١٥/ح٣٥٤٧) والنسائي والطبراني بالتخريج السابق.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٢٧٥،٢٨٠،٣١٥)

(٣) المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج٢/ص٢٤٩٦)

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

الرداءِ مِن شِدةِ جذْبَتِهِ، ثُم قَالَ: **مر لِي مِن مَال اللهِ الذِي عِندَكَ. فَالتَفَتَ إِليهِ فَضَحِكَ، ثُم أَمَرَ له بِعَطَاءٍ**[1]

فتغاضى النبي صلى ا عليه وسلم عن فعل الأعرابي، رغم شدة ما صـدر عنـه، إذ أثرت جذبته لرداء النبي من قوّتها على عنقه صلى ا عليه وسلم؛ وذلك لعلمه بجفـاء طبـاع الأعراب وقسوتها عامة، ولأنه أراد أن يتألفه كما ذكر ابن حجر في فوائد الحديث من تجـاوزه صلى ا عليه وسلم على جفاء من يريد تألفه على الإسلام[2].

٣. ومنها ما روي عن جبيرِ بن مطْعِمٍ أنه بينَا هو مع رسول ا ِ صلى ا عليهِ وسـلَمَ ومعه الناس مقْبِلا مِن حنَينٍ، **عَلِقَتْ رَسولَ ا ِ صَلى ا عَليهِ وَسَلَمَ الأعراب يَسـأَلونَهُ حَتـى اضطَروه إلى سَمرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَه،** فَوقَفَ رسولُ ا ِ صلى ا عليهِ وسلمَ فَقَـالَ: (**أعطـوني رِدَائِي فَلَو كانَ عَدَد هَذِهِ العِضَاهِ نَعَما لقَسَمتُه بَينَكُم ثم لا تَجِدونِي بَخِيلا وَلا كَذُوبا وَلا جَبَانًا**)[3].

فكان هذا الموقف في مرجِعِهِ صلى ا عليه وسلم من غزوة حنين، إذ **عَلِقَتْ رَسولَ ا ِ صَلى ا عَليهِ وَسَلَمَ الأعراب** أي هموا وتكاثروا عليه طمعا في الكسب مـن الغنـائم، **حَتـى اضطَروه إلى سَمرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَه،** أي: حتى ألجؤوه وأحوجوه إلى شجرة من شَـجرِ الباديـة ذات شوك، والضمير في خَطِفَتْ للشجرة، والعِضاه شجر ذو شوك، ويقرأ في الوصل والوقـف بالهاء. وقوله صلى ا عليه وسلم: **ثم لا تَجِدونِي بَخِـيلا**.. أي لا أتغيـر عـن خُلُقِـي بكثـرة الإعطاء[4].

قال ابن حجر: في الحديث ما كان في النبي صلى ا عليه وسلم من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب[5].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم(ص٦٦١/ح٣١٤٩)، ومسـلم فـي الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفُحش وغِلْظة(ص٤٨٠/ح١٠٥٧)، وأحمد في المسند(ج٢٠/ص٢١/ح١٢٥٤٨)، ثلاثتهم من طريق مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد ا بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي ا عنه.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٦٢٠)

(٣) رواه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم..(ص٦٦١/ح٣١٤٨)، وأحمد فـي المسند(ج٢٧/ص٣٢٠/ح١٦٧٥٦)، كلاهما من طريق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن صالح بن كيسـان عـن ابـن شهاب الزهري عن عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن محمد بن جبير عن جبير بن مطعم رضي ا عنه.

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص٤٤)، والسندي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السنْدي(ج٦/ص٥٧٤)

(٥) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص٣١٢)

الفرع الثاني: طباع صغار السن:

عن أَنَس بن مالك رضي ا عنه قال: **كَانَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ مِن أَحسَن الناس خُلُقًا**. فَأرسلَنِي يوما لِحاجةٍ فَقُلْتُ: **وَاللهِ لا أَذْهَب، وَفِي نَفْسِي أَن أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِي اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ، فَخَرَجتُ حَتى أَمر عَلَى صِبيَانٍ وَهم يَلعَبونَ فِي السوق**، فَإِذَا رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم **قَد قَبَضَ بِقَفَايَ مِن وَرَائِي**، قَالَ: **فَنَظَرتُ إِليهِ وَهوَ يَضحَك**، فَقَالَ: **(يَا أُنَيس أَذَهَبتَ حَيثُ أَمَرتُكَ)**؟ قَالَ: قُلْتُ نَعم أَنَا أَذْهب يا رسولَ اللهِ[1].

قال العلماء في قوله **وَاللهِ لا أَذْهَب**: ظاهره أن أنَسا قال له صلى ا عليه وسلم؛ فكيف خالف أمر النبي ظاهرا؟ وكيف حلف با وهو لا ينْوي فعل ما حلف؟ وكيف حمله النبي على الذهاب بعد الحلف؟ وتوجيهه أن هذا القول صدر عن أنس في صغره وهو غير مكلف[2].

وقوله **فَخَرَجتُ حَتى أَمر عَلَى صِبيَانٍ**.. أي فخرجت أذهب إلى أن مررت على صبيان فاشتغلت معهم في اللعب، وجاء بصيغة المضارع استحضارا لتلك الحالة. **وقَبَضَ بِقَفَايَ**: القفا مؤخّر العنق[3].

ترك النبي صلى ا عليه وسلم نقد أنس مرتين، مرةً حين أجابه بقوله **وَاللهِ لا أَذْهَب**، والأخرى حين أخذه اللعب مع الصبية عن قضاء الحاجة التي أرسله فيها؛ أما الترك الأول، فلا يكشف النص عن سبب قوله هذا، ولا يعرف من ذلك سوى ما ذكره العلماء من التوجيه السابق، وما ذكره السهارنفوري من أن إنكار أنس في قوله **وَاللهِ لا أَذْهَب** كان في الحقيقة مزاحا[4]. ويمكن حمله على ذلك لا سيما وقد كان صبيا، ويصدر عن الصبية مثل ذلك على سبيل لفت الأنظار إليهم، وكسبٍ مزيدٍ من الاهتمام، ومعاملتهم على أنهم كبار. والحاصل أن النبي صلى ا عليه وسلم لم يراجِعه في مقولته تلك، كما لم يفعل تجاه انشغاله باللعب، واكتفى بتذكيره بالقيام بما طُلِب منه قائلا: **(يَا أُنَيس أَذَهَبتَ حَيثُ أَمَرتُكَ)**؟، ومناداته **بأُنَيس** تصغير شفقة[5]، وسؤاله وإن كانت فيه صورة المراجعة، إلا أنه لا يحمِل انتقادا له على سبب تأخّره في الأداء وهو انشغاله باللعب، بل يوحي سؤاله وضحكه في وجه أنس بالمودة والرحمة تجاه ما صدر

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: كان رسول ا صلى ا عليه وسلم أحسن الناس خُلُقا(ص١١٦٣/ح٢٣١٠)، وأبو داود في الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي صلى ا عليه وسلم(ص٨٦٩/ح٤٧٧٤)، كلاهما من طريق عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبد ا بن أبي طلحة عن أنس رضي ا عنه.

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود(ج٨/ص١٧٩)، السهارنفوري، بذل المجهود في حلّ أبي داود(ج١٩/ص٣٠)

(٣) العظيم آبادي، عون المعبود(ج٨/ص١٧٩)

(٤) السهارنفوري، بذل المجهود(ج١٩/ص٣٠)

(٥) المرجع السابق

عنه، ومراعاته صلى ا عليه وسلم لحاجات الصبية وما طبعوا عليه من مختلف الطباع ومنهـا التعلق باللعب.

ويعد نقد المرء وهو في سن صغير من أكثر النقود حساسية وخطورة، ويرجـع ذلـك لسببين، **أولهما:** أن الإنسان في مثل هذا السن لا يملك نُضجا عقليا ولا خبرة كافيـة تؤهلانـه لتمييز الصواب من الخطأ والصحيح من السقيم، فهو جاهل جهلا يتعلق بسـنه، ولـذلك يكـون بحاجة دائمة ومستمرة للمراجعة والتوجيه والتعليم، وهو يتلقى عن الكبار ما يتلقاه من ذلك على سبيل التسليم والإذعان، ولذلك كان لا بد من الحرص والأمانـة فـي تنـاول شـؤونهم بالنقـد والمراجعة.

وثانيهما: أنّه في هذا السن يحتاج إلى بناءٍ نفسي صحي وسليمٍ بنفس الدرجة التي يحتاج فيها إلى البناء الجسدي، فلا ينبغي نقده ومراجعته بأسلوب ينَالَ من شخصه وبالتالي يصيب بنيانه النّفسي، وارتكاب الخطإ معه في هذا الجانب يسبب له صعوبات أهمها وأخطرها إضعاف الثقة بـالنفس وانخفاض التقدير نحو الذات. فمن الخطإ مثلا تناول أمر الصغير وما يصدر عنه بشكل دائم أو شبه دائم بأساليب الزجر والتقريع، أوالتوبيخ واللوم، فهي أساليب قد يحتاجها الصغير في وقـت من الأوقات، ولكن المبالغة فيها أو استخدامها في غير محلها، أو تكرارها والاستمرار عليهـا، كل ذلك يؤدي إلى تولد انطباع داخلي سيء لدى الصغير تجاه ذاته، فيراها وبشكل سلبي علـى أنها مذنبة أو غير مقبولة، وإنما ينمو الصغير نموا نفسيا سليما بأساليب رحيمة فيها من الرأفـة والشفقة والتعزيز والمدح، ما يساعده على تكوين انطباع إيجابي بناء نحو ذاته، وتزيد من قدرته على التلقي والتعلم.

ومن الأخطاء التي تُرتَكَب في نقد صغار السن تناول أمورٍ تصدر عنهم ليس شـأنها أن تُنْتَقَد، وأهمها الأمور المتعلقة بسنهم والخارجة عن إرادتهم، ومن ذلك ممارستهم للعب وحاجتهم إليه كما في الحديث الشريف، ومنه ما أُشِير إليه من جهلهم بالصـواب والخطـإ، فـلا ينبغـي معاتبتهم عليه، بل تقويمهم بأسلوب يحقق المصلحة دون إصابة نفوسهم، ومثاله في السنة ما فعله النبي صلى ا عليه وسلم مع عمر بن أبي سلمة وقد كان غلاما، وكانت يده تطيش في وعـاء الطعام، فَقَالَ له رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**يَا غُلَام سَم اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِما يَلِيكَ**)، قال ابن أبي سلمة: **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعمَتِي بَعد**[1]، فصوب رسول ا صلى ا عليه وسلم فعلـه،

(١) رواه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين(ص١٤٠/٥٣٧٦)، ومسلم في الأشـربة، بـاب: آداب الطعـام والشـراب وأحكامهـا(ص١٠٢٦/ح٢٠٢٢)، وابـن ماجـه فـي الأطعمـة، بـاب: الأكـل

ووجهه إلى أمرين آخرين وهما التسمية قبل البدء بالطعام، والأكل باليـد اليمنـى، دون تناولـه شخصه ولا حتى فعله بالتوبيخ والزجر، لأن طريقته الخاطئة في تناول الطعام كان سببها يعـود إلى جهله بآداب الطعام.

باليمين(ص١٧٥٧/ح٣٢٦٧)، وأحمد في المسند(ج٢٦/ص٢٥٢/ح١٦٣٣٢)، أربعتهم عن سفيان بن عيينة عن الوليـد بـن كثير عن وهب بن كيسان عن ابن أبي سلمة رضي ا عنه.

المطلب الثاني: تركه النقد مراعاةً لعدم مناسبته للتوقيت

يعرض المطلب لمواقف ترك النبي صلى الله عليه وسلم تناول أصحابها بالنقد، حكمة ومراعاة، إذ لم يكن التوقيت مناسبا لنقد أصحابها أو مراجعتهم في الأمر الصادر عنهم، وذلك لوقوعهم تحت تأثيرات وضغوط لا تمكنهم من تقبل النقد، وتعيق تحقيق المصلحة المرجوة لهم. ويقدم المطلب أربع حالات تجاوزها النبي صلى الله عليه وسلم وترك النقد فيها، وهي وقوع المنقود تحت تأثير الغضب، والغيرة، والحزن الشديد، وأخيرا التنازع بين طرفين في حالة لها ظروفها وأسبابها، **وهي حالات يقاس عليها غيرها**.

وفي أحاديث المطلب دلالة على كمال علمه صلى الله عليه وسلم بالنفس البشرية، والحالات التي تُعرض لها، وما يصاحب تلك الحالات من تغيرات داخلية وخارجية؛ ومتى يمكِن للنفس قبول النقد والمراجعة أو رفضهما.

وفيه كذلك علمه صلى الله عليه وسلم بأساليب معالجة النفس البشرية، وكيفية الحد مما يعتريها في بعض الحالات فيخرج بها عن دائرة الاعتدال والصواب.

يقول الكاتب الغربي ويسنجر[(١)]: (ليس هناك قواعد تحدد مكانًا أو زمانًا معينًا للنقد، بل يجب تنمية الوعي والمهارة في استخدام العوامل البيئية والنفسية وظروف الموقف لزيادة معدل التقبل لما تقدمه من نقد...

وإن أهم حقيقة في الحصول على قوة التفكير الإيجابي هي توقيت النقد، والذي يكون له دور حيوي في الحصول على النتائج التي تريدها؛ ولهذا فما أحذرك منه حينما تنتقد شخصا ما أن تكون على وعي بالزمان والمكان، وحضور الناس أو عدم حضورهم، والحالة النفسية للشخص الذي تنتقده..

ولكي تصل إلى قوة النقد البناء عليك أن تتذكر أن كلّ شيء له زمان ومكان يناسبه، والنقد ليس استثناء من هذه القاعدة، فالنقد الذي يمكن أن يقَدم ويتم تقبله بشكل إيجابي تحت ظروف معينة، يمكن أن يصبح عديم الفاعلية، ليس بسبب مضمونه أو أسلوب عرضه، ولكن لتوقيته والحالة الذهنية لمن تنتقده).

---

(١) ويسينجر/ هندري، Hendrie Weisinger(دكتوراه في الفلسفة)، (٢٠٠١م)، **قوة النقد البناء، The Power of Positive Criticism**، ط١، مترجم إلى العربية، مكتبة جرير، السعودية. (ص٤٧،٤٨،٥٠)

الفرع الأول: تركه حال غضب المنقود:

عن سليمان بن صردٍ رضي الله عنه قَالَ: **اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النبي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ أَحَدهمَا فَاشْتَد غَضَبه حَتى انْتَفَخَ وَجهه وَتَغَيَّرَ،** فَقَالَ النبي صلى الله عليهِ وسلم: (**إِنِّي لأَعلَم كَلِمَةً لَو قَالهَا لَذَهَبَ عَنْه الذِي يَجِد**)، فَانْطَلَقَ إِلَيهِ الرجلُ فَأَخْبَره بِقَول النبي صلى الله عليهِ وسلم، وقَالَ: **تَعَوذْ بِاللهِ مِن الشيطان.** فَقَالَ: **أَتُرَى بِي بَأْس؟ أَمَجنُون أَنَا؟ اذْهَب**[(١)]

ترك النبي صلى الله عليه وسلم نقد الرجل حال تلبسه بالغضب وانغماسه فيه، لعلمه صلى الله عليه وسلم بوقوعه تحت ضغط الشعور بالغضب الذي لن يسمح له بقبول النقد أو معالجة ما هو عليه. إلا أنّه صلى الله عليه وسلم وجه الحاضرين إلى كيفية معالجة النفس عند وقوعها في مثل ذلك دون تناول شخص الرجل بالنقد، إذ أن الأشخاص لم يكونوا هدفًا له صلى الله عليه وسلم وإنما كان هدفه معالجة سلوكياتهم وتقويمها وتوجيهها التوجيه الشرعي والإنساني الصحيحين.

وحمل أحد الحاضرين توجيه النبي صلى الله عليه وسلم منطلقًا به إلى الرجل، الذي كان لايزال يعيش حالة الغضب، فلم يقبله معتبرا إياه صالحا لمن به بأس من مس أو جنون، وأنه ليس كذلك، ثم انتهره بقوله: **اذْهَب**، والمعنى امض في شغلك. قال ابن حجر: وأخْلِق بهذا المأمور أن يكون كافرا أو منافِقًا، أو كان غلب عليه الغضب حتى أخرجه عن الاعتدال بحيث زجر الناصح الذي دلّه على ما يزيل عنه ما كان به من وهج الغضب بهذا الجواب السيء، وقيل أنّه كان من جفاة الأعراب وظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون[(٢)]. أما كونه كافرا فلا يصح لمراجعة الرجل له بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما فيه دلالة على أنّه كان مؤمنًا، فلو كان كافرا وهو على تلك الحال الشديدة من الغضب لكان الأولى رفضه لأساس التوجيه النبوي لا رفضه لمحتواه؛ وكونه منافقًا لم يرد ما يدلّ عليه، والراجح كونه مؤمنًا غاب عليه الغضب حتى أخرجه عن الاعتدال، أو كونه أعرابيا جافيا قاله جاهلا.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللّعن(ص١٢٤٦/ح٦٠٤٨)، ومسلم في البر والصلة، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب(ص١٢٩٧/ح٢٦١٠)، وأبو داود في الأدب، باب: ما يقال عند الغضب (ص٨٩٨/ح٤٧٨١)، وأحمد في المسند(ج٤٥/ص١٨٣/ح٢٧٢٠٥) أربعتهم من طريق الأعمش سليمان بن مهران عن عدي بن ثابت عن سليمان بن صرد رضي الله عنه به.

وسليمان بن صرد بن الجون له صحبة، وكان اسمه في الجاهلية يسار فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سليمان، سكن الكوفة وشهد مع علي رضي الله عنه صفّين. (انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٢٩٤/ترجمة رقم ٩٥٣).

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٥٧٣)

يقول ويسنجر: لا تشرع في النقد في الوقت الذي يكون فيه من تنتقده غاضبا. فالغضب كرد فعل عاطفي يتسبب في العديد من التغيرات النفسية في العقل، والتي يكون لها تأثير في جعل المرء أكثر تشددا في تفكيره، حيث يجد نفسه مقيدا برؤيته الخاصة لا يخرج عنها. ولذلك عندما يكون من تنتقده في حالة غضب فعليك أن تعرف أنه سيكون متشددا في تفكيره، وقد يرد عليك قائلا "إنني لا أريد أن أسمع شيئا من هذا"، وما يريد قوله هو "**إنني لا أستطيع الإنصات بدقة لما تقوله**".

ولذلك عندما تكون أنت أو من تنتقده في حالة غضب يكون من الأفضل أن تقلع عن النقد حتى تعود إلى هدوئك ويعود هو [(١)]

<u>الفرع الثاني: تركه حال شعور المنقود بالغيرة الشديدة:</u>

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **كَانَ النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ عِنْدَ بَعض نِسَائِهِ، فَأرسَلَتْ إِحدَى أُمهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحفَةٍ فِيهَا طَعَام فَضَرَبَتْ الِتي النبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ فِي بَيتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصحفَةُ فَانْفَلَقَتْ،** فَجمع النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فِلَقَ الصحفَةِ، ثُم جعلَ يجمع فِيها الطعام الذِي كان فِي الصحفَةِ ويقُولُ: (**غَارَتْ أُمكُم**) ثُم حبس الْخَادِم حتى أُتِي بِصحفَةٍ مِن عِنْدِ الِتي هو فِي بيتِها، فَدفَع الصحفَةَ الصحِيحةَ إِلَى الِتي كُسِرتْ صحفَتُها وأَمسك الْمكْسورةَ فِي بيتِ الِتي كَسرت[(٢)]

الصَحفَة: إناء مبسوط ويكون من غير خشب. **وانْفَلَقَتْ**: انشقّت ثم انفصلت. **وغَارَتْ أُمكُم**: هي عائشة رضي الله عنها، وإنما أُبهمت تفخيما لشأنها، ومما لا يخفى أنها هي، لأن الهدايا كانت تُهدى إلى النبي صلى الله علَيهِ وسلم في بيتها[(٣)].

قال ابن حجر: الخطاب لمن حضر، وإنما قاله اعتذارا منه صلى الله عليه وسلم لئلا يحمل صنيعها على ما يذم، بل يجري على عادة الضرائر في الغيرة فإنها مركبة في النفس

---

(١) ويسنجر، قوة النقد البنّاء(ص٤٩)، بتصرف.

(٢) رواه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الغيرة(ص١١١٠/ح٥٢٢٥)، وأبو داود في البيوع، باب: فيمن أفسد شيئاً يغرم مثله(ص٦٧٠/ح٣٥٦٧)، والترمذي في الأحكام، باب: ما جاء فيمن يكسر له الشيء، ما يحكم له من مال الكاسر(ص٤١٤/ح١٣٦٤)، والنسائي في عشرة النساء، باب: الغيرة(ص٥٧٧/ح٣٩٥٧)، وابن ماجه في الأحكام، باب: الحكم فيمن كسر شيئاً(ص٥٤٠/ح٢٣٣٤)، وأحمد في المسند(ج١٩/ص٨٤/ح١٢٠٢٧)، جميعهم من طريق حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص١٥٧،١٥٨)

بحيث لا يقدر على دفعها. وقال: في الحديث إشارة منه صلى ا عليه وسلم إلى عدم مؤاخـذة الغَيراء بما يصدر منها، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الـذي أثارتـه الغيرة[1].

ولا شك أن شعور السيدة عائشة رضي ا عنها بالغيرة هو أمر طبيعـي، ولكـن لمـا خرجت ردة الفعل منها عن حدود الشعور الداخلي إلى موقف عملي أدى إلى هـلاك ممتلكـات الغير وترتيب العِوض عليها، يصبح الموقف مختلًا ويستحقّ المراجعة والنظـر؛ إلا أن النبـي صلى ا عليه وسلم تجاوز عنها، ولم يتناول موقفها بالنقد لحظة صدوره عنها، مراعـاة منـه لحالتها الذهنية التي كانت محجوبة ومشوشة، جراء الضغط الواقع عليها نتيجة شعورها بالغيرة، فلم يكن التوقيت مناسبا لنقدها، بل إن من شأن النقد في مثل هذه الحال زيادة الأمـر صـعوبة وتعقيدا. واكتفى صلى ا عليه وسلم بالاعتذار للحاضرين عما صدر عنها بعزوه إلى الغيرة.

<u>الفرع الثالث : تركه حال شعور المنقود بالحزن الشديد:</u>

عن أَنَس بن مالِكٍ رضي ا عنه أن النبِي صلى الله علَيهِ وسلم مر بِامرأة وهِي تَبكِـي عِنْد قَبرٍ، فَقَالَ: (**اتقِي اللهَ وَاصبِري**)، فَقَالَتْ: **إلَيكَ عَني فَإِنكَ خِلْو مِن مصِيبَتِي**. قَالَ **فَجَاوَزَهَـا وَمَضَى**، فَمر بِها رجلٌ فَقَالَ: ما قَالَ لَكِ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم؟ قَالَتْ: ما عرفْتُه، قَالَ: إِنه لَرسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم. قَالَ: فَجاءتْ إِلَى بابِهِ فَلَم تَجِد علَيهِ بوابا، فَقَالَتْ: **يَا رَسولَ اللهِ وَاللهِ مَا عَرَفْتُكَ**، فَقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: (**إن الصبرَ عِنْدَ أَول صَدمَةٍ**)[2]

ذكر ابن حجر في قول النبي صلى ا عليه وسلم للمرأة: **اتقِي اللهَ وَاصبِري**: أن ذلـك كان على سبيل مخاطبتها بالموعظة، وأمرها بالمعروف. وقوله **اتقي ا** ، توطئة لقوله **اصبري**، والمعنى خافي غضب ا إن لم تصبري، ولا تجزعي ليحصل لك الثواب، فأراد صلى ا عليه وسلم بِوعظِها ونُصحِها ألا يجتمع عليها مصيبة الهلاك وفقد الأجر[3]، فلم تتقبل الوعظ والنّصح، وبالغت في التركيز على شعورها حتى اتهمت واعظها وهو النبي صلى ا عليه وسلم أنه لـم يقدر ما تعانيه من الألم على فقيدها، بقولها: **إلَيكَ عَني فَإِنكَ خِلْو مِن مصِيبَتِي**: أي تنح وابتعـد،

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص١٥٩)، (ج٩/ص٤٠٦)

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: ما ذُكِر أن النبي صلى ا عليه وسلم لم يكن له بـواب(ص١٤٢٨/ح٧١٥٤)، ومسلم في الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى(ص٤٢١/ح٩٢٦)، وأبو داود فـي الجنـائز، باب: الصبر عند الصدمة(ص٥٩٩/ح٣١٢٤)، وأحمد في المسند(ج١٩/ص٤٤٣/ح١٢٤٥٨)، أربعتهم مـن طريـق شعبة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي ا عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص١٦١، ١٩٢، ١٩٣)

وكفّ نفسك ودعني، فإنك خالٍ من همي[1]. وهنا تجاوز النبي صلى ا عليه وسلم عنهـا فلـم يكْمِل ما بدأ معها من الحديث بشأن الصبر والاحتساب، كما تجاوز عما تضمنه ردها من الإساءة والاتهام، وتركها على ما هي عليه حكمة منه صلى ا عليه وسلم ومراعاة لما كانـت تعانيـه جراء وقوعها تحت سيطرة الشعور بالحزن والألم على مصابها، والـذي كـان يحجبهـا عـن الاستجابة للوعظ.

وقول النبي صلى ا عليه وسلم: (**إن الصبرَ عِنْدَ أول صَدمَةٍ**)، أصل الصـدم ضـرب الشيء الصلب بمثله، فاستُعِير للمصيبة الواردة على القلب؛ والمعنى إذا وقع الثبـات عنـد أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجـر. وهو الصبر الذي يحمد عليه صاحبه[2].

وفي جوابه صلى ا عليه وسلم هنا على اعتذار المرأة بقولها **يَا رَسولَ اللهِ وَاللهِ مَـا عَرَفْتُكَ**، قال العلماء: صدر هذا الجواب منه صلى ا عليه وسلم على أسلوب الحكيم، كأنه قـال لها "دعي الاعتذار فإني لا أغضب لغير ا تعالى وانظري لنفسك". فكان الوقت مناسبا لإكمـال ما بدأ وعظها به بشأن الصبر والاحتساب، إذ كانت مهيأة للاستماع، متغلبة على شعورها بالألم، وقد تجاهل النبي صلى ا عليه وسلم ما صدر عنها من سوء الأدب تجاهه.

ومن فوائد الحديث: ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفـق بالجاهـل، ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة[3].

الفرع الرابع: تركه نقد الأطراف المتنازعة –لأسباب-:

عن عائِشَةَ رضي ا عنها أن **النبي صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ بَعَثَ أَبَا جَهمٍ بـنَ حذيفَـةَ مصَدقًا، فَلاجه رَجلٌ فِي صَدَقَتِهِ فَضَرَبَه أَبو جَهمٍ فَشَجه**، فَأَتَوا النبِي صلى الله عليهِ وسلم فَقَالُوا: **الْقَوَدَ يَا رَسولَ اللهِ**، فَقَالَ النبي صلى الله عليهِ وسلم: **(لَكُم كَذَا وَكَذَا) فَلَم يَرضَوا**، فَقَالَ: **(لَكُـم كَذَا وَكَذَا) فَلَم يَرضَوا**، فَقَالَ: **(لَكُم كَذَا وَكَذَا) فَرَضوا**. فَقَالَ النبي صلى الله عليهِ وسـلم: **(إنـي خَاطِب الْعَشِيةَ عَلَى الناس وَمخْبِرهم بِرِضَاكُم)**، فَقَالُوا: **نَعَم**، فَخَطَب رسولُ اللهِ فَقَالَ صلى اللـه عليهِ وسلم: **(إن هَؤُلَاءِ اللَيثِيينَ أَتَونِي يرِيدونَ الْقَوَدَ فَعَرَضـتُ عَلَـيهم كَـذَا وَكَـذَا فَرَضـوا،**

(١) ابن حجر، الفتح(ج١٣/ص١٦٥)، النووي، المنهاج(ص٧٢٨)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص١٩٢)

(٣) المرجع السابق(ج٣/ص١٩٣)

أَرَضِيتُم)؟ قَالُوا: لَا، فَهَم الْمَهَاجِرونَ بِهِم. فَأَمَرَهم رَسولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ أَن يَكُفـوا عَنْهم فَكَفوا، ثُم دَعَاهم فَزَادَهم، فَقَالَ:(أَرَضِيتُم)؟ فَقَالُوا: نَعَم. قَالَ:(إِني خَاطِـب عَلَـى النـاس وَمخْبِرهم بِرِضَاكُم)، قَالُوا: نَعَم فَخَطَبَ النبي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ، فَقَالَ: (أَرَضِـيتُم)؟ قَـالُوا: نَعَم[1]

قوله **فلاجه** من اللجاج: نازعه وخاصمه، **وشَجه**: جرح رأسه. **والقَوَد**: القصاص. وقوله **لَكُم كَذَا وَكَذَا**.. ذكر مقدارا معينًا من المال، فلم يرضوا فزادهم على ما ذكر لهم، وكرر علـيهم الطلب فلم يرضوا فزادهم مرة ثالثة فرضوا، والمعنى اتركوا القصاص واعفوا عنه وخذوا فـي عِوضِه كذا وكذا من المال. وقوله **إني خَاطِب عَلى الناس** أي أخطب الخطبة في المساء وأذكـر للناس هذا، وأخبرهم برضاكم على هذا القدر من المال، **وهَم المهاجرون بِهم**: قصدوا زجـرهم والإيقاع بهم لأنهم كذبوا رسول الله ونكصوا عن عهدهم وهو الرضا[2].

ترك النبي صلى الله عليه وسلم نقد الليثيين رغم ما بدا منهم من التعنت فـي المطالبـة بحقهم حينما رفضوا عرضين من عروضِه قبل أن يقبلوا بالثالث، ثم نقضهم لما قبلـوه واتفقـوا عليه مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك على الملأ، بل ونهى صلى الله عليه وسـلم الصـحابة الحاضرين عن تناولهم بالزجر والتوبيخ على ما صدر عنهم؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم حكما بين طرفين متنازعين، وتناوله لأمر أحدهما بالنقد -فيما يخص محلّ الخصومة- قد يفهـم منـه انحيازه لجهة دون أخرى، خاصة وأن الطرف الآخر كان من موظفي الدولة، مما يسـاهم فـي تعزيز ذلك الفهم، وبالتالي يبدو النقد وكأنه خارج عن الموضوعية والحِياد. كما يسـاهم تنـاول جهة بالنقد في الخصومات إلى احتدام الصراع بين المتخاصِمين لا فَضهِ، وذلك حينما يؤيد النقد طرفًا ويعارض الآخر. فلم يكن الظرف ولا التوقيت مناسِبين لمراجعة الليثيين فـي سـلوكهم، بالإضافة إلى كونهم أصحاب الحق، ولا يتم حل الخُصومة بغير رضـاهم وإن تجـاوزوا فـي

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: الديات، باب: العامل يصاب على يديه خطأ(ص٨٤٩/ح٤٥٣٤) والنسائي في القسامة، باب: السلطان يصاب على يده(ص٦٨٧/ح٤٧٨٠)، وابن ماجه في الديات، باب: الجارح يفتدي بالقود(ص٦١٢/ح٢٦٣٨)، وأحمد في المسند(ج٤٣/ص١١٠/ح٢٥٩٥٨)، جميعهم من طريق عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد عن ابـن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها.

والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات رجاله الشيخين، واختُلِفَ فيه علي الزهري في وصله وإرساله، وصحح وصله البيهقي في **معرفة السنن والآثار**، ط١، (تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجـي)، دار الوفـاء، المنصـورة، (١٩٩١م)، (ج١٢/ص٥٨،٥٩) قال: (رواه معمر موصولاً ورواه يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال بلغنـا.. فـذكره منقطعـاً، ومعمر بن راشد حافظ قد أقام إسناده فقامت به الحجة).

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود(ج٧/ص٥٩٥)، والسهارنفوري، بذل المجهود في حل أبي داود(ج١٨/ص٥٥).

مطالبهم. فكان تركه صلى ا عليه وسلم النقد لمواقفهم في الخصومة وتركيزه على فض محـلّ التنازع، حكمة منه ومراعاة للظرف، وتحقيقًا للصالح العام.

المطلب الثالث: تركه نقد ما يتعلق بالحقوق:

ترك نقد المطالب بحقه وإن أغلظ بغير قدح:

عن أَبِي هريرةَ رضِي الله عنْه أَن رجلًا أَتَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم يتَقَاضاه **فَأَغْلَظ، فَهم بِهِ أَصحَابه**، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**دَعوه فَإِن لِصاحِبِ الْحَق مقَالًا**) ثُم قَالَ: (**أَعطُوه سِنا مِثْلَ سِنهِ**)، قَالُوا: **يا رسولَ اللهِ إِلا أَمثَلَ مِن سِنهِ**، فَقَالَ: (**أَعطُوه فَإِن مِن خَيرِكُم أَحسنَكُم قَضاء**)[1]

وورد من حديث أَبِي سعِيدٍ الْخُدرِي رضي ا عنه أن أعرابيا جاء إِلَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم يتَقَاضاه دينًا كان علَيهِ، فَاشْتَد علَيهِ حتى قَالَ له: **أُحرج علَيك إِلا قَضيتَنِي، فَانْتَهره أَصحَابه وقَالُوا ويحك: تَدرِي من تُكلم!** قَالَ: **إِني أَطْلُب حَقي**، فَقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: (**هلا مع صاحِبِ الْحَق كُنْتُم**)!. ثُم أَرسلَ إِلَى خَولَةَ بِنْتِ قَيسٍ فَقَالَ لَها: (**إِن كَان عِنْدكِ تَمر فَأَقْرِضِينَا حتى يأْتِينَا تَمرنَا فَنَقْضِيكِ**)، فَقَالَتْ: **نَعم بِأَبِي أَنْتَ يا رسولَ اللهِ. قَالَ: فَأَقْرضَتْه فَقَضى الْأَعرابِي وأَطْعمه.** فَقَالَ: **أَوفَيتَ أَوفَى الله لَك**. فَقَالَ: (**أُولَئِك خِيار الناس، إِنه لَا قُدستْ أُمةٌ لَا يأْخُذُ الضعِيفُ فِيها حقه غَير متَعتَعٍ**)[2]

قال ابن حجر في قوله: **فَأَغْلَظ** يحتمل أن يكون الإغلاظ بالتشديد في المطالبة من غير قدرٍ زائد، وهو ما ذكره النووي قال: هذا الإغلاظ المذكور محمول على تشدد في المطالبة ونحو ذلك من غير كلام فيه قدح أو غيره[3]. وقوله: **فَهم بِهِ أَصحَابه**، أي أراد أصحاب النبي أن

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الوكالة، باب: في قضاء الديون(ص٤٧٢/ح٢٣٠٦)، ومسلم في المساقاة باب: من استسلف شيئاً فقضى خيراً..(ص٧٩٥/ح١٦٠١)، والترمذي في كتاب البيوع، باب: ما جاء في استقراض البعير..(ص٣٠٣/ح١٣٢١)، وأحمد في المسند(ج١٥/ص٢٢٨/ح٩٣٩٠)، أربعتهم من طريق شعبة عن سلمة بن كُهيلٍ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي ا عنه.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب: الصدقات، باب: لصاحب الحق سلطان(ص٥٦١/ح٢٤٢٦)، ورواه- مختصراً- أبو يعلى الموصلي/ أحمد بن علي(ت٣٠٧هـ)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، ط١، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٨م).(ج١/ص٤٦٥/ح١٠٨٦)، كلاهما من طريق محمد بن أبي عبيدة بن معن عن أبيه عبد الملك بن معن بن عبد الرحمن عن الأعمش عن أبي صالح ذكوان عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه.

والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، قال الهيثمي: **رجاله رجال الصحيح.** انظر:(الهيثمي/ علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط١، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠١م)، (ج٤/ص٢٥٤)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٧٢)، والنووي، المنهاج(ص١٢٢١)

يؤذوه بالقول والفعل، لكن لم يفعلوا أدبا مع النبي صلى ا عليه وسلم. وقولـه: (**دَعُـوه فَـإِن لِصَاحِبِ الْحَق مَقَالًا**) أي صولة الطلب وقوة الحجة، مع مراعاة الأدب المشـروع. وفيـه مـن الفوائد أن من عليه دين لا ينبغي له مجافاة صاحب الحق[1]

رغم توجيه العلماء لما صدر عن صاحب الحق من تشدد وإغلاظ في مطالبتـه للنبـي صلى ا عليه وسلم، بجواز ذلك ما لم يتضمن قدحا أو غيره، إلا أنه ومما لا يخفى أن أسـلوب الرجل المذكور في النص لم يكن الأمثل ولا الأكثر أدبا في مطالبته للنبي صلى ا عليه وسـلم بقضاء الدين الذي كان عليه وهو الصادق الأمين. ورغم ذلك كان هديه صلى ا عليـه وسـلم عظيما في الموقف فتجاوز أولا عن إغلاظ صاحب الحق، وتَرك نقده على أسلوبه المتشدد فـي المطالبة، ونهى الصحابة ثانيا عن فعل ذلك حينما راجعوه في أسلوبه وهموا لتوبيخه وزجـره، وأمرهم بحسن قضائه، وأثنى أخيرا -فيما تذكره الرواية الثانية- على أمثالـه ممـن يطـالبون بحقوقهم، وذم الأمم التي لا يستطيع فيها صاحب الحق المطالبة بحقه من غيـر أن يصـيبه أذى يقلقه ويزعجه، وهو المراد بقوله **غَيرَ متَعتَعٍ**[2].

ويضرب النبي صلى ا عليه وسلم في موقفه هذا مثلا نادرا في التجرد مـن مطالـب الذات وحظوظها، وهو النبي الموحى إليه من السماء، وصاحب السلطة الأولى في الدولة، وذلك في سبيل تثبيت الحقّ وحفظه على أصحابه.

(١) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٧٣)

(٢) السندي، سنن ابن ماجه بشرح السندي(ج٣/ص١٥١)

المطلب الرابع: تركه نقد الطعام المباح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **ما عابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه**[١].

وعن خَالد بن الوليد رضِي الله عنه أنه دخَلَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميمونة وهي خالتُه.. فَوجد عِنْدها ضبا محنُوذًا.. فَقَدمتْ الضب لِرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قلما يقَدم يده لِطَعام حتى يحدثَ بِهِ ويسمى لَه، فَأهوى يده إِلى الضب لِيأكُل، فأُخْبِر أنه ضب **فَرَفَعَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَدَه عَنْه**، فقال خالد بن الوليد: أحرام الضب يا رسولَ الله؟ قال: (**لا، وَلكِن لم يَكُن بِأَرض قَومِي فَأجِدنِي أَعَافُه**)، قال خالد: فاجتَررتُه فَأكَلْتُه ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينْظُر إِلَي[٢].

قوله **ما عابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما**: أي مباحا، أما الحرام فكان يعيبه وينهى عنه[٣]. قال النووي: هذا-أي تَرك عيبِ الطعام- من آداب الطعام المتأكدة؛ وعيب الطعام كقوله مالح أو غليظ أو غير ناضج ونحو ذلك. أما حديث ترك الضب فليس هو من عيب الطعام، إنما هو إخبار بأن هذا الطعام الخاص لا أشتهيه[٤]. وذكر ابن حجر قول البعض أن العيب إن كان من جهة الخِلْقَة كُره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكْره، لأن صنعة الله لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب؛ ثم قال: والذي يظهر التعميم، فإن فيه كسر قلب الصانع. وقوله **(وإلا**

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي(ص٧٤٥/ح٣٥٦٣)، ومسلم في الأشربة، باب: لا يعيب الطعام(ص/ح٢٠٦٤)، وأبو داود في الأطعمة، باب: في كراهية ذم الطعام(ص٧٠٥/ح٣٧٦٣)، والترمذي في البر والصلة، باب: ما جاء في ترك العيب للنعمة(ص٥٩٦/ح٢٠٣٨)، وابن ماجه في الأطعمة، باب: النهي أن يعاب الطعام(ص٧٤٩/ح٣٢٥٩)، وأحمد في المسند(ج١٦/ ص١٧٤/ح١٠٢٤٢)، جميعهم من طريق الأعمش سليمان بن مهران عن أبي حازم سلمان مولى عزة عن أبي هريرة رضي الله عنه. زاد مسلم: (**إن كَرِهَه تَرَكَه**)

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: ما كان النبي لا يأكل حتى يسمى له فيعلم ما هو(ص١١٤٣/ح٥٣٩١)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: إباحة الضب(ص٩٨٩/ح١٩٤٥)، وأبو داود في الأطعمة، باب: في أكل الضب(ص٧١٠/ح٣٧٩٤)، والنسائي في الصيد والذبائح، باب: الضب(ص٦٢٧/ح٤٣١٨،٤٣١٩)، وابن ماجه في الصيد، باب: الضب(ص٧٤٥/ح٣٢٤١)، وأحمد في المسند(ج٢٨/ ص١٤/ح١٦٨١٥)، والدارمي في كتاب الصيد، باب في أكل الضب(ص٦٢٦/ح٢٠٢٣)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن ابن عباس عن خالد بن الوليد رضي الله عنهم. جاء في بعض الروايات قول خالد:(**فلم ينهني**) أي النبي عن أكل الضب.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٩/ص٦٨٤)

(٤) النووي، المنهاج(ص١٥٦٢)

تركه) ولم يعبه، وهو من حسن الأدب، لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل مأذون في أكله من قِبل الشرع ليس فيه عيب[١].

وضبا مَحنُوذًا أي مشويا. **ولم يَكُن بِأَرضِ قَومِي**: أراد قريشًا. **فَأَجِدنِي أَعَافُه**: أي أتكره أكله، بسبب أنّه ما اعتاده. ويؤخذ من الحديث أن من خشي أن يتقذر شيئا لا ينبغي أن يدلس له لئلا يتضرر به[٢].

وأما النهي الوارد في بعض النصوص عن أكل الثوم وغيره من الأطعمة عند إتيان المساجد، فإن النهي فيها بسبب ما ينبعث منها من رائحة يتأذى بها أهل المسجد. فليس هو على سبيل عيبها، وإنّما على سبيل منع أذاها عن المصلين. فعن عبد ا بن عمر رضي ا عنه أن النبي صلى ا عليه وسلم قال في غزوة خيبر: **(مَن أَكَلَ مِن هَذِهِ الشجَرَةِ - يعني الثوم- فَلا يَقْرَبَن مَسجِدَنَا)**[٣]، وفي رواية: **(حَتى يَذْهَبَ رِيحهَا)**[٤]

(١) ابن حجر، الفتح(ج٩/ص٦٨٤)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٩/ص٨٢٩،٨٢٨،٨٣٣)

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب: الأذان، باب: ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث(ص١٨١/ح٨٥٣)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهي من أكل ثوما أو كراثا..(ص٢٥٧/ح٥٦١)، والدارمي في الأطعمة، باب: في أكل الثوم(ص٦٣٨/ح٢٠٥٧)، ثلاثتهم من طريق عبيد ا بن عمر بن حفص عن نافع مولى عمر عن عبد ا بن عمر رضي ا عنه.

(٤) رواه مسلم بالتخريج السابق.

الفصل الثالث

أسلوب النبي صلى ا عليه وسلم في نقد الذات

المبحث الأول: نقد الذات الفردية

المطلب الأول: أسلوبه صلى ا عليه وسلم في نقد ذاته

المطلب الثاني: نماذج من نقد الصحابة ذواتهم

المبحث الثاني: نقد الذات الجمعية

المطلب الأول: نقد الذات الجمعية إيجابيا بما يحقق المصلحة

المطلب الثاني: نقد الذات الجمعية إيجابيا وإن لم يحقق المصلحة

المطلب الثالث: نقد الذات الجمعية سلبيا بما ينافي المصلحة

المبحث الأول: نقد الذات الفردية

المطلب الأول: أساليبه صلى ا عليه وسلم في نقد ذاته:

قبل الشروع في الحديث حول هذا المطلب لا بد من الإشارة إلى أن الأحاديث التي تتناول النبي صلى ا عليه وسلم فيها أمرا صدر عنه بالنقد تكاد تكون نادرة فيما تيسر جمعه. ولا غرابة في ذلك، فهو النبي المؤيد المعصوم، إلا أن عصمته وتأييده لا يمنعان من وقوعه صلى ا عليه وسلم في بعض ما يمكن تناوله بالتحليل والمناقشة أي بالنقد، كالذي أُشير إليه سابقا في الحديث حول مشروعية النقد، وما ورد من نقد إلهي لبعض ما صدر عنه صلى ا عليه وسلم مما كان له فيه رأي واجتهاد. كما لم يمنعا –عصمته وتأييده- من ممارسته النقد على ذاته. وسنعرض في ذلك لحديثين جمعا من الفوائد المتعلقة بموضوع نقد الذات ما يغني في هذا الباب، ففيهما من الهدي النبوي حول ما ينبغي مراعاته ودعمه والتركيز عليه أثناء ممارسة النقد على الذات ما فيهما.

الفرع الأول: حادثة تأبير النخل:

عن طَلْحةَ بن عبيد ا رضي ا عنه قَالَ: مررتُ مع رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم بِقَومٍ على رءوسِ النخْل، فَقَالَ: (ما يصنَع هؤُلَاءِ)؟ فَقَالُوا: يلَقحونَه، يجعلُون الذكر في الْأُنْثَى فَيلْقَح. فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: (ما أَظُن يغْنِي ذَلِك شَيئًا) قَالَ: فَأُخْبِروا بِذَلِك فَتَركُوه. فَأُخْبِر رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم بِذَلِك فَقَالَ: (إن كَان ينْفَعهم ذَلِك فَلْيصنَعوه، **فَإِني إِنمَا ظَنَنْتُ ظَنا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظن، وَلَكِن إِذَا حَدثْتُكُم عَن اللهِ شَيئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِني لن أَكْذِبَ عَلَى اللهِ عَز وَجَل**)[1]

وفي رواية قال: (ما أَظُن ذَلِك يغْنِي شَيئًا، فَبلَغَهم فَتَركُوه ونَزلُوا عنْها، فَلَم تَحمِلْ تِلْك السنَةَ شَيئًا. فَبلَغَ ذَلِك النبِي صلى الله عليهِ وسلم فَقَالَ: **(إِنمَا هوَ ظَن ظَنَنْتُه، إِن كَانَ يغْنِي شَيئًا فَاصنَعوا فَإِنمَا أَنَا بَشَر مِثْلُكُم، وَالظن يخْطِئُ وَيصِيب..**)[2]

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي(ص١١٨٢/ح٢٣٦١)، وابن ماجه في كتاب الرهون، باب: تلقيح النخل(ص٥٧٢/ح٢٤٧٠)، وأحمد في المسند(ج٣/ص١٥،١٨/ح١٣٩٥، ١٣٩٩)، جميعهم من طريق سِماك بن حرب عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة بن عبيد ا رضي ا عنه.

(٢) مسند أحمد، انظر التخريج السابق

ومن حديث رافع بن خديج رضي ا عنه قال صلى ا عليه وسلم: (لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت..)[١]، أي فأسقطت ثمارها[٢].

وعن عائشة وأنس بن مالك رضي ا عنهم عن النبي صلى ا عليه وسلم قال: (لو لم تفعلوا لصلح)، قال: فخرج شيصا[٣]، وهو البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفًا، وقيل أردأ البسر، وقيل تمر رديء وهو متقارب[٤].

انتقد النبي صلى ا عليه وسلم في هذا النص الشريف طريقة أولئك الرهط من الأنصار الذين مر بهم في معالجة ثمر النخيل بتلقيحه، وأنكره عليهم، فما كان منهم رضوان ا عليهم إلا أن امتثلوا لقوله صلى ا عليه وسلم، فتركوا عملهم ظنا منهم أن ما قاله من قبيل الوحي والتشريع، وليس هو كذلك وإنما كان محض رأي شخصي في أمر دنيوي غير متعلق بأمور الدين والتشريع، كما أشار إلى ذلك عليه الصلاة والسلام وأكّد عليه بقوله:(**فإني إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل**)، وقوله من رواية أنس وعائشة رضي ا عنهما:(أنتم أعلم بأمر دنياكم)، وقال:(**إن كان شيئا من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم فإلي**)، ومن حديث رافع رضي ا عنه قوله:(**إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر**)

قال القاضي عِياض: (قول النبي صلى ا عليه وسلم ها هنا للأنصار ليس على وجه الخبر الذي يدخله الصدق والكذب.. وإنما كان على طريق الرأي منه، ولذلك قال:(إنما ظننتُ ظنا، وأنتم أعلم بأمر دنياكم)، وحكم الأنبياء وآراؤهم في حكم أمور الدنيا حكم غيرهم من اعتقاد بعض الأمور على خلاف ما هي عليه، ولا وصم عليهم في ذلك، إذ هممهم متعلقة بالآخرة والملإ الأعلى وأوامر الشريعة ونواهيها..)[5]

---

(١) رواه مسلم في الكتاب والباب المذكورين له سابقاً، عن النضر بن محمد عن عكرمة ابن عمار عن أبي النجاشي عطاء بن صهيب عن رافع بن خديج رضي ا عنه.

(٢) النووي، المنهاج(ص١٧٢٨)

(٣) رواه مسلم في الكتاب والباب السابقين، عن الأسود بن عامر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة وعن ثابت بن أسلم عن أنس رضي ا عنهم. ورواه من طريق حماد بنحوه ابن ماجه في الكتاب والباب المذكورين له سابقاً.

(٤) النووي، المنهاج(ص١٧٢٨)

(5) عياض/ عياض بن موسى(ت٥٤٤هـ)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ط١، (تحقيق: يحيى إسماعيل)، دار الوفاء، مصر، (١٩٩٨م). (ج٧/ ص٣٣٤)

ثم إنّه تبين للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وللرهط، عدم صحة رأيه صلى الله عليه وسلم في عملهم، حينما رأى ما ترتب عليه من فساد ثمرهم. ولم تكن عواقب ذلك الرأي بالهينة ولا باليسيرة، فثمر النخل كان يعد رأس مال العرب قديما، فمنه قوتهم، ومنه تجارتهم ومعاشهم. ويعد هذا الموقف تربة خصبة للنقد سواء من طرف الصحابة أصحاب الثمر الذين وقع عليهم الضرر، أو من طرف النبي صلى الله عليه وسلم من باب نقد الذات على أمر صدر عنها. أما هم –أي الصحابة- فلم يرد أنهم تناولوا رأيه بالفحص والتمحيص، أو الحكم والتقييم، وأما هو صلى الله عليه وسلم فقد تعامل مع عدم صحة رأيه وتقديره في الأمر، وما ترتب عليه من الضرر بشكل فريد من الإيجابية والبناء.

وحتى يتم توضيح ذلك في نقده صلى الله عليه وسلم، نفترض أن شخصا ما مكان النبي صلى الله عليه وسلم قد صدر عنه هذا الرأي، وترتّب عليه ما ترتّب من ضياع الجهد والثمر لجماعة من الناس لا لفرد واحد فحسب، فالأغلب أن هذا الشخص سيقع مع نفسه في عدة أمور حين يبدأ بنقد الأمر ومناقشته مع ذاته. وأول ذلك: الوقوع تحت سيطرة الشعور المجهِد بالذنب تجاه تلك الجماعة وما آل إليه حال ثمارهم جراء رأيه. ولا نعني هنا الإدراك الطبيعي للخطأ والاعتراف به، وإنما ما يتجاوز ذلك إلى تناول النفس بالتقريع والتوبيخ الزائدين عن الحد، اللذين يوصلان غالبا إلى الشعور بالسخط على الذات.

(فالنقد الداخلي - في أغلب الأحيان- يكون مِلحا ولاذعا للغاية، بحيث لا يدع مجالا للصوت المتعقّل أن يعمل على الإطلاق)[(١)]

كما يمكن أن يصدر شخص في مثل هذا الموقف حكْما عاما على ذاته، حينما يضع موقفه في قالب الصواب والخطأ، دون نظرة متعقّلة وشاملة. وقد يستخدم في تعميم الخطأ على ذاته عبارات وأوصاف تحطّ من قدره وتؤذي كرامته وشعوره تجاه ذاته. وكلها أمور في مجملها تؤدي إلى إضعاف النظرة تجاه الذات، فيضعف احترام المرء لنفسه، ما يؤدي إلى إصابة التقدير الذاتي وبالتالي اهتزاز الثقة بالنفس وضعف الشخصية. غير أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع في شيئ من ذلك. ولقد كان دقيقا في نقد ذاته والتعبير عن شعوره تجاه ما حدث، وما آل إليه الأمر. فلم يصِب ذاته بأي شكل من الأشكال.

---

(١) ماكاي/ ماثيو **و** فانينج/ باتريك،(٢٠٠٥م)، **تقدير الذات(Self-Esteem)**، ط٣، (مترجم إلى العربية)، السعودية: مكتبة جرير. (ص١٥)

فانظر في قوله:(**فَإِني إِنمَا ظَنَنْتُ ظَنا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظن**)، فالنبي صلى ا عليه وسلم لم يتعرض لشخصه بالتخطئة، بل قدر موقفه بشكل صحيح، فهو في تلك اللحظة التي مـر بهـا على أولئك الرهط وهو يعملون ما كانوا يعملون، قال ما بدا له معقولا ومنطقيا، ومـا آل إليـه الأمر لاحقًا هو ما أبان عن عدم صحة رأيه صلى ا عليه وسلم في ذلك، ولذلك عزا ما صدر عنه للظن – وهو اجتهاده- ولم يعزه للخطأ. ويؤيده قوله:(**وَالظن يخْطِئُ وَيصِيب**)، فلم ينْسـب الخطأ لشخصه ولم يعممه على ذاته، وإنما نسبه للفكرة الصادرة عنه، ذلك أن ظنّه وفكرته هنـا هما محلّ النقد وموضوعه لا ذاته وشخصه، والأفكار الدنْيوية معرضة للإصـابة والاسـتبدال والتغيير، ولا ضرر في ذلك، بل قد يكون ذلك علامة على التقدم والتطوير، بينما الضرر الآتي من إصابة الذات والتعرض إلى تقديرها واحترامها بالإضعاف قد يصل إلى حد تعطيل قـدراتها ومواهبها، ما يحول دون إمكان التقدم والتطوير؛ ولذلك كان لا بد من إحاطة الذات وحمايتها من تسلّل الأفكار السلبية حولها، ومنع هيمنتها عليها. والنبي صلى ا عليه وسلم أشـار فـي هـذا الموقف وباختصار شديد إلى أن جل الأمر الصادر عنه كان ظنا، ظن فيه مصلحة لهـم، فعبـر عنه دون ميل لإيقاع الضر بأحد، وهو بذلك حسم الأمر واعتبر القضية منْتهية، ولـم يـدع فرصة لتولد الأفكار السلبية حول موقفه، وبالتالي حول ذاته صلى ا عليه وسلم.

والحقيقة أنّه في لحظة الفعل بالضبط ، يفعل المرء ما يبدو له معقولا، والتفسير اللاحق هو ما يحول الفعل إلى خطأ، فالخطأ لقب نستخدمه دائما بشكل استرجاعي، عندما ندرك أنّه كان بمقدورنا فعل شيء أكثر منطقية وعقلانية، وحيث إن الأخطاء هي نتيجة لتفسير لاحق، فالنتيجة المنطقية هي أن ارتكاب الأخطاء لا ينبغي أن يضعِف تقدير المرء لذاته(1).

ثم انظر في قوله:(**وَإِذَا أَمَرتُكُم بِشَيءٍ مِن رَأْيِي فَإِنمَا أَنَا بَشَر**)، فقد اعتذر عمـا صـدر عنه من رأي ببشريته التي قد تحمل الخطأ كما تحمل الصواب رغم النبـوة والعصـمة؛ وفـي اعتذاره ببشريته قبولٌ منه صلى ا عليه وسلم لذاته وفهم لها، كما فيه غاية التلطّف والتعـاطف معها، وهي أمور تساعد على الصفح عن الذات ومسامحتها عند ارتكابها الخطأ؛ ولا يخفى مـا لكل ذلك من دور عظيم في ارتفاع الشعور بالقيمة الذاتية، ومساعدة الذات على مواصلة الخير، بخلاف ما لو ذهب المرء إلى التجاوز في لوم ذاته وتوبيخها إذا ما صدر عنها أمر ما.

ولما كان الناس مشتركين في صفاتهم البشرية، مختلفين في شخصياتهم ونظرتهم للأمور والأشياء، إذ كل له سماته الخاصة وآراؤه الفردية، فإن تقبل الذات وفهمها من ناحية، والتعاطف

---

(١) ماكاي، ماثيو **و** فانينج، باتريك، تقدير الذات(Self-Esteem)، بتصرف.

معها ومسامحتها من ناحية أخرى، تصبح أمورا أساسية ومهمة ينبغي مراعاتها أثناء مراجعـة الذات ونقدها.

أما قوله:(**أَنْتُم أَعلَم بِأَمر دنْيَاكُم**)، فهو التفكير المنطقي السليم، والفهم الصـحيح الـدقيق للواقع؛ ففعل تأبير النخل أي تلقيحه كان يخْبِره أولئك الرهط من الصحابة، ويمارسونه سنة بعـد سنة، ويعرفون مدى فائدته وجدواه وهم أهل زرع، والنبي صلى ا عليه وسلم كان من قـريش الذين اشتُهروا بالتجارة ولم يكونوا أهل زرع. فلا شك أن علم أولئك الرهط –الدنيوي- بما كانوا يصنعونه أوثق وأدقّ، وإنما كان قوله صلى ا عليه وسلم من باب الظن لا العلم والخبرة كمـا بين لهم. وهو بهذا القول-أَنْتُم أَعلَم بِأَمر دنْيَاكُم-، يعلّمهم وضع ما يتلقونه من نقد في الميـزان، إذ أن مسارعتهم في قبول النقد والتسليم به والعمل بمقتضاه رغم خبرتهم في تلقيح النخـل أدى إلى نتائج عكسية لم تكن هدفاً للنبي صلى ا عليه وسلم، كما لم تكن في صالحهم.

<u>الفرع الثاني: دخول الكعبة:</u>

وعن عائِشَةَ رضي ا عنها قَالَتْ: خَرج النبِي صلى الله علَيهِ وسلم مِن عِنْـدِي وهـو قَرِير الْعين طَيب النفْسِ، فَرجع إِلَي وهو حزِين، فَقُلْتُ لَه، فَقَالَ: (**إِني دخَلْتُ الْكَعبةَ ووددتُ أَني لَم أَكُن فَعلْتُ، إِني أَخَافُ أَن أَكُونَ أَتْعبتُ أُمتِي مِن بعدِي**)[١]

وفي رواية: (**إِني دخَلْتُ الْكَعبةَ ولَو استَقْبلْتُ مِن أَمرِي ما استَدبرتُ ما دخَلْتُهـا، إِنـي أَخَافُ أَن أَكُونَ قَد شَقَقْتُ علَى أُمتِي**)[٢]

وفي أخرى قوله صلى ا عليه وسلم: (**لَقَد صنَعتُ الْيوم شَيئًا وددتُ أَني لـم أَفْعلْـه، دخَلْتُ الْبيتَ فَأَخْشَى أَن يجِيءَ الرجلُ مِن أُفُقٍ مِن الْآفَاقِ فَلَا يستَطِيع دخُوله، فَيرجِع وفِي نَفْسِهِ مِنْه شَيء**)[٣]

قول السيدة عائشة رضي ا عنها: (**قَرِيـر الْعـين**) كنايـة عـن السـرور والفـرح، وقولها:(**فَقُلْتُ لَه**) أي استفسرت وجه الحزن[٤].

---

(١) سبق تخريجه، انظر(ص٦١)

(٢) اللفظ لأبي داود راجع تخريج الحديث(ص٧٠)

(٣) رواه أحمد في المسند(ج٤٢/ص١١٠/ح٢٥١٩٧)، عن عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد عن جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي عن عرفجة بن عبد ا عن عائشة رضي ا عنها. **وإسناده ضعيف** لضعف جـابر بـن يزيـد، انظـر التقريب(ج١/ص١٢٨)، قال شعيب الأرناؤوط: **الحديث حسن لغيره**. راجع تخريجه(ص٧٠)

(٤) محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج١/ص١٠١٢،١٠١٣)

في هذا النص الشريف فائدة عظيمة تُضاف إلى جملة الفوائد التي ذكرت سابقا حول ما ينبغي مراعاته عند مراجعة الذات وممارسة النقد الذاتي، وهي اختيار كلمـات النقـد وانتقـاء عباراته، فعلى الفرد الحذر من بعض التعبيرات والكلمات التي تحمل في ثناياها الاتهام والتجريم للذات، وبعبارة أخرى التي تعمل ضد الذات.

فبإلقاء نظرة على تعبيرات النبي صلى ا عليه وسلم في النص نجدها تعكس تماما نقاء سريرته وصدق نيته تجاه الأمة جمعاء لا صحابته فحسب، كما تُلقي على الأسماع مدى حرصه على أبناء هذه الأمة وإشفاقه عليهم، والذي كان الدافع والسبب وراء تناولـه مـا صـدر عنـه بالمراجعة والنقد؛ فالموضوع محلّ النقد: دخوله بناء الكعبة، والجانب الذي أبرزه في مراجعتـه لفعله: أن اتّباع الأمة له فيه-أي دخول الكعبة- لا يتيسر لغالبهم، أو قد يتيسر بمشقة وتعب، قال صلى ا عله وسلم: (**إني أخَافُ أن أكُونَ أتعَبتُ أُمتِي مِن بَعدِي**)، أي فعلت مـا صـار سـببا لوقوعهم في المشقة والتعب، لقصدهم الاتباع في دخولهم الكعبة، وذاك لا يتيسـر لغـالبهم إلّـا بتعب.

والتعبير بقوله: (**وَوَدِدتُ أني لم أكُن فَعَلْتُ**) دون تقريع لذاته أو تأنيب، فلم يقـل علـى سبيل المثال:(ما كان علي أن أفعل..أو لقد ارتكبت خطأً بفعلتي تلك..) أو غيرها ممـا يحمـل للنفس دلالات التوبيخ المفرط وجلد الذات، كما لم يتّهم نفسه بإلحاق الضرر بالأمة كأن يقـول: (أتعبت أمتي من بعدي، أو شققْت على أمتي)-حاشاه صلى ا عليه وسلم- ، بل قـال بتعبيـر يخلو من الطعن والاتهام: (**إني أخَافُ أن أكُونَ أتعَبتُ أُمتِي مِن بَعدِي**).

وفي قوله:(**إني دَخَلْتُ الْكَعبَةَ**) فائدة تُذكر وهي التعبير عن محلّ النقد بصراحة ووضوح ومواجهة له.

ويعد قوله صلى ا عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عنه سهل بن حنيف رضـي ا عنه: (**لا يَقُلْ أحَدكُم: خَبثَتْ نَفْسِي، وَلْيَقُلْ لقِسَتْ نَفْسِي**)[1] قاعدة وأصلٌ في ضـرورة اختيـار

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا يقل خبثت نفسي(ص١٢٦٦/ح٦١٨٠)، ومسـلم فـي الألفـاظ مـن الأدب وغيرها، باب: كراهة قول الإنسان خبثت نفسي(ص١١٣٧/ح٢٢٥١)، وأبو داود في الأدب، بـاب: لا يقـال خبثـت نفسي(ص٩٣٠/ح٤٩٧٨)، ثلاثتهم من طريق يونس بن يزيد بن أبي النّجاد عن ابن شهاب الزهري عن أسعد بن سهل عن أبيه سهل بن حنيف رضي ا عنه.

الألفاظ والعبارات المناسبة في نقد الذات، والتي من شأنها مساعدة الفرد على النّهـوض بذاتـه وتحقيق الصلاح لها، بحفظها من الألفاظ والعبارات التي قد تسبب لها الجرح والمهانة.

ومعنى **لَقِسَتْ نَفْسِي**: أي غَثَت، واللقْس: الغَثَيان، واللِقِس: السيء الخُلُق[1].

فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم في النص على اختيار الأحسن من الألفاظ، **فخبثت نفسي** تطلق مجازا ويراد بها غثيان النفس، إلا أنها لما كانت تعني الباطل في الاعتقاد والكـذب في المقال، والقبيح في الفعال، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن استخدامها وأبدل بها الكلمـة السالمة[2].

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٦٠٩)

(٢) أمين/ أمين حلمي، (١٩٩٨م)، **الحوار الفكري في القرآن الكريم(المناظرة والمجادلة والمحاجة)**، ط١، دار النهضـة الإسلامية.(ص٤٢-٤٤)

المطلب الثاني: نماذج من نقد الصحابة ذواتهم:

الفرع الأول: عدم ارتباط واقع المنقود بالنقد:

عن حنْظَلَةَ الْأُسيدِيِّ رضي الله عنه - وكان مِن كُتَّابِ رسول اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم- قَالَ: لَقِيَنِي أَبو بكْرٍ فَقَالَ: كيفَ أَنْتَ يا حنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ: **نَافَقَ حَنْظَلَةُ**، قَالَ: سبحان اللهِ ما تَقُولُ! قَالَ قُلْتُ: **نَكُون عِنْدَ رَسول اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ يذَكرنا بِالنار وَالْجَنةِ حَتى كأَنا رَأْي عَينٍ، فَإِذَا خَرَجنَا مِن عِنْدِ رَسول اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ عَافَسنَا الْأَزوَاجَ وَالْأَولَادَ وَالضيعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرا**، قَالَ أَبو بكْرٍ: فَواللهِ إِنا لَنَلْقَى مِثْلَ هذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وأَبو بكْرٍ حتى دخَلْنَا على رسول اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم، قُلْتُ: **نَافَقَ حَنْظَلَةُ** يا رسولَ اللهِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم: (وما ذَاك)؟ قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ نَكُون عِنْدك تُذَكرنَا بِالنار والْجنةِ حتى كأَنا رأْي عينٍ، فَإِذَا خَرجنَا مِن عِنْدِك عافَسنَا الأزواج والْأَولَاد والضيعاتِ نَسِينَا كَثِيرا، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليْهِ وسلم: (**وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِن لَو تَدومونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذكْرِ لَصَافَحَتْكُم الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرشِكُم وَفِي طُرقِكُم، وَلَكِن يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَراتٍ**)[1] وفي رواية قال حنظلة: (**نَافَقْتُ نَافَقْتُ**)

قوله(**حَتى كأَنا رَأْي عَينٍ**): أي كأنا بحال من يراها بعينه، و(**عَافَسنَا الْأَزوَاجَ وَالْأَولَادَ وَالضيعَاتِ**) معناه مارسنا ذلك واشتغلنا به، أي عالجنا معايشنا وحظوظنا، والضيعات جمع ضيعة وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة[2].

محلّ النقد والمراجعة الذي تناوله حنظلة رضي الله عنه في هذا النص: تغير الحال الذي كان يلاحظه من نفسه حين يكون حاضرا مع النبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه هو ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أحاديثه حول الجنة والنار ترغيبا وترهيبا، فَيَصِل هو ومن معه إلى حالة من الكمال أو شبه الكمال في الشعور الداخلي تجاه ما يحدثهم به صلى الله عليه وسلم حتى كأن الأمر يبدو مرئيا أمام أعينهم، وفيه علامة على ارتفاع الإيمان وشدة اليقين بالله؛ ثم يشير حنظلة رضي الله عنه إلى تناقص هذا الشعور تدريجيا في داخله كلما أغرق في أمور

---

(١) رواه مسلم في كتاب: التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة..(ص١٣٥٩/ح٢٧٥٠)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، باب.(ص٧٢٤/ح٢٥٢٢)، وابن ماجه في الزهد، باب: المداومة على العمل(ص٩٦٤/ح٤٢٣٩)، وأحمد في المسند(ج٢٩/ص١٥٠/ح١٧٦٠٩)، جميعهم من طريق سعيد بن إياس الجريري عن أبي عثمان النّهدي عبد الرحمن بن مل بن عمرو عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه.

(٢) النووي، المنهاج(ص١٩٢٣)

معاشه وعلاقاته بمن حوله. فعبر عن نقده لهذه الحالة بإسناد النفاق إلى ذاته. وقد كرر حنظلة رضي ا عنه نعته لذاته بالنفاق أمام النبي صلى ا عليه وسلم دون أن ينكر ذلك عليه، إلا أن إنكاره – صلى ا عليه وسلم- لإطلاق مثل هذا النعت ورد في موضع آخر من حديث عتبان بن مالك رضي ا عنه وفيه قال قائلٌ في مالك بن الدخْشن: **ذَلِكَ منَافِقٌ..**، فَرد رسول ا صلى ا عليه وسلم عليه بقوله: (**لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاه قَد قَالَ لَا إِلَهَ إِلَا الله يرِيد بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ**)[١]

وفيه إشارة إلى أن نقده له بوصفه منافق بعيد عن الواقع، كما أن نقد حنظلة رضي ا عنه كان كذلك، إذ أن ما دفعه لوصف حالته بما وصف خوفه النفاق على نفسه وهوما يدلّ على صدقه وسلامة باطنه؛ والنفاق أصله: إظهار المرء ما يكتم خلافه من الشر[٢]، فلما لم يستطع حنظلة رضي ا عنه الجمع والتوفيق بين حالته الشعورية في حضوره مع النبي صلى ا عليه وسلم وحالته في غيابه عنه وجد أقرب تحليل لذلك أنه نافَقَ، وهو ما كان بعيدا عنه تمام البعد. وعليه فلا بد أثناء مراجعة الذات أو الآخر من الانتباه لمدى مطابقة النقد مع الواقع، وهو ما يتطلب فهم الأبعاد الداخلية والخارجية المتصلة بالشخص ومحلّ النقد، ويساعد في تحديد عبارات النقد واختيار كلماته، ووضع الحلول المناسبة له، فإذا ما روعِي كل ذلك كان النقد قريبا من الحقيقة بعيدا عن المبالغة أو الاتهام.

والانتباه كذلك إلى الواقعية مع النفس أثناء المراجعة، فالطبيعة البشرية محدودة في قدراتها وصفاتها، بالإضافة إلى تعلقها باحتياجاتها وأسباب معاشها. قال السنْدي في قوله صلى ا عليه وسلم: (..**وَلَكِن يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**) أي ساعة يكون الحضور لينتظم به أمر الدين، وساعة تكون الغفلة لينتظم بها أمر الدنيا والمعاش، وفي كل منهما رحمة على العباد[٣].

---

(١) سبق تخريجه، راجع ص(١٠٢)

(٢) النووي، المنهاج(ص١٩٢٣)

(٣) السندي، سنن ابن ماجه بشرح السندي(ج٤/ ص٤٨٦)

الفرع الثاني: إصدار أحكام نهائية على الذات:

١. عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنه قَالَ: لَما نَزلَتْ هذِهِ الْآيةُ: **يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَرفَعوا أَصوَاتَكُم فَوقَ صَوتِ النبِي** الحجرات: آية٢، إِلَى آخِرِ الْآيةِ جلَس ثَابِتُ بن قَيسٍ فِي بيتِهِ وقَالَ: **أَنَا مِن أَهلِ النارِ**، واحتَبس عن النبِي صلى الله علَيهِ وسلم، فَسأَلَ النبِي صلى الله علَيـهِ وسلم سعد بن معاذٍ فَقَالَ: (**يَا أَبَا عَمرٍو، مَا شأْن ثَابِتٍ اشْتَكَى**)؟ قَالَ سعد: إِنـه لَجـارِي، ومـا علِمتُ لَه بِشَكْوى، قَالَ: فَأَتَاه سعد فَذَكَر لَه قَولَ رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَـالَ ثَابِـتٌ: **أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمتُم أَني مِن أَرفَعِكُم صَوتًا عَلَى رَسول اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسلَمَ، فَأَنَا مِن أَهلِ النارِ**. فَذَكَر ذَلِك سعد لِلنبِي صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَالَ رسولُ اللهِ صـلى اللـه علَيـهِ وسلم: (**بلْ هوَ مِن أَهلِ الْجَنةِ**)[١]

وفي رواية: فَقَالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ أَنَا أَعلَم لَك عِلْمه، فَأَتَاه فَوجده جالِسـا فِـي بيتِـهِ منَكسا رأْسه، فَقَالَ: ما شأْنُك؟ فَقَالَ: **شَر كَانَ يَرفَع صَوتَه فَوقَ صَوتِ النبِي صَلى اللـه عَلَيـهِ وَسلَمَ فَقَد حَبِطَ عَمَلُه وَهوَ مِن أَهلِ الْأَرضِ**..[٢]

قوله في هذه الرواية: (**شَر كَانَ يَرفَع صَوتَه..**) بلفظ الغيبة، وهو التفات، وكان السـياق يقتضي أن يقول كنت أرفع صوتي[٣].

إصدار أحكام نهائية على الذات هو من أخطر ما يمكن أن يقع به الناقد لذاته أو لغيـره لخطورة ما قد يصيب الطرف المنقود من إحباط واستسلام، وهو تماما ما حدث مع ثابتٍ رضي الله عنه، إذ كان – كما ذكر عن نفسه في النص الشريف- من أرفع الصحابة صوتًا عند النبـي صلى الله عليه وسلم، وقد كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفـي روايـة خطيـب الأنصار[٤]. فما أن نزلت الآية الكريمة بالنهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي وعقوبة ذلك،

---

(١) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب:{لَا تَرفَعوا أَصواتَكُم فَوقَ صوتِ النبِي}..(ص١٠٢٥/ح٤٨٤٦)، ومسـلم فـي كتـاب الإيمـان، بـاب: مخافـة المـؤمن أن يحـبط عملـه(ص٧٣/ح١١٩) واللفـظ لـه، وأحمـد فـي المسند(ج١٩/ص٤٦٢/ح١٢٤٨٠)، مسلم وأحمد من طريق الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه به، والبخاري عن علي بن عبد الله بن نجيح عن أزهر بن سعد عن عبد الله ابن عون عن موسى بن أنـس عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، انظر التخريج السابق له.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص٧٧٠)

(٤) المرجع السابق(ج٦/ص٧٦٩)

حتى أصدر حكما نهائيا على ذاته قائلا:(**فَأنَا مِن أَهل النار**) وأنه: (**حَبِطَ عَمَلُه وَهوَ مِن أَهل الأرض**)، وتُذكر في النص كذلك تداعيات ذلك الحكم وآثاره على نفسه، فقد احتبس في بيته وجلس منكّسا رأسه، في حالة تعكس تماما ما أصابه من إحباط واستسلام جراء ما حكم به على ذاته؛ ورغم أن النقد كما أُشير سابقا في بيان مفهومه يتضمن حكما على الأشياء، إلا أنه الحكم الذي يساهم في تجلية محلّ النقد وموضوعه وإيجاد الحلول له ووضع البدائل عنه، لا الحكم الذي يعني المحاكمة النهائية للذات أو الآخر، فالله عز وجلّ وحده الحكَم إذ هو المحيط بعلمه، والذي لا تخفى عليه خافية، أما ابن آدم فهو ذو علم محدود وقاصر ومن هذه صفته يستحيل تأهلُه لإصدار حكم نهائي على ذاته أو على غيره.

ولا شك أن حكم ثابتٍ رضي الله عنه على نفسه كما عكَس حالةَ الإحباط والاستسلام في داخله، عكَس كذلك إيمانه الحي والعميق، وصِدق خشيته، وحزنه الشديد على أمرٍ قد يكون في الحقيقة خارج عن إرادته، إذ ورد في بعض روايات الحديث قول ثابت عن نفسه أنه جهير الصوت[1]، وقد تكون فيه إشارة إلى كون ذلك خَلْقِي فيه، فنبرة الصوت من الانخفاض والارتفاع أو الحدة وغيرها مما هو خارج عن إرادة الإنسان يكون من الأمور الخَلْقِية التي يصعب ضبطها في كثير من الأحيان.

ولا شك كذلك أن ما كان يصدر عنه يندرج من الناحية النظرية تحت النص الإلهي، إلا أنه كان قبل نزول آية النهي فيعُد جاهلا بالتحريم، كما أنه رضي الله عنه كان حسن النية إذ لم يكن رفْع الصوت منه على سبيل إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم- حاشاه- ولكنه كان جهير الصوت كما ذُكر، وهما أمران-أي جهله بالحكم وحسن نيته- كان من الممكن أن يعذُر ثابت بهما نفسه، إلّا أن الأمر عظُم عليه واشتد لدرجةٍ لم يجِد معها عذرا لذاته.

والمفارقة أنه رضي الله عنه وقد حكَم على ذاته بما حكَم، بشر بالجنة وهو في حالته تلك، أي بما هو مخالف تماما لتوقعاته حول ذاته، وهو أمر كافٍ لإدراك مدى إمكان الخطأ في أحكام البشر على ذواتهم أو على غيرهم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى خطورة تداعيات تلك الأحكام وآثارها.

---

(١) ذكره ابن حجر العسقلاني في الفتح(ج٦/ص٧٧٠) وفيه قول ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم: (نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وأنا جهير) قال ابن حجر: هذا مرسل قوي الإسناد أخرجه ابن سعد والدارقطني في الغرائب. وقال النووي في المنهاج(ص٢١٠): كان ثابت جهير الصوت، وكان يرفع صوته، وكان خطيب الأنصار، ولذلك اشتد حذره أكثر من غيره.

٢. وعن عائِشَةَ رضي ا عنها قالت: أَتَى رجلٌ إِلَى رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فِي الْمسجِدِ **فِي رَمَضَانَ**، فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ **احتَرَقْتُ احتَرَقْتُ**، فَسأَله رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم ما شأْنُه؟ فَقَالَ: أَصبتُ أَهلِي، قَالَ: (تَصدقْ)، فَقَالَ: واللهِ يا نَبِي اللهِ مالِي شَيء وما أَقْدِر علَيهِ، قَالَ: (اجلِس)، فَجلَس فَبينَا هو علَى ذَلِك، أَقْبلَ رجلٌ يسوقُ حِمارا علَيهِ طَعام، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (أَين الْمحتَرِقُ آنِفًا) فَقَام الرجلُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (تَصدقْ بِهذَا) فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ أَغَيرنَا؟ فَواللهِ إِنا لَجِياع ما لَنَا شَيء، قَالَ: (فَكُلُوه)[١]

وفي رواية من حديث أبي هريرة بلفظ (**هَلَكْتُ**)[٢]

في قوله: (**احتَرَقْتُ.. وهَلَكْتُ**) قال الحافظ: رواية الاحتراق تفسر رواية الهلاك، وكأنه لما اعتقد أن مرتكب الإثم يعذّب بالنار أطلق على نفسه أنه احترق لذلك.. واستدل به على أنه كان عامدا لأن الهلاك والاحتراق مجاز عن العصيان المؤدي إلى ذلك، فكأنه جعل المتَوقّع كالواقع، وبالغ فعبر عنه بلفظ الماضي [٣]

يشترك موقف الصحابي المشار إليه في النص[٤] مع موقف ثابت بن قيس رضي ا عنهما في أن كُلا منهما صدر منه ما ورد النهي عنه، ويختلفان في أن ورود النهي في موقف ثابت جاء متأخرا عنه –أي عن موقفه-، بينما وروده في موقف الصحابي الآخر جاء متقدما عليه، فكان الأخير على علم بالنهي والتحريم حال فعله، فهي حالة أحرى بأن يقف المرء فيها موقفًا كالذي وقفه ثابت رضي ا عنه عند مراجعته لذاته؛ إلا أن سياق النص الوارد في

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصوم، باب: إذا جامع في رمضان(ص٣٩٧/ح١٩٣٥)، ومسلم في كتاب الصيام، باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم..(ص٥١٣/ح١١١٢)، واللفظ له، وأبو داود في الصوم، باب: كفارة من أتى أهله في رمضان(ص٤٤٧/ح٢٣٩٤)، وأحمد في المسند(ج٤٢/ص١٧/ح٢٥٠٩٢)، والدارمي في الصوم، باب: في الذي يقع على امرأته في شهر رمضان نهارا(ص٥٠٩/ح١٧٢٤)، جميعهم من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام عن عباد بن عبد ا بن الزبير عن عائشة رضي ا عنها.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الصوم، باب: إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتُصدق عليه فليُكفر(ص٣٩٨/ح١٩٣٦)، ومسلم في الصيام، باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم..(ص٥١٣/ح١١١١)، وأبو داود في الصوم، باب: كفارة من أتى أهله في رمضان(ص٤٤٦/ح٢٣٩٠)، والترمذي في الصوم، باب: ما جاء في كفارة الفطر في رمضان(ص٢٣١/ح٧٢٤)، وابن ماجه في الصوم، باب: ما جاء في كفارة من أفطر يوما في رمضان (ص٣٩٢/ح١٦٧١)، وأحمد في المسند(ج١٢/ص٢٣٧/ح٧٢٩٠)، والدارمي في الصوم، باب، في الذي يقع على امرأته في شهر رمضان نهارا(ص٥٠٨/ح١٧٢٢)، جميعهم بطرق عن ابن شهاب الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي ا عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٤/ص٢٠٦،٢٠٤)

(٤) قيل هو سلمان أو سلمة بن صخر البياضي، وقيل أبو بردة بن يسار، وطعن الحافظ ابن حجر في صحة التسميتين، ولم يقف هو على تسميته. الفتح(ج٤/ص٢٠٦)

الصحابي الآخر يعكس موقفًا مختلفًا في المراجعة وإصدار الأحكام على الذات، عمـا يعكسـه النص الوارد في ثابتٍ رضي ا عنه، فتعبيره عن ذاته هنا بلفظي **هلكت واحترقت،** رغـم مـا يحمله من حكم شديدٍ عليها، إلا أن فيه استِنْجاد واضح بالنبي صلى ا عليه وسـلم، إذ سـارع الصحابي فور صدور الأمر عنه إلى النبي معترفًا بفعلته، مدركًا لنتائجها، راجيا أن يجد لنفسـه منها مخرجا. وهنا يكمن الفارق بين الموقفين، فثابت رضي ا عنه أصدر حكما على ذاته وقف عنده وانتهى إليه، مما أثّر عليه سلْبا لدرجةٍ عزلَ معها نفسه عن النبي صلى ا عليـه وسـلم وعن مجتمعه –كما أُشير في النص-، بينما الصحابي الآخر أصدر حكما بدأ به وانطلق منه بحثًا عن مخرج لذاته، فكان موقفه تجاه ذاته إيجابيا وبنّاء، أثمر عن نتائج خرج بها من حالة الضيق والحرج اللذين وقع فيهما.

فائدة:

قال ابن حجر: استُدِلّ بهذا على أن من ارتكب معصية لا حد فيها وجاء مستفتِيا أنـه لا يعزر، لأن النبي صلى ا عليه وسلم لم يعاقِبه مع اعترافه بالمعصـية.. وتوجيهـه أن مجيئـه مستفتيا يقتضي الندم والتوبة، والتعزير إنما جعِلَ للاستِصلاح ولا استِصلاح مع الصلاح، وأيضا فلو عوقِب المستفتي لكان سببا لترك الاستفتاء وهي مفسدة فاقتضى ذلك ألا يعاقَب[1].

(١) ابن حجر، الفتح(ج٤/ص٢٠٧)

٣. وعن عمر بن الْخَطابِ –رضي ا عنه- قال: **هَشَشْتُ،** فَقَبلْتُ وَأَنَا صائِم، فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ **صَنَعتُ الْيومَ أَمرا عَظِيما،** قَبلْتُ وَأَنَا صائِم. قَالَ: (أَرأَيتَ لَو مضمضتَ مِن الْماءِ وَأَنْتَ صائِم)(١)

عرفَ عمر رضي ا عنه في مسيرته مع النبي صلى ا عليه وسلم وبعد وفاته برجاحة عقله وتميزه؛ وموافقاتُه مع بعض ما أنزل ا عز وجل من آيات كقضية أسرى بدر وغيرها مما تذكره المرويات الصحيحة تشهد له بذلك، كما يشهد له قول النبي صلى ا عليه وسلم: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر)(٢)، ومحدثون جمع محدث، أورد العلماء فيه معاني منها: الملْهم، والرجل الصادق الظن، والتّفَرس، ومن يجري الصواب على لسانه من غير قصد..(٣)، وحينما جمعت بعض الأحاديث المتصلة بنقد الصحابة لذواتهم في حياة النبي صلى ا عليه وسلم لاحظت أنه -رضي ا عنه- كان معتدلا يميل إلى الدقة والصواب في نقد ذاته، وهو ما يدلّ بالإضافة إلى رجاحة عقله على وضوح وارتفاع شعوره بالقيمة الذاتية.

وهنا تناول رضي ا عنه ما صدر عنه من التقبيل وهو صائم بقوله: **(هَشَشْتُ)** و **(صَنَعتُ الْيومَ أَمرا عَظِيما)،** أما استخدامه للفظ هششت فيلاحظ فيه أمران: الأول مناسبته التامة لحالته الشعورية لحظة صدور الأمر عنه، فهو من هشّ يهشّ هشاشَة إذا فَرح بالأمر واستبشر وارتاح له وخفّ(٤)، فالمعنى أنه فرح وارتاح بالنظر إلى زوجته فقبل وهو صائم(٥). فجاء تعبيره دقيقًا رقيقًا خاليا من دلالات الطعن والاتهام التي يمكن أن نلمحها في نقد مثل هذه المواقف ويحمل هذا التعبير في ثناياه الرفق بالذات والمسلمحة، كما أن فيه مراعاة ضمنية منه

(١) رواه أبو داود في كتاب: الصوم، باب: القبلة للصائم(ص٤٤٥/ح٢٣٨٥)، والنسائي في الكبرى(ح٢٩٤٥)، وأحمد في المسند(ج١/ص٢٨٥/ح١٣٨)، والدارمي في كتاب الصوم، باب: الرخصة في القبلة للصائم(ص٥١١/ح١٧٣٠)، وابن حبان في صحيحه(ج٨/ ص٣١٣/ح٣٥٤٤)، والحاكم في مستدركه(ج١/ص٣٤١)، جميعهم من طريق الليث بن سعد عن بكير بن عبد ا عن عبد الملك بن سعيد عن جابر بن عبد ا عن عمر بن الخطاب رضي ا عنهم.

والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات. وصححه الحاكم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط، قال: صحيح على شرط مسلم، رجاله رجال الشيخين غير عبد الملك بن سعيد الأنصاري فمن رجال مسلم.

(٢) رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب.(ص٧٣٠/ح٣٤٦٩)، وأحمد في المسند(ج١٤/ص١٧٦/ح٨٤٦٨)، كلاهما من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي سلمة عبد ا بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي ا عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٧/ص٦٢)

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٩٠٧)

(٥) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود(ج٤/ص٤٦٢)، والسهارنفوري، بذل المجهود(ج١١/ص٢٠٠)

ويحمل هذا التعبير في ثناياه الرفق بالذات والمسامحة، كما أن فيه مراعاة ضمنية منه رضي ا عنه لذاته على حالته الشعورية تلك، والتي لم يستطع معها ملْك نفسه، وهو الأمر الثـاني الـذي يلاحظ من تعبيره بهذا اللفظ دون غيره، إذ مراعاة الحالة الشعورية لدى الطرف المنقود سـواء كان الذات أو الآخر، أمر لا بد من أخذه بعين الاعتبار، عند تناول بعض الأمور بالنقـد إذ قـد تكون مما يغلب الإرادة البشرية ويتغلب عليها كحالة عمر رضي ا عنه. وأما قوله: **(صَـنَعتُ اليْومَ أمرا عَظِيما)** فهو وصف يليق بعظمة الحال الذي كان عليه وهو الصوم.

الفرع الثالث: الظن بصدور نقدٍ، وإمكان النقد بالظن:

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي ا عنه أن رسولَ اللهِ صلى الله علَيـهِ وسـلم كان يسِير فِي بعضِ أسفَارِهِ وعمر بن الْخَطابِ يسِير معه لَيلًا، **فَسَأَله عمَر بـن الْخَطَّـابِ عَـن شيءٍ فلَم يجِبه رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ، ثُم سأَله فلَم يجِبه، ثُم سأَله فلَم يجِبه،** وقَـالَ عمر بن الْخَطابِ: **ثَكِلَتْكَ أُمكَ يَا عمَر، نَزَرتَ رَسولَ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ ثَلاثَ مَراتٍ كُـل ذَلِكَ لَا يجِيبكَ!** قَالَ عمر: فَحركْتُ بعِيرِي ثُم تَقَدمتُ أَمام الْمسلِمِين **وَخَشِيتُ أَن يَنْزِلَ فِي قُـرآن.** فَما نَشِبتُ أَن سمِعتُ صارِخًا يصرخُ بِي، قَالَ: **فَقُلْتُ لقَد خَشِيتُ أَن يَكُونَ نَزَلَ فِي قُرآن،** وجِئْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فَسلمتُ علَيهِ، فَقَالَ: (لَقَد أُنْزِلَتْ علَي اللَيلَةَ سورةٌ لَهِي أَحب إِلَي مِما طَلَعتْ علَيهِ الشمس)، ثُم قَرأَ إِنا فَتَحنَا لَك فَتْحا مبِينًا[1]

وفي رواية أنه قال-أي عمر-: (**ما أَخْلَقَكَ أن ينزل فيك قرآنًا**)[2]

لم يذكر في النص الشريف صراحة سبب سكوت النبي صلى ا عليه وسلم عن إجابـة عمر رضي ا عنه، وقد كرر السؤال عليه ثلاثًا، ولكن ذُكِر نزول سورة الفتح، وفيه إشارة أن السبب كان انشغاله صلى ا عليه وسلم بالوحي، قال ابن حجر: تكرير عمر السؤال إما لكونـه خَشِي أن النبي لم يسمعه أو لأن الأمر الذي كان يسأل عنه كان مهما عنده، ولعلّ النبي صـلى ا عليه وسلم أجابه بعد ذلك، وإنما ترك إجابته أولًا لشغله بما كان فيه من نـزول الـوحي[3]. وعليه فإن سبب السكوت عن إجابة عمر رغم تكريره السؤال لم يكن لأمر صدر عنه، إلا أنـه رضي ا عنه –لما استغرب ذلك، ووقع في نفسه منه شيء- بادر إلى نقد ذاتـه بِـرد الأمـر عليها، وتوقّف فيه على اتهام نفسه دونما واقعةٍ صدرت عنه قائلا: (**ثَكِلَتْكَ أُمكَ يَا عمَر، نَـزَرتَ رَسولَ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ ثَلاثَ مَراتٍ كُل ذَلِكَ لَا يجِيبكَ!**)و(**ما أَخْلَقَـكَ أن ينـزل فيـك قرآنًا**)و(**لقَد خَشِيتُ أَن يَكُونَ نَزَلَ فِي قُرآن**)

وثكلتك من الثّكْل وهو فقدان المرأة ولدها. قال ابن حجر: دعا عمر على نفسه بسبب ما وقع منه من الإلحاح، ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسه حقيقة، وإنما هي من الألفـاظ

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية..(ص٨٧٠/ح٤١٧٧)، والترمذي في تفسير القـرآن، بـاب: سورة الفتح(ص٩٣٨/ح٣٢٧٣)، ومالك في كتاب القرآن، باب: ما جـاء فـي القـرآن(ج١/ص١٣٢/ح٩)، وأحمـد فـي المسند(ج١/ص٣٣٦،٣٣٧/ح٢٠٩)، أربعتهم من طريق مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم مولى عمر عن عمر رضي ا عنه.

(٢) رواه الترمذي، انظر التخريج السابق له.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٧٥٠)

التي تُقال عند الغضب من غير قصد معناها.. **ونزرت** –بالتخفيف والتثقيل، والتخفيف أشـهر-: أي ألْححت عليه.. وقوله فما **نَشِبتُ**: أي لم أتعلق بشيء غير ما ذكرت(١). أما قوله:**مـا أخلقـك** صيغة تعجب من خَلُقَ، صار خليقًا أي جديرا(٢).

ولا شك أن الأولى أن يتّهم عمر-وغيره- نفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسـلم، ولكنني أوردت الحديث لأبين أن بعض ما يتناوله المرء من نقدٍ لذاته قد يكون سببه ومرده إلـى الظن، أي إلى شعور داخلي بأن شيئًا ما صدر عنه استحقّ الانتقاد عليه، لا إلى واقعةٍ حقيقيـةٍ وقعت منه أو أمرٍ صدر عنه، كما حدث مع الفاروق رضي الله عنه.

أما ما ينبغي فعله في مثل هذه الحال، فقد يكون الفاروق قدم نموذجا جيدا حينما تريـث في رد فعله فلم يبن على ظنّه وشعوره موقِفًا عمليا ضد ذاته، كما لم يبنِه ضد النبي صـلى الله عليه وسلم ولا شك أنه لم يكن لِيفْعلْ، ولكنها حالة قد يتخّذ المرء فيها موقفا عمليا ضد الآخر أو ضد ذاته إن كان شعوره تجاهها مصابا أو منخفضا.

إلا أن بعض الظن بصدور ما يمكن الانتقاد عليه قد يكون صحيحا إذا وجِد ما يشير إلى ذلك أو يدلّ عليه، كما يمكن ترتيب موقف عليه. كفعل الصحابي وائل بـن حجـر الحضـرمي رضي الله عنه عندما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وله شَعر طويل، فقـال النبـي: (**ذُبـاب، ذُباب)، قال وائل: فرجعت فَجَزَزْتُه ثم أتيته من الغد فقال: (إني لم أعنِكَ، وهذا أحسن)**(٣)وفـي روايةٍ قال وائلٌ للنبي: سمعتك تقول ذُباب فظننْتُك تعيبني، فقال صلى الله عليه وسلم:(**ما عيبتُكَ، وهكذا أحسن)**(٤)

والذُباب هنا معناه الشّؤْم، أي هذا شؤم، وقيل الشر الدائم، يقال أصابك ذُباب مـن هـذا الأمر، ورجلٌ ذُبابي: مشؤوم.

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٧٥٠)

(٢) محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج٢/ص٢٣٦٣)

(٣) رواه أبو داود في كتاب: الترجل، باب: في تطويل الجمة(ص٧٧٨/ح٤١٩٠)، والنسائي في الزينة، باب: الأخذ مـن الشارب(ص٧٢٢/ح٥٠٥٤)، وابن ماجه في اللباس، باب: كراهية كثرة الشعر(ص٨٢٥/ح٣٦٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير(ج٢٢/ص٤٠/ح٩٩)، والبيهقي في **شعب الإيمان**(ج٨/ص٤٣٤/ح٦٠٥٥، ٦٠٥٦)، جميعهم من طريق سفيان الثوري عن عاصم بن كُلَيب عن أبيه كليب بن شهاب عن وائل بن حجر رضي الله عنه. عند البيهقي بلفظ: **ذباذب**، ومعناه أهداب وأطراف، واحدها ذِبذِب، سميت بذلك لأنها تتحرك على لابسها إذا مشى. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريـب الحـديث والأثر(ج١/ص٦٠٠).

والحديث إسناده حسن فعاصم بن كليب وأبوه قال عنهما الحافظ فـي التقريـب صـدوقان(ج١/ص٣٦٧)(ج٢/ص١٤٤)، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي(ج٣/ص١٠٣٩)، وصحيح سنن ابن ماجه(ج٣/ص٢٠٧).

(٤) رواه الطبراني والبيهقي، راجع التخريج السابق.

فظن وائل رضي ا عنه لطول شعره أنه معنِي بقول النبي صلى ا عليه وسلم (ذباب ذباب)، وبتعبير آخر أنه صلى ا عليه وسلم ينتقد فيه طول شعره، فما كان منه إلا أن قَبِلَ مـا ظنّه نقدا وسارع باتخاذ موقف تجاهه إذ قام على الفور بتغيير هيئته، فأقره النبي صلى ا عليه وسلم على حسن ما قام به وإن لم يعنِهِ بما قال.

وبناءا عليه يمكن القول بأن المواقف التي يكون فيها محلّ النقد وموضوعه ظنّي ووجِـد ما يشير إليه أو يدلّ عليه فيمكن أخذه بعين الاعتبار والتعامل معه بما يعود بالنفع، ويحفظ للذات قيمتها واحترامها، وما كان على سبيل الظن ولم يوجد ما يشير إلى محلّه وموضوعه، فإمـا أن يترك أو يؤخَذ بعين الاعتبار مع مراعاة الاعتدال والحكمة في ذلك.

المبحث الثاني: نقد الذات الجمعية

المطلب الأول: نقد الذات الجمعية إيجابيا بما يحقق المصلحة:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خفت أزواد القوم وأملقوا فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إبلهم فأذن لهم، فلقيهم عمر فأخبروه فقال: **ما بقاؤكم بعد إبلكم؟،** فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، **ما بقاؤهم بعد إبلهم**؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ناد في الناس فيأتون بفضل أزوادهم**) فبسط لذلك نطع وجعلوه على النطع. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)[١].

وفي رواية: (لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعةٌ. قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افعلوا). قال: فجاء عمر، فقال: **يا رسول الله! إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك.** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم ..)[٢].

قوله: **وأملقوا**، أي افتقروا. **وبرك عليه**، بالتشديد أي دعا بالبركة على الطعام. ومعنى **فاحتثى الناس** أي أخذوا من الطعام[٣]، **والنطع**: هو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق، قولًا وفعلًا[٤].

الذات الجمعية في هذا النص الشريف هي جماعة الجنْد الذين مثّلوا جيش تبوك، والأمر الذي حدث أو عرض لذلك الجيش وتطلّب النّظر فيه والرأي هو نفاد أزوادهم التي حملوها لفترة غزوهم، ولا شك أنهم جميعا معنيون بهذا الأمر وبنفس الدرجة، ويستوون في الحاجة الماسة لإيجاد حل له، إذ عليه يتوقف بقاؤهم؛ فاقترح بعض الجنْد كحل للأزمة نحر إبلهم ووافقهم النبي صلى ا عليه وسلم على ذلك، وهو الرأي الذي عارضه عمر رضي ا عنه ورأى فيه هلاكهم لا بقاءهم، فراجع النبي صلى ا عليه وسلم في القرار منتقدا ما اقترحه إخوانه من الجنْد ومبينًا سلبياته، إذ أن نحر إبلهم- وهي ما تبقى لهم- لن يسهم في الحدّ من المجاعة المنتشرة، كما لا

(١) سبق تخريجه، راجع(ص٦٢)

(٢) سبق تخريجه، راجع(ص٦٢)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص١٦٤)

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٧٥٨)

يمثّل في الحقيقة إلّا حلا مؤقتًا. والإبل ركوبهم ومحملُهم فإن نُحِرتْ كان ذلك سـببا آخـر مـن أسباب هلاكهم، قال الحافظ في شرح قول عمر:(**مَا بَقَاؤُكُم بَعدَ إِبِلِكُم؟**) أي لأن تـوالي المشْـي ربما أفضى إلى الهلاك[1].

ثم إنه رضي ا عنه اقترح على النبي صلى ا عليه وسلم حلا رأى فيه خيرا للجماعة وضمانًا لسلامتها، وهو جمع ما لديهم من الأزواد ووضعه أمام النبي صلى ا عليه وسلم ليدعو ا عز وجلّ عليه بالبركة والتكْثير، فكانت واحدة من معجزات النبي صـلى ا عليـه وسـلم، وجعل ا عز وجلّ فيها مخرجا لهم من الأزمة. وكانت منْقَبةٌ تُضاف للفاروق دالّة على حسـن نَظَرِهِ للمسلمين، وقوة يقينه بإجابة دعاء الرسول صلى ا عليه وسلم[2].

وفي اقتراحه رضي ا عنه بجمع ما لدى المجموعة بأسرها في نِطَـع واحـد، معنًـى ضمني يمكن الالتفات إليه وهو التأكيد على روح التعاون والشّراكة التي ينبغي أن تتحلّـى بهـا الجماعات لضمان بقائها واستمرارها، وهو ما أشار إليه البخاري في ترجمته في كتاب الشـركة لعدد من الأحاديث منها حديث الباب بقوله: (الشّركةِ في الطعام والنهدِ والعـروض..)[3]. كمـا ترجم النووي لحديث الباب بقوله: (استحباب خلط الأزواد إذا قلّت والمواساة فيها)[4]

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص١٦١)

(٢) المرجع السابق.

(٣) النهد: ما تُخْرِجه الرفْقَة عند المناهدة إلى العدو، وهو أن يقسموا نَفَقَتهم بينهم بالسوية حتـى لا يتَغـابنُوا، ولا يكـون لأحدهم على الآخر فضل ومِنة. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٨١٠)، والعروض بضم أولـه جمع عرض مقابل النقد، وأما بفتحها فجميع أصناف المال. انظر: ابن حجر، الفتح(ج٥/ص١٦٣)

(٤) راجع تخريج حديث الباب في الصفحة السابقة.

المطلب الثاني: نقد الذات الجمعية إيجابيا وإن لم يحقق المصلحة:

عن سهل بن حنَيفٍ رضي الله عنه قال: ..كُنا مع رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم يوم الْحديبِيةِ **وَلَو نَرَى قِتَالًا لقاتَلْنَا**. فَجاء عمر بن الْخَطاب فَقَالَ: **يَا رَسولَ اللهِ، أَلسنَا عَلَى الْحَق وَهم عَلَى الْبَاطِلِ؟** فَقَالَ: (بلَى)، فَقَالَ: **أَلَيسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنةِ وَقَتْلَاهم فِي النارِ؟** قَالَ: (بلَى)، قَالَ: **فَعلَامَ نُعطِي الدنِيةَ فِي دِينِنَا، أَنَرجِع وَلَما يَحكُمِ الله بَينَنَا وَبَينَهم؟** فَقَالَ: **(يَا ابنَ الْخَطابِ إِني رَسولُ اللهِ وَلَن يضَيعَنِي الله أَبَدا)**. فَانْطَلَقَ عمر إِلَى أَبِي بكْرٍ **فَقَالَ له مِثْلَ مَا قَالَ لِلنبِي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ، فَقَالَ: إِنه رَسولُ اللهِ وَلَن يضَيعَه الله أَبَدا..**[1].

وفي رواية قال: **(إني رَسولُ الله وَلَستُ أَعصِيهِ، وَهوَ نَاصِرِي. فقال عمَر: أَوَلَيسَ كُنت تُحدثنا أنّا سَنَأتِي البَيتَ فَنَطُوف بِهِ؟ قال النبي: بَلَى، فَأَخْبَرتُكَ أَنّا نَأتِيه العام؟، قال عمر قلت: لا، فقال النبي: فَإِنكَ آتِيهِ وَمطَوفٌ بِهِ. قال عمر: فأتيت أبا بكر-** وقال له مثلما قال للنبي- **فقال أبو بكر: أيها الرجلُ إنه لرسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَلَيسَ يَعصِي رَبه وَهوَ نَاصِره فاستَمسِك بِغَرزِهِ فَوالله إنه عَلى الحَق..)**[2]

الذات الجمعية هنا ذلك الجمع الذي سار مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية قاصدين مكة للاعتمار في البيت لا يريدون قتالًا؛ والأمر الذي عرض لتلك الجماعة وتناولوه بالنقدِ والتحليل والمراجعةِ كان تَصدي المشركين لهم والحيلولة بينهم وبين مكة والاعتمار، وما نتج عنه من عقد الصلح المعروف بصلح الحديبية، والذي شارط المشركون فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجِع بمن معه ويجيء في العام المقبل للاعتمار، ولا يقيم في مكة آنذاك أكثر من ثلاثة أيام، ويدخلها هو ومن معه ليس معهم سوى سلاح الراكب لا المقاتل. وأن من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه.

---

(١) سبق تخريجه، راجع(ص٧٣)

(٢) جزء من روايةٍ مطَولَةٍ في صلح الحديبية، رواها البخاري في كتاب: الشّروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب..(ص/ح٢٧٣٢،٢٧٣١)، وأحمد في المسند(ج٣١/ص٢٤٣/ح١٨٩٢٨)، كلاهما من طريق عبد الرزاق بن همام بن نافع عن معمر بن راشد عن المِسور بن مخْرمة ومروان بن الحكم. قال الحافظ: (هذه الرواية بالنسبة إلى مروان مرسلة لأنه لا صحبة له، وأما المسور فهي بالنسبة إليه أيضا مرسلة لأنه لم يحضر القصة..، وورد الحديث من طريق أخرى عن الزهري عن عروة: (أنه سمع المسور ومروان يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) فذكر بعض هذا الحديث. وقال: وقد سمع المسور ومروان من جماعة من الصحابة شهدوا هذه القصة كعمر وعثمان وعلي والمغيرة وأم سلمة وسهل بن حنيف وغيرهم، ووقع في نفس هذا الحديث شيء يدلّ على أنّه عن عمر، وهو قوله: قال عمر بن الخطاب ألست نبي الله حقا) ثم قال الحافظ: هذا مما يقوي أن الذي حدث المسور ومروان بقصة الحديبية هو عمر بن الخطاب. راجع الفتح(ج٥/ص٤١٧)

وهي شروط وقَفَتْ جماعة المسلمين ممن حضروا الصلح منها موقِفًا نقديا صلبا، تمثّـل في حالةٍ من الرفض والاعتراض الشدِيدين. فهذا الفاروق رضي الله عنه يراجع النبي صلى الله عليه وسلم في قبوله الصلح وما تضمنه من شروط، مثيرا في مراجعته له تساؤلاتٍ كانت فـي ظنّه كافية لرفض الصلح والشروع في قتال المشركين، فهم أهل الحقّ في الدنيا، الفائزون فـي الآخرة، وهو الذي حدثهم بالمسير إلى مكة والاعتمار في البيت؛ كما شدد في نَقْدِهِ وتَحلِيلِهِ القَبولَ بِوصفِهِ قَبولًا بالدنِية في الدين، والدنِيّة الخَصلَة المذمومة وهي بمعنى الضعيف الخَسيس[1]، وبين النووي أن معناها النّقيصة والحالة الناقصة، وأعقَب ذلك بقوله: إن سؤاله رضي الله عنه وكلامه المذكور لم يكن شكا بل طلبا لكشف ما خَفِي عليه، وحثا على إذلال الكفار وظهور الإسلام[2].

وهذا سهل بن حنيف يقول: **(وَلَو نَرَى قِتَالًا لقَاتَلْنَا)** وفي رواية قال:(..**وَلَو أَني أَستَطِيع أَن أَرد أَمرَ رَسول الله ـ صَلى الله ـ عَلَيهِ وَسَلَمَ لرَدَدتُه..**)[3]

وكلماته تعكس حجم الرفض الذي كان في نفوسهم تجاه الصلح وشروطه، ورغبتهم فـي قتال المشركين والنيل منهم، كما تعكس مدى صبرهم على أمر النبي صـلى الله عليـه وسـلم وقراره توقيع الصلح رغم مخالفتهم الشديدة له في الرأي والاتجاه آنذاك.

وجاء النص على نقد المسلمين بنْد الصلح الذي يقضي بأن من أتى النبي صلى الله عليه وسلم منهم مسلما ردوه إليهم ومن أتاهم -أي المشركين- من المسلمين لم يـردوه؛ وفيـه (**قـال المسلمون: سُبحَانَ الله، كَيف يرَد إِلى الْمشْرِكِينَ وَقَد جَاءَ مسلِما؟، فَبينَمَا هم كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبو جَنْدَل بن سهَيل بن عَمرٍو يَرسفُ فِي قُيودِهِ، وَقَد خَرَجَ مِن أَسفَل مَكة حَتى رَمَى بِنَفْسِـهِ بَـينَ أَظْهر الْمسلِمينَ.. قَال أَبو جَنْدَل: أَي مَعشَرَ المسلِمين، أُرَد إِلى المشْرِكين وَقَد جِئْتُ مسـلِما أَلا تَرونَ مَا قَد لَقِيتُ؟، وَكَانَ قَد عذبَ عَذابا شديدا في الله**)[4].

معنى **يَرسفُ**: أي يمشِي مشْي المقَيد إذا جاء يتحاملُ برجِله مع القيد[5]. والنص ظـاهر في نقدهم الأمر بالتعجب منه، لما فيه من المشقة والانكسار والضعف ولحوق الذلّ بهم.

---

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٥٨٦)

(٢) النووي، المنهاج(ص١٣٨٦)

(٣) رواه مسلم، انظر التخريج السابق له، وأحمد في المسند(ج٢٥/ص٣٤٦/ح١٥٩٧٤)، كلاهما عن الأعمش سليمان بـن مهران عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

(٤) سبق تخريجه(ص٨٦)

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/٦٥٥)

موقف النبي صلى ا عليه وسلم تجاه الجو النقدي السائد:

لا تذكر السياقات السابقة تعليقًا من النبي صلى ا عليه وسلم على الأجواء التي سـادت صف الجماعة المسلمة سوى ما نُقِلَ من إجاباته على الفاروق رضي ا عنه في مواجهتـه لـه بالمراجعة والنقد، والتي اكتفى فيها بالتأكيد على أمر دخولهم البيت والاعتمار فيه، وبالإشارة إلى النصر والخير الذي سيلحق الإسلام والمسلمين نتيجة هذا الصلح، وهو ما أكده الصديق رضـي ا عنه داعيا الفاروق لامتثال أمر النبي صلى ا عليه وسلم بقوله: **(فاستَمسِك بِغَـرزِهِ)** وهنـا استعار له الغَرز ليحثّه على امتثال أمر النبي وتَرك مخالفته كالذي يمسِك بركاب الراكب، ويسير بسيرهِ[1]

يقول كتاب النقد المباح: (نرى ممارسةً فذة للنقد في ظل دولة الإسلام.. من ذلك مراجعة عمر للرسول صلى ا عليه وسلم في صلح الحديبية.. حين ثار الجدل حول شرط تسـليم مـن يدخل من مشركي مكة الإسلام إلى المشركين.. فلم يسخط الرسول على صاحبه، ولا أنكر عليه حق النقد فيما لم يقتنع به، بل لعله صلى ا عليه وسلم قدر صلابة عمر وقوة موقفـه وكونـه محدثًا بما يعتقد أنه حق، ثم كان عمر هو الذي راجع نفسه في شجاعة لما تبينـت لـه حكمـة الصلح)[2]

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ ص٣٠١)، والغَرز للإبل بمنزلة الركّـب للفـرس. انظـر: ابـن حجر،الفتح(ج٥/ص٤٣٥)

(٢) عماد النجار، النقد المباح(ص٤٣٧)

المطلب الثالث: نقد الذات الجمعية سلبيا بما ينافي المصلحة:

عن عبدِ اللهِ بن عمر رضي الله عنهما أن رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم بعثَ بعثًا وأمر عليهم أسامةَ بن زيدٍ **فطعَنَ الناس فِي إمَارَتِهِ**. فقَام رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فقَالَ: **(إن تطْعَنُوا فِي إمَارَتِهِ فقَد كُنْتُم تطْعَنُونَ فِي إمَارَةِ أَبِيهِ مِن قبلُ، وَايمُ اللهِ إن كانَ لخَلِيقًا لِلإمَارَةِ، وَإن كانَ لمِن أَحَب الناس إلي وَإن هَذَا لمِن أَحَب الناس إلي بَعدَه)**[1].

الذات الجمعية في النّص هو الجيش الذي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم قبل مرض وفاته، وولاه أسامة بن زيد رضي الله عنهما وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنقد الموجه لهذه الذات –الجيش-، كان حول أميره، إذ اعترضت فئة منه على إمارته وتوليه، ولم يتضمن النص بيانًا لجهة اعتراضهم، والذي يظهر أن الاعتراض جاء إما لكونه من الموالي كما ذكر ابن حجر[2]، أو لِصغَر سنّه، ووجود من هو أكبر منه وأكثر فضلا من الصحابة رضوان الله عليهم ممن كانوا تحت إمرته. وهي احتمالات وجيهة، وسواء صحت أو لم تصح، فلا شك أن جهة اعتراضهم كانت مرفوضة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وعدها من قبيل الطعن.

وقد جاء موقف النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النموذج مختلفًا عنه في الأولين، إذ مثّل كلا منهما نموذجا إيجابيا في الدفع من أجل تحقيق المصلحة الجمعية، سواء كان الرأي النّقدي الذي صدر فيها عن الجهة الناقدة في محلّه، أو لم يكن، وسواء ترتّب عليه تغيير في التخطيط والعمل، كما في النموذج الأول من غزوة تبوك، أو لم يترتب كما في النموذج الثاني من صلح الحديبية.

أما الدفع في هذا النموذج الذي بين أيدينا، فقد كان باتجاه الطعن في شخص أمير الجيش أسامة رضي الله عنه والنّيل من قدرته على إدارة الجيش وخوض المعركة، لا الدفع نحو ما فيه مصلحة الجيش وتقديم النّصح من أجله، ولذلك نجد النبي صلى الله عليه وسلم يقف موقفًا حازما من الناقدين يبرز فيه دوافعهم في نقد قائدهم بالطعن في قدراته: **إن تطْعَنُوا فِي إمَارَتِهِ فقَد كُنْتُم تطْعَنُونَ فِي إمَارَةِ أَبِيهِ مِن قبلُ، وَايم اللهِ إن كانَ لخَلِيقًا لِلإمَارَةِ،** قال ابن حجر: أي إن طعنتم فيه فأخبركم بأنكم طعنتم من قبل في أبيه، والتقدير إن تطعنوا في إمارته فقد أثمتم بذلك، لأن

---

(١) سبق تخريج الحديث وبيانه، راجع(ص١٠١)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١٣/ص٢٢٤)

طعنكم بذلك ليس حقا كما كنتم تطعنون في إمارة أبيه، وظهرت كفايته وصلاحيته للإمارة، وأنه كان مستحقا فلم يكن لطعنكم مستند، فلذلك فلا اعتبار بطعنكم في إمارة والده، ولا التفات إليه(١).

وأكّد بقوله: **وَإن كانَ لمِن أَحَب الناس إلي وَإن هَذَا لمِن أَحَب الناس إلي بَعدَه**، علـى فضـلهما ومنزلة كل منهما عنده، وفيه رد على الانتقاص منهما كونهما موالي وعتيق.

(١) ابن حجر، الفتح(ج١٣/ص٢٢٤)

الفصل الرابع

أساليبه صلى ا   عليه وسلم في نقد الآخر

المبحث الأول: النقد المباشر

المطلب الأول: النقد المباشر بالزجر

المطلب الثاني: النقد المباشر بلا زجر

المبحث الثاني: النقد غير المباشر

المطلب الأول: انتزاع شخصية المنقود

المطلب الثاني: انتزاع محلّ النقد

يأتي البيان الكلامي على نوعين: مباشر وغير مباشر.

أما المباشر منه: فهو البيان الذي تكون الدلالة فيه على المعنى المراد باللفظ الموضـوع له لغة، أو باللفظ الدالّ عليه في الاستعمال العام الدارج، أو باللفظ الدالّ عليه اصطلاحا عند أهل علم من العلوم أو فن من الفنون، أو الدالّ عليه في الاصطلاح الشرعي.

وأما غير المباشر فهو البيان الذي يستخدم فيـه التشـبيه والتمثيـل، أو الاسـتعارة، أو المجاز، أو الكناية، أو الإلماح، أو التعريض، أو فحوى الخطاب بالمفهوم الموافق، أو المفهـوم المخالف، إلى غير ذلك مما يكتفى فيه بدلالة اللوازم الفكرية، ولا تكون فيه الدلالة على المعنـى المراد بمنطوق اللفظ. فالبيان الكلامي غير المباشر هو الذي يأتي متواريا، أو مسـتخفيا بأقنعـة كثيفة، أو بأقنعة متوسطة الكثافة، أو بأقنعة رقيقة، تعطي جمالا ولا تحجب الرؤية عن قاصـدها ذي النظر العادي[1].

واستعمل النبي صلى ا عليه وسلم البيان المباشر وغير المباشر في انتقاداته حول مـا يصدر عن الآخرين. أما المباشر في نقده وهو ما تعين فيه موضوع النقـد والجهـة المنقـودة، فيلاحظ أن النبي صلى ا عليه وسلم تناوله بصيغتين، أحدهما: الزجر وما في معناه من التوبيخ والتشديد والملامة، وقد ذكر سابقا عند الحديث حول المصطلحات ذات الصلة الهدمية بمصطلح النقد، أن مثل هذه الإجراءات يتم اتخاذها للحد من السلوكيات غير المرغوب فيها، فهـي تعـد أساليب تربوية، لها أثر كبير في الردع وإحداث التغيير المطلوب؛ ولذلك وجدت لهذه الإجراءات شواهد كثيرة في نقد النبي صلى ا عليه وسلم للآخرين وتناوله لسلوكياتهم، وهو ما يدلّ علـى أهمية التعاطي مع كثير مما ينْتَقد بمستوى عالٍ من الجدية والحزم.

وعلى الرغم مما قد تلقيه مثل هذه الإجراءات من إيحاءات سلبية عند الـبعض، إلا أن الحقيقة أن النبي صلى ا عليه وسلم قد جمع وبمهارة فذة بين استخدام مثل هـذه الإجـراءات الشديدة بالشكل الصحيح المناسب، والمحافظة على احترام الآخرين لذواتهم وتقديرهم لأنفسـهم، فلم يصدر عنه صلى ا عليه وسلم باتجاه الآخر ما قد يثير مشاعر الاحتقـار أو الاستصـغار للنفس، بل كان يعمل على صون النفس وردعها في ذات الوقت.

أما الصياغة الثانية لبيانه المباشر في نقده صلى ا عليه وسلم، فقد كان خاليا من معاني الزجر والتوبيخ والتشديد، متضمنًا في الغالب منه دلالات الرفق واللطف واللين.

---

(١) الميداني، فقه الدعوة إلى ا وفقه النصح..(ج١/ص٤٣٩)

وأما البيان الكلامي غير المباشر في نقده فهو غير مباشر باعتبـارين: الأول باعتبـار انتزاع شخصية المنقود، أي عدم تعيين الجهة المنقودة عند تناول محلّ النقد بالمراجعة والكشف والتحليل، والثاني باعتبار انتزاع محلّ النقد بمعنى عدم التصريح به، وذلك بمواراتـه وإخفائـه تحت أقنعة من التشبيه أو التعريض أوغيرها مما يشير إلى محلّ النقد ويدلّ عليـه دون تعيينـه مباشرة.

وكلا الأسلوبين المباشر وغير المباشر في النقد وما يتفرع عنهما من أساليب وإجراءات، لكل منهم له متطلباته وظروفه التي اقتضت تقديمه على ذلك الشكل، والذي تحققت بـه الفائـدة المرجوة من العملية النقدية. وهو ما سيبرز ويتضح من خلال عرض الأحاديث المتضمنة لكـلا الأسلوبين في الفصل الذي بين أيدينا.

المبحث الأول: النقد المباشر

المطلب الأول: النقد المباشر بالزجر:

يتضمن هذا المطلب أحاديث طرح النبي صلى الله عليه وسلم فيها نقده للآخر بأسلوب الإنكار والزجر المباشرين، وذلك بصيغ وأساليب مختلفة، منها استخدامه لبعض ألفاظ الذم والزجر كلفظي بئس ومه، ومنها الاستفهام الإنكاري، وغير ذلك، وهو أسلوب اقتضته طبيعة محلّ النقد وموضوعه، كما سيظهر من خلال تحليل النصوص.

الفرع الأول: نقد المسلمين المباشر بالزجر:

١. عن أُسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: بعثَنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم إِلَى الْحرقَةِ مِن جهينَةَ، قَالَ: فَصبحنَا الْقَوم فَهزمنَاهم، قَالَ: ولَحِقْتُ أَنَا ورجلٌ من الْأَنْصار رجلًا مِنْهم، قَالَ: فلَما غَشِينَاه قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلا الله**، قَالَ: **فَكَف عَنْه الْأَنْصَارِي فَطَعَنْتُه بِرمحِي حَتى قَتَلْتُه**، قَالَ: فلَما قَدِمنَا بلَغَ ذَلِكَ النبي صلى الله عليهِ وسلم، قَالَ: فَقَالَ لِي: **(يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَه بعد مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلا الله)؟** قَالَ قُلْتُ: **يَا رَسولَ اللهِ إِنمَا كَانَ متَعوذًا**، قَالَ: **(أَقَتَلْتَه بَعدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلا الله)**؟ قَالَ: **فَمَا زَالَ يكَررهَا عَلَي حَتى تَمَنيتُ أَني لم أَكُن أَسلَمتُ قَبلَ ذَلِكَ الْيوم**[1]. وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: **(مَن لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلا الله يَومَ الْقِيَامَةِ؟** فَقُلْتُ: **يَا رَسولَ اللهِ إِنمَا قَالَهَا مَخَافَةَ السلَاحِ**، قَالَ: **(أَفَلَا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتى تَعلَمَ مِن أَجل ذَلِكَ قَالَهَا أَم لَا!)**؟[2]

قوله: **فَصَبحنَا الْقَومَ**، هجموا عليهم صباحا قبل أن يشعروا، يقال صبحته أتيته صباحا بغتة. **وغَشِينَاه:** أي لحقنا به حتى تغطى بنا[3].

محلّ النقد في النص إقدام أسامة رضي الله عنه على قتل الرجل بعد تلفظه بالتوحيد، وتركه العمل بالظاهر، بعزوه ما صدر عنه إلى كون دافع الرجل التعوذ بلفظ التوحيد مخافة السلاح أي الموت؛ وطرح النبي صلى الله عليه وسلم نقده لفعل أسامة رضي الله عنه من خلال

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة(ص٨٨٤/ح٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (ص٦٥/ح٩٦)، وأبو داود في الجهاد، باب: على ما يقاتل المشركين؟(ص٤٩٣/ح٢٦٤٣)، وأحمد في المسند(ج٣٦/ ص٧٣/ح٢١٧٤٥)، أربعتهم بطرق عن أبي ظبيان وهو حصين بن جندب بن عمرو بن الحارث، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم وأبو داود بالتخريج السابق لهما، كلاهما من طريق الأعمش عن أبي ظبيان. ولفظ (من لك بلا إله إلا الله عند أبي داود).

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٢/ص٢٤٠، ٢٤١)

الاستفهامات الإنكارية من قوله: **أَقَتَلْتَه بَعدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَا الله؟** وفي النص الثاني: **مَن لَكَ بِلَـا إِلَهَ إِلَا الله يَومَ الْقِيَامَةِ؟**.. وقال: **(أَفَلَا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتى تَعلَمَ مِن أَجل ذَلِكَ قَالَهَـا أَم لَـا!)**، والتي أثار بها ما لم يكن حاضرا في ذهن أسامة حين أقدم على قتل الرجل بعد تلفظه بالتوحيد، من أن الأصل العمل بالظاهر وا عز وجل يتولى السرائر، إذ من غير الممكن التوصـل إلـى معرفة ما في القلوب من النوايا والدوافع؛ فما كان عليه في ذلك الموقف سوى الكفّ عن الرجل، والأخذ منه بالظاهر، دون تكلف البحث في نيته وقصده.

والاستفهام الانكاري معناه إنكار وقوع الشيء ماضيا أو مستقبلا على سبيل التـوبيخ أو التكذيب. فلا يتم تقرير المخاطَب في شيء، وإنما ينكر عليه ويستهجن منه ما حدث، سواء كان قولا قاله، أو عملا عمله، ولم يكن ينبغي له ذلك، فيوبخ على ما صدر منه. وحينما يلقى الكـلام بصيغة الاستفهام الإنكاري فكأن السائل ينتظر من المسؤول جوابا، فهو سيفكر، ويراجع، وسيجد نفسه بعد هذه المراجعة والتفكير في ضيق وحرج[(١)]. وهو ما شعر به أسامة رضي ا عنه حين قال: **حَتى تَمَنيتُ أَني لم أَكُن أَسلمتُ قَبلَ ذَلِكَ اليَومِ**، قال النووي: قاله من عِظَمِ ما وقع فيـه[(٢)]. فأسلوب الاستفام الإنكاري من الأساليب البلاغية المهمة في اللغة العربية، لما له من وقـع فـي النفس أبلغ وأشد في إبراز الأمر المستفهم عنه، والذي لا ينتظر جوابا عليه، كما أنّه أكثر تأثيرا في الجهة المسئولة، وردعا لها.

ذكر ابن حجر: أن زجره بصيغة الاستفهام الإنكاري: **(أَقَتَلْتَه بَعدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَا الله)**، ثم اعتذار أسامة بقوله: **إِنمَا كَانَ متَعَوذًا**، وإعادة النبي الإنكار عليه، في هذا اللوم تعليم وإبـلاغ في الموعظة حتى لا يقدِم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وفي تكريره ذلك والإعـراض عـن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك[(٣)].

وفي قوله: **أَفَلَا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتى تَعلَمَ مِن أَجل ذَلِكَ قَالَهَا أَم لَـا!**: قال النووي: معناه أنك إنما كُلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، أما القلب فليس لك طريق إلى معرفـة مـا فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان، وقال أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل قالهـا القلب واعتقدها وكانت فيه، أم لم تكن فيه، بل جرت على اللسان فحسب، يعني: وأنـت لسـت بقادر على هذا، فاقتصِر على اللسان فحسب، يعني: ولا تطلب غيره[(٤)].

---

(١) عبـاس/ فضـل حسـن،(١٩٩٧م)، **البلاغـة فنونهـا وأفنانهـا(علـم المعـاني)**، ط٤، الأردن: دار الفرقـان. (ص١٩٤،١٩٨،١٩٩)، بتصرف.

(٢) النووي، المنهاج(ص١٩٥)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٢/ص٢٤٠،٢٤١)

(٤) النووي، المنهاج(ص١٩٧)

٢. وللنبي صلى ا عليه وسلم موقف نقدي آخر مع أسامة رضي ا عنه، تناول فيـه محلّ النقد بالزجر والإنكار، وذلك فيما ترويه السيدة عائِشَةَ رَضِي الله عنْها، أَن قُريشًا أَهمهـم شأْن الْمرأَةِ الْمخْزومِيةِ الَتِي سرقَتْ فَقَالُوا: ومن يكلم فِيها رسولَ اللهِ صلى الـه علَيـهِ وسـلم؟ فَقَالُوا: ومن يجتَرِئُ علَيهِ إِلا أُسامةُ بن زيدٍ حِب رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فَكلمـه أُسـامةُ فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**أَتَشْفَع فِي حَد مِن حدودِ اللهِ**)؟، ثُم قَام فَاخْتَطَب ثُم قَالَ: **(إِنمَا أَهلَكَ الَذِينَ قَبلَكُم أَنهم كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهم الشرِيفُ تَرَكُوه، وَإِذَا سَرَقَ فِـيهم الضـعِيفُ أَقَاموا عَلَيهِ الْحَد، وَايم اللهِ لَو أَن فَاطِمَةَ بِنْتَ محَمدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا)**[1]

قولها رضي ا عنها: **أَهَمهم شأْن الْمَرأَةِ الْمَخْزومِيـةِ**، أي أقلقهـم أمرهـا المتعلـق بالسرقة، خشية أن تُقطع يدها لعلمهم أن النبي صلى ا عليه وسلم لا يـرخّص فـي الحـدود. والمرأة المخزومية ذكرها ابن حجر وقال: اسمها على الصحيح فاطمة بنت الأسود، وهي بنـت أخي أبي سلمة الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي صلى ا عليه وسلم. وقولهم: **مَن يكَلم فِيهَـا رَسولَ اللهِ**، أي يشفع عنده فيها أن لا تُقطع إما عفوا وإما بفداء. **وَمَن يَجتَرِئُ عَلَيهِ إِلا أُسَـامَةُ**: الجرأة هي الإقدام بإدلال، **ويَجتَرِئُ عَلَيهِ** أي يتجاسر عليه بطريق الإدلال، فلا يجترئ عليه أحد لمهابته، لكن أسامة له عليه إدلال فهو يجسر على ذلك[2].

والنقد جاء في قوله صلى ا عليه وسلم: **أَتَشْفَع فِي حَد مِن حدودِ اللهِ**: بهمزة الاستفهام الإنكاري، قال ابن حجر لأنه سبق له منْع الشفاعة في الحد قبل ذلك[3]. وتناولَ النبي صـلى ا عليه وسلم الأمر من جهة أنّه حد من حدود ا تعالى المنصوص عليها في القرآن الكريم، فكيف أمكنه التجاوز بطلب الشفاعة فيه؟، وهو أبلغ في الردع والموعظة من أن يتناول من جهـة مـا يطرحه طلب الشفاعة من دلالات المحاباة والتمييز بين العباد وترك المساواة بينهم فـي تطبيـق الأحكام الشرعية، وإن كانت هذه الدلالات مقصودة في نقده صلى ا عليـه وسـلم بالكشـف والبيان، ولكنّه أبرز في بداية نقده الأمر ما هو أشد خطورة، وهو تجاوز حدود ا عـز وجـلّ

---

(١) **(متفق عليه)**. رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب.(ص٧٣١/ح٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود، بـاب: قطـع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود(ص٨٥٠/ح١٦٨٨)، وأبو داود في الحدود، باب: في الحـد يشـفع فيه(ص٨١٥/ح٤٣٧٣)، والترمذي في الحدود، باب: ما جاء في كراهية أن يشفع في الحد(ص٤٣٨/ح١٤٣٥)، والنسـائي في قطع السارق، باب: ذكر اختلاف الناقلين لخبر الزهري..(ص٧٠٢/ح٤٩٠١)، وابن ماجه في الحدود، باب: الشـفاعة في الحدود(ص٥٩٠/ح٢٥٤٧)، جميعهم من طريق الليث عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضـي ا عنها.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١٢/ص١٠٥، ص١١١-١١٣)، والنووي، المنهاج(ص١٢٩٧)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٢/ص١١٢)

ومخالفة أحكامه الشرعية؛ ثم إنّه صلى الله عليه وسلم عمم القضية حين قام في الناس خطيبا لبيان مدى خطورة انتشار ظاهرة المحاباة والتمييز في تطبيق الأحكام على الناس في الأمم والمجتمعات، وأنّه سبب من أسباب هلاكها. وقوله **لو أن فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لقَطَعتُ يَدَهَا**: أراد به المبالغة في إثبات إقامة الحد على كلّ مكلف وترك المحاباة في ذلك(١).

الفوائد النقدية المستفادة:

أما أهم الفوائد النقدية المستفادة من هذين النصين المتصلين بأسامة رضي الله عنه، الفصل في النقد بين الشخص وما يصدر عنه؛ وبيان ذلك من جهتين، **الأولى** أنّه لم تمنع مكانة أسامة رضي الله عنه، ودرجة محبته في قلب النبي صلى الله عليه وسلم التي صرح فيها في غير موضع، لم تمنع هذه المكانة النبي صلى الله عليه وسلم من نقد سلوكه في الموقفين بصيغة فيها الزجر والتوبيخ والردع، فلا تجوز المحاباة ولا التمييز في النقد، مهما بلغ شأن المنقود ودرجته. **والثانية** أنّه وجه النقد في كلا الموقفين لسلوك أسامة رضي الله عنه لا لشخصه وذاته، فما يصدر عن الشخص من فكر أو قول أو سلوك هو موضوع النقد ومحله في جميع المواقف النقدية على السواء، أما الذات والشخصية فليسا موضوعا أو محلا للنقد؛ إذ يترتب على توجيه النقد لشخص الإنسان دون سلوكه آثار سيئة قد تصل إلى حد الهدم والتدمير المعنوي للذات الإنسانية؛ فقد يحطّ النقد لشخص الفرد من قدره ويهين كرامته، والشريعة الإسلامية تُعلي شأن الإنسان عامة، وتحفظ كرامته، قال تعالى: **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** الإسراء، آية: ٧٠، كما يمكن أن يحد هذا النوع من النقود من إمكانيات الشخص وقدراته، ويحبط رغبته في التنمية والتطوير، أو يقضي عليها، وبالنتيجة تقل ثقة الفرد بنفسه وتضعف شخصيته. أما شدة الضيق والحرج التي شعر بها أسامة في النص الأول حتى قال: **فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**، فقد تولّد من شعوره بعظم ما صدر عنه بعد كشف النبي صلى الله عليه وسلم بنقده عن خطورة ذلك الفعل، وكأنه رضي الله عنه تمنّى أنّه لم يكن قد وقع في مثل هذا وهو على الإسلام، وفيه دلالة على مدى الاتعاظ الذي حصل له نتيجة نقد النبي صلى الله عليه وسلم لفعله، فيكون هدف النقد قد تحقق فيه.

ومن الفوائد كذلك أن بعض النقود الخاصة، أي التي توجه لشخص بعينه، يمكن بحثها وتناولها في الخطب والاجتماعات لأهميتها على المستوى المجتمعي، كما في قضية التمييز بين الناس في الحدود والعقوبات التي يطرحها النص؛ وسيأتي الحديث حول هذا النوع من النقود

(١)ابن حجر، الفتح(ج١٢/ص١١١-١١٣)، والنووي، المنهاج(ص١٢٩٧)

الذي يتم تعميمه وتحويله من قضية خاصة إلى قضية عامة في موضعه من البحث بمشـيئة ا .
ويلحظ في قصة المرأة المخزومية، أن النبي صلى ا عليه وسلم حين حول الأمر إلى قضـية عامة لم يأتِ على ذكر أسامة رضي ا عنه البتة، وهو ما يؤكّد على ضرورة الفصل في النقـد بين محلّ النقد وشخص المنقود، أي بين الفكرة والشخص.

ومن النصوص التي تضمنت نقودا بصيغة الاستفهام الإنكاري:

٣. ما رواه جابِر بن عبدِ اللهِ أَن معاذَ بن جبلٍ رضِي الله عنْهما كان يصلي مع النبـي صلى الله علَيهِ وسلم، ثُم يأْتِي قومه فيصلي بِهِم الصلَاةَ، **فقَرَأَ بِهِم الْبقَرَةَ**، قَالَ: **فتَجَـوزَ رَجـلٌ فصَلى صَلَاةً خَفِيفةً، فبَلغَ ذَلِكَ معَاذًا فقَالَ: إِنه منَافِقٌ.** فبَلغَ ذَلِك الرجلَ فأَتَى النبِي صـلى اللـه علَيهِ وسلم فقَالَ: **يا رَسولَ اللهِ إِنا قَوم نَعمَلُ بِأَيدِينا ونَسقِي بِنوَاضِحِنا، وَإِن معَاذًا صَـلى بِنَـا الْبارِحَةَ فقَرَأَ الْبقَرَةَ فتَجَوزتُ فزَعَمَ أَني منَافِقٌ**، فقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: **(يا معَاذُ أَفتَان أَنْتَ؟ ثلَاثًا، اقْرَأْ وَالشمسِ وَضحَاهَا وَسَبح اسمَ رَبكَ الْأَعلَى وَنَحوَهَا)**[1]

قوله: **فتَجَوزَ رَجلٌ**، أي انحاز وصلى وحده[2] وقوله **بِنوَاضِحِنا**، النّاضـح الإبـل التـي يستَقي بها، وأراد إنّا أصحاب عمل وتعب فلا نستطيع تطويل الصلاة، وقوله: **يَا معَـاذُ أَفَتـان أَنْتَ**؟ أي منفر عن الدين وصاد عنه[3]. وهو الجانب الذي أبرزه النبي صلى ا عليه وسلم لمعاذ رضي ا عنه حين راجعه في فعله، وكان رضي ا عنه قد فكّر قريبا حين عزا الأمـر إلـى نفاق الرجل، ولم يكن يرى الأمر بهذا البعد الذي طرحه النبي صلى ا عليه وسلم عليه، وهـو التفكير في النتيجة المترتبة على فعله، من تنفير العباد وصـدهم عـن ديـنهم بعـدم مراعـاة مصالحهم، وبالتالي وقوعهم في الفتنة. وقد ذُكِر في بيان النص السابق أن النبي صلى ا عليـه وسلم يبرز في نقوده الجوانب التي من شأنها التأثير في المنقود، وبالتالي سرعة إقناعـه بعـدم صحة سلوكه، وتوليد رغبة ذاتية ودافع لديه لتبديل ذلك السلوك، مع المحافظة في كلّ ذلك على تقديره واحترامه لذاته بعدم النيل أو الانتقاص منها. وهو ما يحقق أكبر قـدر مـن الاسـتفادة والتغيير.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا(ص١٢٥٥/ح٦١٠٦)، ومسلم في الصلاة، باب: القراءة في العشاء(ص٢٢٠/ح٤٦٥)، وأبو داود في الصلاة، باب: في تخفيـف الصـلاة(ص١٥٥/ح٧٩٠)، والنسائي في الإمامة، باب: اختلاف نية الإمام والمأموم(ص١٣٠/ح٨٧٣)، وأحمد في المسند(ج٢٢/ص٢٠٩/ح١٤٣٠٧)، جميعهم من طريق عمرو بن دينار عن جابر رضي ا عنه.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٦٣٢)

(٣) النووي، المنهاج(ص٤٧١)

ومن الفوائد النقدية في هذا النص أن النبي صلى ا عليه وسلم أخبر معاذ بـن جبـل رضي ا عنه بالبديل الذي يمكنه به تعديل سلوكه، وتحسين موقفه، فحدد له اتجاهـا واضـحا يسير عليه حين وجهه قائلا: **(اقْرَأْ وَالشمس وَضحَاهَا وَسَبح اسمَ رَبكَ الأعلى وَنَحوَهَا)**. ويمثل تقديم البديل للمنقود عن محلّ النقد مرحلة مهمة من مراحل العملية النقديـة، يضـمن نجاحهـا وتحقيقها لأهم أهداف النقد وهو إحداث التغيير والإصلاح.

٤. ومن تلك النصوص أيضا ما ورد عن أبي ذر رضي ا عنه أنّه قال: **سابَبتُ رَجلاً فَعَيرتُه بِأُمهِ**، فَقَالَ لِي النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: (**يَا أَبَا ذَر أَعَيرتَه بِأُمهِ؟ إِنـكَ امـرؤٌ فِيـكَ جَاهِلِيةٌ، إِخْوَانُكُم خَوَلُكُم جَعَلَهم الله تَحتَ أَيدِيكُم، فَمَن كَانَ أَخُوه تَحتَ يَدِهِ فَلْيطْعِمه مِما يَأْكُـلُ، وَلْيلْبِسه مِما يَلْبَس، وَلَا تُكَلفُوهم مَا يَغْلِبهم، فَإِن كَلفْتُموهم فَأَعِينُوهم**)[١]

سابَبتُ رَجلًا فَعَيرتُه بِأُمهِ: فعيرته قيل هي تفسيرية كأنه بين أن التعييـر هـو السـب، والظاهر أنه وقع بينهما سباب وزاد عليه التعيير فتكون عاطفة؛ **وعيرته** أي نسبته إلى العار[٢]. **وإِنكَ امرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيةٌ**: التنوين في **امرؤٌ** للتقليل، **وفِيكَ جَاهِلِية** أي هذا التعيير وتنقيص الآبـاء والأمهات من أخلاق الجاهلية[٣]. **وخَـوَلُكُم**: الخَولُ حشَم الرجل وأتباعه، فهم الخَدم سموا بـذلك لأنهم يتخولون الأمور أي يصلحونها، وهو مأخوذ من التخويل: التمليك. وقوله: **فَلْيطْعِمه مِمـا يَأْكُلُ، وَلْيلْبِسه مِما يَلْبَس** أي من جنس ما يأكل ويلبس، للتبعيض الذي دلت عليه مِن، فـالمراد المواساة لا المساواة من كلّ جهة. **وَلَا تُكَلفُوهم مَا يَغْلِـبهم**: أي ما يعجـزون عنـه لعظمـه أو صعوبته[٤].

تبين سابقًا في الحديث حول المصطلحات ذات الصلة بمصطلح النقد، أن التعييـر مـن المصطلحات الهدمية التي ينهى الشّرع عنها، لما يقصد به النّيل من الآخر والحـطّ مـن شـأنه وكرامته وإلحاق الأذى والإهانة به؛ فهو نوع من النقود يحاول الناقد فيه إبراز عيـب المنقـود والطعن فيه من خلاله. وما صدر عن أبي ذر رضي ا عنه من هذا القبيل، يدلّ علـى ذلـك استفهام النبي صلى ا عليه وسلم له منكرا عليه صراحة تناولَ الرجل من جهة معايبه. فانتقـده على صدور ذلك عنه، مبرزا ما فيه من أمر الجاهلية.

---

(١) سبق تخريجه، راجع (ص٣٩)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١/ص١١٧)، (ج١٠/ص٥٧٣)

(٣) والنووي، المنهاج(ص١٢٦٩)

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٢١٨،٢١٩)، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٥٤١)

وقد زجره صلى ا عليه وسلم في النص مرتين، مرة حين أنكر عليه التعبير بصـيغة الاستفهام الإنكاري، والأخرى حين شبه سلوكه بأخلاق أهل الجاهلية؛ واللذين عاصروا الجاهلية ثم اعتنقوا الإسلام هم أكثر الناس دراية بالفارق الكبير الذي أحدثـه هـذا الـدين للنـاس فـي المجتمعات، إذ رفع عنهم جميع أشكال الذلّ والمهانة التي كانت تنتشر آنذاك، وأعزهم بقيم العدل والمساواة، وصان كرامة الفرد وإنسانيته، وبالتالي لم يكن سهلا على أبي ذر رضي ا عنه أن يشبه بأهل الجاهلية، ويكون النبي صلى ا عليه وسلم قد اختار المدخل المناسب في نقده والذي يحقق أكبر قدر من الردع والتعليم والدفع نحو التصحيح. وحسن اختيار المداخل والتعبيرات في النقد مما له أثر إيجابي أكثر ضمانًا في تصحيح محلّ النقد وتقويمه، من الأمور المهمة في نجاح العملية النقدية.

ولكنه صلى ا عليه وسلم لم يعمم صفة الجهل على شخص أبي ذر، فلـم يقـل **إنـك جاهلي**، وإنّما قال: **فِيكَ جَاهِلِيةٌ**، أي أنّك بهذا الفعل تحديدا شابهت أهل الجاهلية، ولست مـنهم. والفرق بينهما أن القول الأول يجعل من الجهل صفة عامة للشخص، بينما التعبير النّبوي خـص ما صدر عنه من التعبير بصفة الجهل ولم يعممها على شخصه، فالأول يتجاوز محـلّ النقـد، والتعبير النّبوي فيه تحديد له والتزام به. وفارق آخر بينهما في الأثر المترتب في كل منهما على نفسية المنقود، فالأول والذي هو بمثابة حكم عام على الشـخص، مـن شـأنه إثـارة مشـاعر الاستسلام والإحباط في نفس المنقود، وبالتالي تقلّ ثقته بقدرته على التغيير أو الرغبة فيه، بينما التعبير النّبوي يحمل دعوة وتحفيزا لإزالة ما علق في سلوكه من خلق الجاهلية أو ما تبقى منها في نفسه. والنقد على هذا الشكل من التحديد، وترك التجاوز والتعميم، أكثر موضوعية وإنصافًا للطرف المنقود، وأكثر حفظا لتقديره الذاتي واحترامه لشخصه.

وفيما يلي عرض سريع لمزيد من الأحاديث التي تضمنت أسلوب النقد بالاستفهام الإنكاري المتضمن معاني الزجر والتوبيخ والردع للجهة المنقودة، لإبراز أهمية هذا الأسلوب كأسلوب استخدمه النبي صلى ا عليه وسلم في مواقف نقدية معينة حملت حاجة لمثل هذا الأسلوب في التشديد. وإبراز دوره –الأسلوب- في التغيير والإصلاح.

٥. فعن جابِرِ بن عبدِ اللهِ رضِي الله عنْهما قالَ: كُنا فِي غَزاةٍ **فَكَسَعَ رَجلٌ مِن المهَاجِرِينَ رَجلًا مِن الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِي: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المهَاجِرِي: يَا لَلْمهَاجِرِينَ،** فَسمِع ذَلِك رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ: (**ما بَالُ دَعوَى الْجَاهِلِيةِ**)؟ قَالُوا: يا رسولَ اللهِ كَسع رجلٌ مِن الْمهاجِرِين رجلًا مِن الْأَنْصار. فَقَالَ: (**دَعوهَا فَإِنهَا منْتِنَةٌ**)[1]

فَكَسَعَ: أي ضرب دبره بيده[2]. **يَا لَلْأَنْصَارِ ويَا لَلْمهَاجِرِينَ**: للاستغاثة أي أغيثوني. **مَا بَالُ دَعوَى الْجَاهِلِيةِ**: تسميته ذلك دعوى الجاهلية كراهة منه لذلك، فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك، وفصل القضايا بالأحكام الشرعية. **دَعوهَا فَإِنهَا منْتِنَةٌ**: من النتَن أي كلمة قبيحة خبيثة[3].

وقوله صلى ا عليه وسلم: **مَا بَالُ دَعوَى الْجَاهِلِيةِ،** هو محلّ النقد الذي أنكره على المهاجرين والأنصار، حين حصل بينهما شجار فاستغاث كل منهما بعصبته وقبيلته**،** فتناول صلى ا عليه وسلم الأمر دون الخوض في تفاصيل ما دار بينهم، بل اختار أشد نواحي المشكلة خطرا عليهم ليكون أبلغ في ردعهم ووقف الخصومة بينهم، فأبان عن استحضار كلا الفريقين لأجواء الانحياز والتعصب القبلي الجاهلي، الذي تحاربه الشريعة وتحذّر منه، وما يمكن أن يجره عليهم من الفرقة والانقسام. كلّ هذه المعاني اختصرها صلى ا عليه وسلم بعبارة نقدية حكيمة أنكر عليهم فيها بالاستفهام حول دعوى الجاهلية: **مَا بَالُ دَعوَى الْجَاهِلِيةِ**.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: {سواء علَيهِم أَستَغْفَرتَ لَهم أَم لَم تَستَغْفِر لَهم لَن يغْفِر الله لَهم إِن الله لَا يهدِي الْقَوم الْفَاسِقِين}(ص١٠٤٠/ح٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة..، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما (ص١٢٨٦/ح٢٥٨٤)، والترمذي في تفسير القرآن، باب.(ص٣٥٤/ح٣٣٢٦)، وأحمد في المسند (ج٢٣/ص٣٨٨/ح١٥٢٢٣)، جميعهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر رضي ا عنه. ورد عند الترمذي قول سفيان بن عيينة:(يرون أنها غزوة بني المصطلق)

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٥٤٠)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٨/ص٨٣٨)، والنووي، المنهاج(ص١٨٤٦)

٦. وعن يعلى بن أُميةَ رضِي الله عنْه قَالَ: غَزوتُ مع النبِي صلى الله عليْهِ وسلم جيشَ الْعسرةِ، فَكَان مِن أَوثَق أَعمالِي فِي نَفْسِي، فَكَان لِي أَجِير فَقَاتَلَ إِنْسانًا **فَعَض أَحَدهمَا إِصبَعَ صَاحِبِهِ فَانْتَزَعَ إِصبَعَه، فَأَنْدَرَ ثَنِيتَه فَسَقَطَتْ**، فَانْطَلَقَ إِلَى النبِي صلى الله عليْهِ وسلم فَأَهدر ثَنِيتَه وقَالَ: (**أَفَيَدَع إِصبَعَه فِي فِيكَ تَقْضَمهَا.. كَمَا يَقْضَم الْفَحلُ**)؟[1]

ومن حديث عِمران بن حصينٍ قالَ رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلّم:(**مَا تَأْمرنِي؟ تَأْمرنِي أَن آمرَه أَن يَدَعَ يَدَه فِي فِيكَ تَقْضَمهَا كَمَا يَقْضَم الفَحلُ؟ ادفَع يَدَكَ حَتى يَعَضهَا ثُم انْتَزعهَا**)[2] وقال: (**أَردتَ أَن تَأْكُلَ لحمَه**)؟[3]

فَأَنْدَرَ: أسقَط، **وأَهدَرَ**: أي لم يجعل له دية ولا قصاصا، **وتَقْضَمهَا**: القضم الأكل بأطراف الأسنان، والفحل الذكر من الإبل وغيرها[4]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم **مَا تَأْمرنِي**.. ليس المراد أمره بدفع يده ليعضها، وإنّما معناه الإنكار عليه، أي إنّك لا تدع يدك في فيه يعضها، فكيف تنكر عليه أن ينتزع يده من فيك، وتطالبه بما جنى في جذبه؟[5]

أبرز النبي صلى الله عليه وسلم في نقده ما صدر عن الرجل بأسلوب الاستفهام الإنكاري، أمرين، أولهما: مدى سوء فعله حتى خرج به عن حدود إنسانيته، إذ شابه فعله –كما شبهه النبي صلى الله عليه وسلم- فِعلَ فحول الدواب في الشّراسة والتوحش، وثانيهما سوء تفكيره وسخْفُ مطالبته بالعِوض عن ثنيته التي كُسِرت حين انتزع خصمه يده من فِيهِ. وفيهما زجر شديد عن السماح للنفس بالخروج عن صفاتها وقدراتها البشرية التي ميزها الله عز وجل

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الإجارة، باب: الأجير في الغزو(ص٤٦١/ح٢٢٦٥)، ومسلم في القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: الصائل على نفس الإنسان أو عضوه..(ص٨٤٢/ح١٦٧٤)، وأبو داود في الديات، باب: في الرجل يقاتل الرجل فيدفعه عن نفسه(ص٨٥٧/ح٤٥٨٤)، والنسائي في القسامة، باب: ذكر الاختلاف على عطاء في هذا الحديث(ص٦٨٥/ح٤٧٧١)، وأحمد في المسند(ج٢٩/ص٤٨٢/ح١٧٩٦٦)، أربعتهم من طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى عن أبيه يعلى ابن أمية رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم في الكتاب والباب السابِقَين له(ص٨٤٢/ح١٦٧٣)، والنسائي في القسامة، باب: ذكر الاختلاف على عطاء في هذا الحديث(ص٦٨٤/ح٤٧٦٠)، كلاهما عن أحمد بن عثمان النّوفلي عن قريش بن أنس عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم بالتخريج السابق، والنسائي(ح٤٧٦١)، وأحمد في المسند(ج٣٣/ص٧٨/ح١٩٨٤٣)، ثلاثتهم من طريق قتادة بن دعامة عن زرارة بن أوفى عن عمران بن حصين رضي الله عنه. وعند النسائي وأحمد بلفظ:(**أردت أن تقضم لحم أخيك**).

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٤/ص٥٥٩، ٥٦٠)

(٥) النووي، النمهاج(ص١٢٨٤)

بها عن غيرها من الكائنات، وأهمها القدرة على التفاهم والتعايش مع الآخرين بعيدا عن شريعة الغابِ ومشابهة الدواب، وذلك بما حباها ا عز وجلّ من العقل والحكمة والتفكير.

٧. وعن عائِشَةَ رضِي الله عنْها قالَتْ: كان رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم يعتَكِفُ فِي كُل رمضانٍ، وإِذَا صلى الْغَداةَ دخَلَ مكانَه الذِي اعتَكَفَ فِيهِ. قالَ **فاستَأذَنَتْه عَائِشَةُ أن تعتَكِف فَأذِنَ لهَا، فضَرَبَتْ فِيهِ قُبةً، فَسَمِعَتْ بِهَا حَفْصَةُ فضَرَبَتْ قُبةً، وَسَمِعَتْ زَينَب بِهَا فضَرَبَتْ قُبةً أُخْرَى**. فلَما انْصرفَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم مِن الْغَداةِ أَبصر أَربع قِبابٍ فقَالَ:(**مَا هَذَا**)؟ فأُخْبِر خَبرهن، فقَالَ:(**مَا حَمَلَهن عَلى هَذَا آلبِر؟ انْزِعوهَا فلَا أَرَاهَا**) فَنُزِعتْ فلَم يعتَكِفْ فِي رمضان حتى اعتَكَفَ فِي آخِرِ الْعشْرِ مِن شَوالٍ[1]. وفي رواية قال: (**آلبِر أَرَدنَ بِهَذَا؟ مَا أَنَا بِمعتَكِفٍ**)[2]

آلبِر؟ بهمزة استفهام، أي الطاعة، وقوله: (**آلبِر أَرَدنَ بِهَذَا؟**) وفي رواية: (**آلبِر تُرَونَ بِهن؟**)[3] أي تظنون بهذا البر؟.

انتقد النبي صلى ا عليه وسلم فعل أزواجه في إقامة القِباب في المسجد للاعتكاف، مستنكرا أن يكون الدافع لهن على ذلك البر والطاعة كما هو مفْتَرض، وبالغ في إنكاره لذلك الفعل والردع عنه بأن ترك الاعتكاف في تلك الحادثة كما ورد في النص. وسبب الإنكار أنه خَشِي أن يكون الحامل لهن على ذلك المباهاة والتنافس الناشىء عن الغيرة حِرصا على القرب منه خاصة، فيخرج الاعتكاف عن موضوعه ويكن غير مخلصات فيه. ومن الأسباب المحتملة لإنكاره ما يمكن أن يفضي إليه الأمر من توارد بقية النسوة على ذلك فيضيق المسجد على

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف في شوال(ص٤١٩/ح٢٠٤١)، ومسلم مختصرا في الاعتكاف، باب: متى يدخل من أراد الاعتكاف معتكفه(ص٥٤٧/ح١١٧٣)، وأبو داود في الصوم، باب: الاعتكاف(ص٤٦٠/ح٢٤٦٤)، والنسائي في المساجد، باب: ضرب الخباء في المساجد(ص١١١/ح٧١١)، وابن ماجه في الصيام، باب: ما جاء فيمن يبتدئ الاعتكاف، وقضاء الاعتكاف(ص٤١٣/ح١٧٧١)، وأحمد في المسند(ج٤٣/ص٧٣/ح٢٥٨٩٧)، جميعهم بطرق عن يحيى بن سعيد بن قيس عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة رضي ا عنها.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الاعتكاف، باب: من أراد أن يعتكف ثم بدا له أن يخرج(ص٤٢٠/ح٢٠٤٥)، وأحمد في المسند (ج٤١/ص٩٢/ح٢٤٥٤٤)، كلاهما من طريق الأوزاعي بالإسناد السابق.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الاعتكاف، باب: اعتكاف النساء(ص٤١٧/ح٢٠٣٣)، من طريق حماد بن زيد بالإسناد السابق.

المصلين، كما أنّه باجتماع النسوة عنده يصير كالجالس في بيته، وربما شَغَلْنَه عن التخلي لما قصد من العبادة فيفوت مقصود الاعتكاف[١].

٨. وعن عبد ا بن عمرو بن العاص رضي ا عنهما قَالَ: خَرج رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم علَى أَصحابِهِ **وَهم يَخْتَصِمونَ فِي الْقَدَر، فَكَأَنمَا يفْقَأُ فِي وَجههِ حَب الرمان من الْغَضَب**، فَقَالَ: (**بِهَذَا أُمِرتُم أَو لِهَذَا خُلِقْتُم تَضرِبونَ الْقُرآنَ بَعضَه بِبَعض، بِهَذَا هَلَكَت الْأُمَم قَبلَكُم**)[٢]

وَهم يَخْتَصِمونَ فِي الْقَدَر: بالإثبات والنفي، وكأن كلا منهم كان يستدلّ بما يناسب مطلوبه من الآيات، ولذلك أنكر عليهم بقوله **تَضرِبونَ الْقُرآنَ بَعضَه بِبَعض**. وقوله: **فكأنما**..الخ، أي فغضب فاحمر وجهه من أجل الغضب احمرارا يشبه فقء حب الرمان في وجهه، أي يشبه الاحمرار الحاصل به، والفقء الشق؛ وقول النبي صلى ا عليه وسلم: **بِهَذَا أُمِرتُم أَو لِهَذَا خُلِقْتُم**.. أي هذا البحث في القدر والاختصام فيه، هل هو المقصود من خلقكم، أو هو الذي وقع التكليف به حتى اجترأتم عليه؟، يريد أنه ليس بشيء من الأمرين، فأي حاجة إليه؟[٣]

من الملاحظ أن المواقف النقدية التي تناول النبي صلى ا عليه وسلم الجهة المنقودة فيها بالزجر والتشديد في الملامة إنما كانت موضوعاتها على درجة من الأهمية والخطورة، وغالبا ما يتعدى الضرر الناتج عنها شخص المنقود إلى دائرة أوسع منه، وقد كان الحوار الذي دار في النص حول القدر واحد من تلك الموضوعات. وانتقد النبي صلى ا عليه وسلم فيه موضوع الحوار وطبيعتة أيضا، فالانشغال بمثل هذه القضايا عن القضية الأولى وهي العبادة وتعمير الأرض وفق شريعة ا تعالى، كان محلّ نقد النبي صلى ا عليه وسلم، وفي قوله: **تَضرِبونَ الْقُرآنَ بَعضَه بِبَعض** انتقاد آخر لطبيعة الحوار الذي آل إلى ضرب بعض الآيات ببعض، حين ذهب كل فريق يستدلّ على رأيه بنصوص من الكتاب فَبدتْ الآيات وكأن بينها تعارض واختلاف. ولذلك ظهر منه صلى ا عليه وسلم في نقده الغضب والإنكار الشديدين، ولما يحمله الخوض في مثل هذه الأمور وترك العمل الحقيقي الذي من أجله خُلقَت البشرية وشُرعت الأحكام من هلاكٍ للأمم والجماعات.

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٤/ص٣٤٨)، النووي، المنهاج(ص٨٨١)

(٢) سبق تخريجه، راجع (ص٦٥)

(٣) السندي، سنن ابن ماجة بحاشية السندي(ج١/ص٦٥)

٩. وعن عائِشَةَ رضِي الله عنْها قالت: **سَمِعَ رَسولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ صَـوتَ خُصومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصواتُهمَا، وَإِذَا أَحَدهمَا يَستَوضِع الْآخَرَ وَيَستَرفِقُه فِي شَيءٍ وَهوَ يَقُـولُ وَاللهِ لَا أَفْعَلُ**، فَخَرج عليهما رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فَقَالَ: **(أَينَ الْمتَأَلي عَلى اللـهِ لَـا يَفْعَلُ الْمَعروفَ)**؟ فَقَالَ: أَنَا يا رسولَ اللهِ ولَه أَي ذَلِك أَحب[1]

قوله: **يَستَوضِع الْآخَرَ وَيَستَرفِقُه**، أي يطلب منه أن يضع عنه بعض الدين، ويرفق بـه في الاستيفاء والمطالبة، وفي الحديث دليل على أنه لا بأس بمثله، ولكن بشرط أن لا ينتهي إلى الإلحاح، وإهانة النفس، أو الإيذاء، ونحو ذلك إلا من ضرورة[2]، **وأَينَ الْمتَـأَلي**: أي الحـالف المبالغ في اليمين، والألية: اليمين. **وَلَه أَي ذَلِكَ أَحَب**: أي من الوضع أو الرفق[3].

انتقد النبي صلى ا عليه وسلم تشدد الدائن وإصراره على ترك مسامحة المـدين فـي جزء من الدين، وعدم مراعاته بالتشديد عليه في المطالبة، حتى حلف با قائلا: **وَاللهِ لَا أَفْعَل**.

ولقد زجره صلى ا عليه وسلم في نقده، حينما أبرز له بعد موقفه المتشدد في الرفض، وأنّه إنّما يحلف ويبالغ في حلفه على ترك الخير وعمل المعروف، والتعامل بالرفق والرحمة مع أخيه المسلم.

ويعد نقده صلى ا عليه وسلم الدائن في النص من قبيل توجيه النقد فـي المسـتحبات، فأمر الوضع من الدين أو تأجيله على المدين، هو من جملة الخيـر والمعـروف الـذي تـدعو الشريعة إليه، وإن كانت في الوقت ذاته تؤكّد وتحثّ على أداء الديون، ومراعاة حقوق الدائنين، وهو إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مرونة هذا الدين وسعتِه؛ وقد كان مما يستحب من الـدائن في النص، مراعاة المدين والحطّ من دينه، طالما أنّه لم يكن مماطلا في استيفاء الدين، ولم يكن قاصِدا إلحاق الأذى بالدائن، كما يظهر من النص.

وقد ذكر سلمان العودة في حديثه حول النقد، بأن النّقد ينْساق مع الأحكام الفقهية الخمسة، وتجري عليه، فقد يكون النقد واجبا، مثل ما إذا تعين على الإنسان، خصوصا ممن يكـون مـن أهل العلم والمعرفة والفقه، ولا يمكن أن يقوم بهذا الأمر غيره فيكون واجبـا، ويترتّـب عليـه

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصلح، باب: هل يشير الإمام بالصلح(ص٥٦٤/ح٢٧٠٥)، ومسـلم فـي المسـاقاة، بـاب: استحباب الوضع من الدين(ص٧٧٢/ح١٥٥٧)، كلاهما عن إسماعيل بن عبد ا أبي أُويس عن أخيه عبد الحميـد عـن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد بن قيس عن محمد بن عبد الرحمن بن حارثة عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة رضي ا عنها.

(٢) النووي، المنهاج(ص١١٩٢)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٣٨٦)

المصلحة، وعلى تركه المفسدة، وقد يكون مستحبا، وقد يكون مباحا، وقد يكون محرما، مثل ما إذا كان يترتب عليه مفسدة، أو ما إذا كان القصد منه الإطاحة بالآخرين، أو ازدراؤهم، أو التشهير بهم، أو نشر عوراتهم أو ما أشبه ذلك[١].

وذكر ابن حجر من فوائد الحديث الحض على الرفق بالغريم والإحسان إليه بالوضع، والزجر عن الحلف على ترك فعل الخير. وفيه سرعة فهم الصحابة لمراد الشارع، وطواعيتهم لما يشير به، وحرصهم على فعل الخير[٢].

١٠. ومن النقد بالزجر والإنكار، ما روي عن عدِي بن حاتِمٍ رضي الله عنه، أَن رجلًا خَطَب عِنْد النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ: **مَن يطِع اللهَ وَرَسوله فَقَد رَشَدَ وَمَن يَعصِهمَا فَقَد غَوَى**، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**بِئْسَ الْخَطِيب أَنْتَ، قُلْ وَمَن يَعص اللهَ وَرَسوله فَقَد غَوِيَ**)[٣]

رشد: بكسر السين وفتحها، **وغَوَى**: من الغي وهو الانهماك في الشر. وذكر النووي قول العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أنكر علي الرجل بقوله: (**بِئْسَ الْخَطِيب أَنْتَ، قُلْ وَمَن يَعص اللهَ وَرَسوله فَقَد غَوِيَ**) لتشْريكه في الضمير المقتضي للتسوية، وأمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم اسمه. وصوب –النووي- أن يكون سبب النهي أن الخُطَب شأنها البسط والإيضاح، واجتناب الإشارات والرموز، إذ أن مثل هذا الضمير قد تكرر في الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثٌ من كُن فِيهِ ذَاقَ حلاوةَ الإيمان: أَن يكُون **اللهُ وَرَسولُه** أحب إليهِ مِما **سِوَاهمَا**..)[٥] قال ابن حجر: فيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية، أما قوله للذي خَطَب فقال ومن يعصِهما: (بئس الخطيب

(١) سلمان العودة، لماذا نخاف النقد؟

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٣٨٦)

(٣) سبق تخريجه، راجع(ص٦٧)

(٤) النووي، المنهاج(ص٦٩١،٦٩٢)

(٥) رواه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان(ص١٦/ح١٦)، ومسلم في الإيمان، باب: خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان(ص٤٦/ح٤٣)، والترمذي في الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة(ص٧٥٤/ح٢٦٣٣)، وأحمد في المسند(ج١٩/ص٦١/ح١٠٠٢)، أربعتهم من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن أيوب بن أبي تميمة السختياني عن أبي قلابة عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

أنت) فليس من هذا، لأن المراد في الخطب الإيضاح، وأما هنا فـالمراد الإيجـاز فـي اللفـظ ليحفَظ[1].

والحاصل أن النبي صلى ا عليه وسلم كشف للخطيب عن جانبٍ أساء فيه فـي أدائـه للخطبة، فأبان له عن ضعفه من جهة أسلوبه في الخطابة، بقوله: **بِئْسَ الْخَطِيـب أَنْـتَ،** وذلـك بصيغة الزجر والإنكار بئس وهي كلمة تستعمل في جميع المذام[2]، تنبيها على أهمية محلّ النقد وخطورته، إذ تعد الخطابة وسيلة من وسائل الدعوة إلى ا عز وجل ونشـر الـدين وتعليمـه للناس، ولا بد أن يكون الخطيب مؤهلا لمثل هذه المهمة. وهو ما اقتضى في النص زجر الرجل والإنكار عليه.

وانتقاده صلى ا عليه وسلم ما صدر عن الرجل بقوله أولا: **بِئْسَ الْخَطِيب أَنْـتَ** فيـه تحديد موضع النقد، وترك تجاوزه وتعميمه على شخص المنقود فلم يقل بـئس الرجـل أنـت، والتحديد مع ترك التجاوز والتعميم، من جملة الضوابط التي لا تتخلف في نقوده صلى ا عليه وسلم؛ وقوله ثانيا: (**قُلْ وَمَن يَعص اللهَ وَرَسوله فَقَد غَوِيَ**) فيه أن النبي صلى ا عليه وسـلم أعطاه اتجاه واضح للتحسن، حين اقترح عليه إجراءا يساعده على رفع وتنمية مهارة الخطابـة لديه. وتقديم البديل للمنقود من القواعد والضوابط المهمة التي تعمل على توضيح ما يريد ه الناقد وما يتوقعه من المنقود وهو جزء مهم من النقد، ومن آثاره إشاعة روح التعاون والمساعدة بـين الناقد والمنقود[3].

وهما – تحديد النقد، وتقديم البديل- أمران مهمان في العملية النقدية التـي يـرام بهـا التصحيح والإصلاح؛ فتحديد موضع النقد لا يدع مجالا لتجاوز محله والخروج عنـه. وتقـديم البديل يضمن نجاح العملية النقدية ويجنّب الفشل فيها. وبعبارة أخرى يمكن القول بأن نقده صلى ا عليه وسلم تضمن إبراز الخطأ وعرض المشكلة، مع طرح البديل وبيان الحلّ.

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٨٤)

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن(ص١٥٣)

(٣) راجع: هندري ويسنجر، قوة النقد البناء(ص٤٤)

١١. وعن عائِشَةَ رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخَلَ عليها وعِنْدها امرأةٌ، قالَ: (من هذِهِ؟) قالتْ فُلانَةُ تَذْكُر مِن صلاتِها، قالَ: (**مَه، عَليكُم بِمَا تُطِيقُون فَوَاللهِ لا يَمَل الله حَتى تَمَلوا، وَكَانَ أَحَب الدين إِليهِ مَادَامَ عَليهِ صَاحِبه**)[1].

وفي رواية أنها الْحولاء بِنْتَ تُويتٍ، وأن النبي اللهِ صلى الله عليهِ وسلم قال لما أخبرته عائشة أنها لا تَنَام الليلَ: (**لا تَنَام الليلَ! خُذُوا مِن العَمَل مَا تُطِيقُون فَوَاللهِ لا يَسأَم الله حَتى تَسأَموا**)[2]

تَذْكُر مِن صَلاتِهَا: أي يذكرون أن صلاتها كثيرة. وقوله **مَه**: أصل هذه الكلمة "ما هذا" كالإنكار فطرحوا بعض اللفظة فقالوا مه فصيروا الكلمة كلمتين؛ يقال مهمهته إذا زجرته. **وعَليكُم بِمَا تُطِيقُونَ** أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، **فَوَاللهِ لا يَمَل الله حَتى تَمَلوا**: الملال استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى[3]. وفي قوله **لا تَنَام الليلَ!** قال النووي: أراد النبي الإنكار عليها، وكراهة فعلها، وتشديدها على نفسها[4]. فانتقد صلى الله عليه وسلم تكلّفها من العمل ما يفوق طاقتها البشرية ومقدرتها على التحمل، بإبراز أمرين:

الأول: أن ذلك يؤدي بعد حين إلى وقوع نفسها في الملل واستثقالها من العمل، وبالتالي انقطاعها عنه حين تنهار مقدرتها على التحمل.

الثاني: ما أبرزه بقوله: **وَكَانَ أَحَب الدين إِليهِ مَادَامَ عَليهِ صَاحِبه**، من هديها إلى طريق المداومة على العمل بعدم تكلف التكثير منه على حساب وسعها وطاقتها البشرية، فأعطاها منهجا تسير عليه في شؤونها التعبدية من صلاة وصيام وغير ذلك.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله أدومه(ص٢٢/ح٤٣)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته..(ص٣٥٩/ح٧٨٥)، والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب: أحب الدين إلى الله عز وجل(ص٧١٩/ح٥٠٣٧)، وابن ماجه في الزهد، باب: المداومة على العمل(ص٩٦٤/ح٤٢٣٨)، وأحمد في المسند(ج٤٠/ص٢٩٠/ح٢٤٢٤٥)، خمستهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم في الكتاب والباب السابقين له، وأحمد في المسند(ج٤٣/ص٢٠٢/ح٢٦٠٩٥)، كلاهما عن ابن شهاب الزهري عن عروة ابن الزبير عن عائشة.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١/ص١٣٦،١٣٧)

(٤) النووي، المنهاج(ص٦٤٩)

١٢. وعن بريدةَ الأسلمي رضي ا عنه **أن رَجلًا نَشدَ فِي الْمَسجِدِ فَقالَ مَن دَعَا إلَـى الْجَمَلِ الْأحمَرِ،** فَقَالَ النبِي صلى الله عليِهِ وسلم: **(لَا وَجَدتَ، إنما بنِيَتْ الْمَسَاجِد لِمَا بنِيَتْ له)**[1].

وورد النهي عن نَشْدِ الضالة فِي المسجِدِ مِن حدِيثِ أَبِي هريرة رضِي ا عنْه قال: قال رسولُ ا صلى ا عليهِ وسلم: **(مَن سَمِعَ رَجلا يَنْشُد ضالةً فِي الْمَسجِدِ، فَلْيَقُلْ: لا رَدهَـا ا عَلَيكَ، فَإِن الْمَسَاجِدَ لَم تُبنَ لِهَذا)**[2]

نَشَدَ أي طلب برفع الصوت[3]. وقول النبي صلى ا عليه وسلم **لَا وَجَدتَ**: وفي الـنص الثاني أمر أن يقال مثل هذا، فهو عقوبة له على مخالفته وعصيانه، وقوله: **إنمَا بنِيَتْ الْمَسَـاجِد لِمَا بنِيَتْ له،** معناه لذكر ا تعالى، والصلاة والعلم، والمذاكرة في الخيـر ونحوهـا. وينبغـي لسامعه أن يقوله كما قاله الرسول صلى ا عليه وسلم[4]. قال السهارنفوري: لما ترك احتـرام المسجد ونَشَد فيه الضالة جوزي بالدعاء عليه بعدم وجدانها[5].

انتقد النبي صلى ا عليه وسلم في النص إنشاد الرجل دابته في المسجد، وشدد في نقده حتى دعا عليه بألا يجد دابته، ليكون ذلك أبلغ في نفسه، وأكثر ردعا له ولغيـره عـن تجـاوز حرمات المسجد والأغراض المقدسة التي من أجلها أُقِيم. فأبرز النبي صلى ا عليه وسلم فـي نقده أن المساجد إنّما أقيمت لأغراض معينة تتعلق بذكر ا تعالى وعبادته، ولم تُقَم للأغـراض الخاصة، ولو توسع الناس في ذلك لفقد المسجد حرمته ودوره في حياة المسلمين.

---

(١) رواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن نشد الضالة في المسجد..(ص٢٥٩/ح٥٦٩)، وابـن ماجه في المساجد والجماعات، باب: النهي عن إنشاد الضوالّ في المسجد(ص١٩٣/ح٧٦٥)، وأحمد فـي المسـند(ج٣٨/ ص١٥٦/ح٢٣٠٥١) ثلاثتهم من طريق علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بريدة الأسلمي به.

(٢) رواه مسلم في الكتاب والباب السابقين(ح٥٦٨)، وأبـو داود فـي الصـلاة، بـاب: كراهيـة إنشـاد الضـالة فـي المسجد(ص١٠١/ح٤٧٣)، وابن ماجه في الكتاب والباب السابقين(ح٧٦٧)، ثلاثتهم من طريق عبد ا بن وهب عن حيوة بن شُريح عن محمد بن عبد الرحمن الأسدي عن أبي عبد ا سالم بن عبد ا مولى شداد بن الهاد عن أبي هريرة رضي ا عنه.

(٣) السهارنفوري، بذل المجهود(ج٣/ص٣١٥)

(٤) النووي، المنهاج(ص٥٢٣)

(٥) السهارنفوري، بذل المجهود(ج٣/ص٣١٧)

١٣. وعن عبد اللهِ بن بسرٍ رضي ا عنه قال: **جَاءَ رَجلٌ يَتَخَطى رِقَابَ النـاس يَـومَ الْجمعَةِ وَالنبِي صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ يَخْطُب**، فَقَالَ لَه النبِي صلى الله علَيهِ وسلم:(**اجلِـس فَقَـد آذَيتَ**)[١] وفي رواية: **وآنيت**[٢]

آذَيتَ: أي الناس بتخطيك، والمعنى لا تتجاوزهم ولا تتخطّ رقابهم. **وآنيت**: أي أخـرت المجيء وأبطأتَ[٣].

كما أن تأخير بعض النقود عن وقتها لاختيار الوقـت المناسـب لطرحهـا أمـر مهـم وضروري ينبغي مراعاته في العملية النقدية، فإن تأجيل بعضها الآخر قد يفقد النقد قوة تـأثيره ومصداقيته. ولذلك نجد النبي صلى ا عليه وسلم في النص الشريف لا يترك الرجل يتخطـى الرقاب ويؤذي الناس، ثم يتناول فعله بالنقد والمراجعة، بل يشرع في نقده حال تلبسـه بالفعـل، ويزجره لتغييره على الفور أمام جميع الحاضرين.

ومن عواقب تأجيل النقد وعدم توجيهه مبكّرا، ازدياد فرصة استفحال محلّ النقد وتفاقمه، وبالتالي تعقّد إمكانية حلّه وتغييره، كما قد يؤدي تأجيل توجيهه إلى تَحامل الناقد على المنقـود، وبالتالي خروجه عن حد الاعتدال في النقد والمبالغة فيه.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: تخطي رقاب الناس يوم الجمعة(ص٢١٢/ح١١١٨)، والنسائي فـي الجمعـة، باب: النهي عـن تخطـي رقـاب النـاس والإمـام علـى المنبـر يـوم الجمعـة(ص٢١٦/ح١٤٠١)، وأحمـد فـي المسند(ج٢٩/ص٢٢١/ح١٧٦٧٤)، وابن حبان في صحيحه(ج٧/ص٢٩/ح٢٧٩٠)، والحاكم في المسـتدرك(ج١/ص٢٨٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وتابعه الـذهبي، ورواه الطبرانـي فـي الشـاميين(ج٣/ص١٤٠/ح١٩٥٣)، جميعهم من طريق معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية حدير بن كريب عن عبد ا بن بسر رضي ا عنـه. والحـديث **إسناده صحيح رجاله ثقات**.

(٢) رواه أحمد بالتخريج السابق له، وابن ماجه في كتاب: إقامة الصلاة والسنة، باب: ما جاء في النهي عن تخطي الناس يوم الجمعة(ص٢٦٧/ح١١١٥) من حديث جابر بن عبد ا رضي ا عنه. قال شعيب الأرناؤوط: لا بأس بإسـناده فـي الشواهد.

(٣) السندي، سنن ابن ماجه بشرح السندي(ج٢/ص٢٢)، وسنن النسائي بشرح السندي(ج٣/ص١١٤)، والسهارنفوري، بذل المجهود(ج٦/ص١٣٩)

١٤. وعن عبادِ بن شُرحبِيلَ رضي ا عنه قَالَ: **قَدِمتُ مَعَ عمومَتِي الْمَدِينَـةَ فَـدَخَلْتُ حَائِطًا مِن حِيطَانِهَا، فَفَرَكْتُ مِن سنْبلِهِ، فَجَاءَ صَاحِب الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَـائِي وَضَـرَبَنِي**، فَأَتَيـتُ رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم أَستَعدِي علَيهِ، فَأَرسلَ إِلَى الرجل فَجاءوا بِهِ، فَقَالَ: (**مَا حَمَلَـكَ علَى هَذَا**)؟ فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ إِنه دخَلَ حائِطِي فَأَخَذَ مِن سنْبلِهِ فَفَركَه، فَقَالَ رسولُ اللهِ صـلى الله علَيهِ وسلم: (**مَا عَلمته إِذْ كَانَ جَاهِلًا، وَلَا أَطْعَمته إِذْ كَانَ جَائِعا، اردد عَلَيهِ كِسَاءَه**)، وأَمـر لِي رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم بِوسقٍ أَو نِصفِ وسقٍ[1]

حَائِطًا أي بستانًا، **وفَرَكْتُ**: دلكته باليد لإخراج الحب منـه. وقـول الرجـل: **فَأَتَيـتُ.. أَستَعدِي عَلَيهِ**، أي أطلب منه أن ينتقم منه لي[2].

يوجه النبي صلى ا عليه وسلم في هذا النص النقاد إلى أمرين مهمـين فـي العمليـة النقدية، ينبغي لهم مراعاة كل منهما وأخذه بعين الاعتبار في التعامل مع المنقود، لتحقيق أكبـر قدر من الفائدة له، وهما: التقويم الصحيح للأمور، والمسامحة وترك التعنيف؛ فأخْذ الناس بمـا يصدر عنهم وتعنيفهم، لا يحدِث التغيير، ولا ينْتج عنه إصلاح الفرد، كما حصل فـي الـنص، فنجد النبي صلى ا عليه وسلم فيه كأنّه يقول لصاحب البستان، ما قدمت للمنقود أية فائدة حين أخذْته بفعلته، سوى أنك ألحقت الأذى به، وتركته خاليا من قضاء حاجتـه المعنويـة للتعلـيم، والجسدية للطعام.

ذكر أهل العلم في قوله صلى ا عليه وسلم: **مَا عَلمته إِذْ كَانَ جَاهِلًا، وَلَـا أَطْعَمتَـه إِذْ كَانَ جَائِعا**، أي إنه كان جاهلا جائعا، فاللائق بك تعليمه أولا بـأن لـه مـا سـقَطَ، وإطعامـه بالمسامحة عما أخَذَ ثانيا، وأنت ما فعلت شيئًا من ذلك. وفيه أنه صلى ا عليـه وسـلم عـذَره بالجهل حين حملَ الطعام، واعتذر عنه بأنه جاهل غريب وجائع، فينبغي تعليم مثله وإطعامـه، ولام صاحب الحائط إذ لم يطعمه إذ كان جائعا[3].

١٥. وعن زيدِ بن ثَابِتٍ رضِي الله عنْه قَالَ: احتَجر رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسـلم حجيرةً مخَصفَةً أَو حصِيرا، فَخَرج رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم يصلي فِيها فَتَتَبع إِلَيهِ رجالٌ وجاءوا يصلون بِصلَاتِهِ. ثُم جاءوا لَيلَةً فَحضروا وأَبطَأَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم عـنْهم فَلَم يخْرج إِلَيهِم، **فَرَفَعوا أَصوَاتَهم وَحَصَبوا الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيهِم مغْضَبا** فَقَالَ لَهـم رسـولُ اللـهِ

(١) سبق تخريجه، انظر(ص٦٦)

(٢) السندي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي(ج٨/ص٦٣١)

(٣) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٥/ص٩٣)، والسندي، سنن ابن ماجه بحاشية السندي(ج٣/ص٨٤).

صلى الله عليه وسلم: (**مَا زَالَ بِكُم صَنِيعكُم حَتى ظَنَنْتُ أَنه سَيكْتَب عَليكُم، فَعَليكُم بِالصلاةِ فِي بيوتِكُم فَإِن خَيرَ صَلاةِ الْمَرءِ فِي بَيتِهِ إِلا الصلاةَ الْمَكْتُوبَة**)[١]

احتجر حجيرة تصغير حجرة والمعنى: حوط موضعا من المسجد بحصير ليستره ليصلي فيه. **ومخَصفةً**: الخَصفُ هي الجلة الي يكْنَز فيها التمر، من الخَصفِ وهو ضم الشيء إلى الشيء[٢].

فَتَتَبعَ إِليهِ رِجَالٌ أصل التتبع الطلب، ومعناه هنا طلبوا موضعه واجتمعوا إليه. **وَحَصَبوا الْبَابَ** أي رموه بالحصباء، وهي الحصى الصغار، تنبيها له وظنوا أنه نَسِي[٣].

وقوله: **صَنِيعكُم**، ليس المراد صلاتهم فقط بل كونهم رفعوا أصواتهم ليخرج إليهم، وحصب بعضهم الباب لظنهم أنّه نائم قال ابن حجر: الظاهر أن غضبه لكونهم اجتمعوا بغير أمره فلم يكتفوا بالإشارة منه لكونه لم يخرج عليهم بل بالغوا فحصبوا بابه وتتبعوه. ويفهم من الحديث إنكاره صلى ا عليه وسلم ما صنعوا من تكلف ما لم يأذن لهم فيه من التجمع في المسجد في صلاة الليل[٤].

الغضب علامة من العلامات الجسدية الدالة على وقوع ما ينْتَقَد، يحمل الاعتراض والرفض الشديدين لمحلّه، والزجر عنه؛ وفي الحديث انتقد النبي صلى ا عليه وسلم غاضبا، تكلف أولئك الرهط ما لم ينزل به النص أو تطلبه الشريعة، مبرزا لهم أن مثل هذا السلوك قد يكون سببا في وجوب الأمر عليهم كما أشار النص، وهو ما قد يشق عليهم ولا يستطيعون التزامه. ثم وجههم بشأن الصلاة غير المكتوبة، بأن أداءها في البيوت خير لأصحابها؛ فقد كانوا رضوان ا عليهم يرجون الخير، ويتحرونه في أعمالهم وسلوكياتهم.

كما أن أولئك الرهط آذوا الرسول صلى ا عليه وسلم حينما رموا بيته بالحجارة تنبيها له، وهو أمر تغاضى النّبي صلى ا عليه وسلم عنه حينما وجه نقده إليهم، وهو ما يؤكّد مرات ومرات على أن الانتصار للنفس لم يكن هدفًا للنبي صلى ا عليه وسلم، كما هو هدف الأغلبية

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر ا (ص١٢٥٦/ح٦١١٣)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد(ص٣٥٧/ح٧٨١)، وأبو داود في الصلاة، باب: في فضل التطوع في البيت(ص٢٧٢/ح١٤٤٧)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار، باب: الحث على الصلاة في البيوت والفضل في ذلك(ص٢٤٨/ح١٦٠١)، وأحمد في المسند(ج٣٥/ص٤٩٧/ح٢١٦٣٢)، جميعهم من طريق سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد ا ، عن بسر بن سعيد عن زيد بن ثابت رضي ا عنه. وزاد أبو داود والنسائي (**أنهم تنحنحوا ليخرج إليهم**).

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٤٩٦)

(٣) النووي، المنهاج(ص٦٤٧)

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص٢٧٤)، (ج١٠/ص٦٣٥)، (ج١٣/ص٣٣٤)

العظمى من الناس، وإنّما كان تركيزه على تصحيح عقائد الناس وسلوكياتهم، وإقامة الدين الصحيح في نفوسهم.

١٦. وعن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه أَن رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم قَالَ: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ**)[١]. وفي رواية قال صلى الله عليهِ وسلم: (**لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا..**)[٢]

فَيُحْطَبَ: معناه يكسر ليسهل اشتعال النار به، ويحتمل أن يكون أطلق عليه ذلك قبل أن يتصف به تجوزا بمعنى أنّه سيتصف به. **وَأُحَرِّقَ** بالتشديد إذا بالغ في تحريقه[٣].

وقوله: **أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ**، آتيهم من خلفهم، أو أخالف ما أظهرت من إقامة الصلاة، وأرجع إليهم فآخذهم على غفلة، أو يكون بمعنى: أتخلف عن الصلاة بمعاقبتهم. **وَمِرْمَاتَيْنِ**، الْمِرماة: ظِلْفُ الشاه، وقيل ما بين ظِلْفَيها، وقيل المرماة بالكسر: السهم الصغير الذي يتَعلم بـه الرمي، وهو أحقر السهام وأدناها، أي لو دعِي إلى أن يعطى سهمين من هذه السهام لأسرع الإجابة[٤]. والمقصود أن أحد هؤلاء المتخلفين عن الجماعة لو عِلم أنّه يدرك الشيء الحقير من متاع الدنيا لبادر إلى حضور الجماعة لأجله، إيثارا للدنيا على ما أعده الله تعالى من الثواب على حضور الجماعة[٥].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأذان، باب: وجوب صلاة العشاء(ص١٤٢/ح٦٤٤)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد فيها(ص٢٩٧/ح٦٥١)، ورواه النسائي في الإمامة، باب: التشديد في التخلف عن الجماعة(ص١٣٢/ح٨٥٠)، ومالك في الموطأ، كتاب صلاة الجماعة، باب: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ(ص٨٢/ح٣)، وأحمد في المسند(ج١٢/ص٢٨١/ح٧٣٢٨)، جميعهم من طريق أبي الزناد عبد الله بن ذكوان عن الأعرج عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأذان، باب: فضل العشاء في الجماعة(ص١٤٤/ح٦٥٧)، ومسلم بالتخريج السابق له، وابن ماجه في المساجد والجماعات، باب: صلاة العشاء والفجر في جماعة(ص٢٠٠/ح٧٩٧)، وأحمد في المسند(ج١٦/ص٥١٠/ح١٠٨٧٧)، جميعهم من طريق الأعمش سليمان بن مهران عن أبي صالح ذكوان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص١٦٤)

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/ص٥٢٤،٦٩٦)

(٥) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص١٦٤)، والسندي، سنن النسائي بشرح السندي(ج٢/ص٤٤٣).

بعض الأمور لأهميتها، ومكانتها، وخطورتها، تتطلب تناولا بالنقد الزاجر زجرا شديدا، مع التهديد والوعيد، كما في الأمر الذي يبرزه النص، إذ يكون هذا الأسلوب في تناولها بالنقـد متناسبا مع طبيعة الجهة المنقودة ، ومحلّ النقد. والجهة المنقودة كما تشير الرواية الثانية كانـت من المنافقين، وهؤلاء كانوا يمثلون خطرا كبيرا على المجتمع الإسلامي، إذ كانـت سـلوكياتهم وأفعالهم تضرب في قلب المجتمع المسلم، ومنها محلّ النقد وهو تركهم حضور الجماعات فـي صلاتي الفجر والعشاء مع النبي صلى ا عليه وسلم.

١٧. وعن أبي مسعودٍ الْبدري عقبة بن عمرو بن ثعلبة رضي ا عنـه، قـال: **كُنْـتُ أَضرب غُلَاما لِي بِالسوطِ، فَسَمِعتُ صَوتًا مِن خَلْفِي، (اعلَم أَبَا مَسعودٍ)، فَلَم أَفْهَم الصوتَ مِـن الْغَضَبِ**، قَالَ: فَلَما دنَا مِني إِذَا هو رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم، فَإِذَا هو يقُولُ: **(اعلَـم أَبَـا مَسعودٍ، اعلَم أَبَا مَسعودٍ)**، قَالَ: فَأَلْقَيتُ السوطَ مِن يدِي، فَقَالَ: **(اعلَم أَبَا مَسعودٍ، أَن اللهَ أَقْـدَر علَيكَ مِنْكَ علَى هَذَا الْغُلَامِ)** قَالَ فَقُلْتُ: **لَا أَضرب مَملُوكًا بعدَه أَبدا**[1]

غُلَاما لِي: أي مملوكًا، وقول النبي صلى ا عليه وسلم: **اعلَم أَبَا مَسعودٍ** بصيغة الأمر أي تنبه واعرف.. **أَقْدَر علَيكَ مِنْكَ علَى هَذَا الْغُلَامِ**: الذي تضرب به، أي أقدر عليك بالعقوبة مـن قدرتك على ضربه، لكنه يحلم إذا غضب، وأنت لا تقدر على الحلم إذا غضبت[2].

انتقد النبي صلى ا عليه وسلم في النص ضرب أبي مسعود البدري لمملوكه، بـإبراز محدودية قدرته مهما بلغت أمام قدرة ا تعالى العظمى والمطلقة، ورغم ذلك فهو يحلـم علـى عباده ويمهلهم ولا يعجل لهم العقاب -كما ذكر المناوي-، وفي هذا التذكير بـالأمرين -القـدرة المطلقة، والحلم- زجر شديد لأبي مسعود عن فعله مع مملوكه.

وقال النووي: من فوائد الحديث الرفق بالمملوك، والوعظ، والتنبيه على استعمال العفو، وكظم الغيظ، والحكم كما يحكم ا على عباده[3].

---

(١) رواه مسلم في كتاب: الأيمان، باب: صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده(ص٨٣٠/ح١٦٥٩)، وأبو داود فـي الأدب، باب: في حق المملـوك(ص٩٦٢/ح٥١٥٩)، والترمـذي فـي البـر والصـلة، بـاب: النهـي عـن ضـرب الخـدام وشتمهم(ص٥٧٧/ح١٩٥٥)، وأحمد في المسند(ج٢٨/ص٣١٦/ح١٧٠٨٧)، أربعتهم بطرق عن الأعمـش عـن إبـراهيم التيمي عن أبيه عن أبي مسعود. زاد أبو داود: **(فقلت يا رسول ا هو حر لوجه ا تعالى، فقال: أما إنك لـو لـم تفعـل للفحتك النار أو لمستك النار)**

(٢) المناوي، فيض القدير(ج٢/ص١٢)، وانظر: السهارنفوري، بذل المجهود(ج٢٠/ص٩٧)

(٣) النووي، المنهاج(ص١٢٦٨)

الفرع الثاني: نقد غير المسلمين المباشر بالزجر:

لم يكن النبي صلى ا عليه وسلم مكثرا من نقد غير المسلمين من اليهـود والنّصـارى والمشركين، رغم أن المجال لانتقادهم كان واسعا، فعقائدهم وممارساتهم وطرائق معاشهم، كلها أمور كانت تحمل الكثير مما يمكن انتقاده، إلا أن النبي صلى ا عليه وسلم تناول منها بالانتقاد تلك التي كانت تعني المسلمين بالدرجة الأولى، وكان الهدف من تناولها الكشف عـن حقيقتهـا، والتحذير منها، والأمر باجتنابها، أو الحد من انتشارها في قلب المجتمع المسلم.

ثم إن المسلمين مأمورون في الشرع بالدعوة إلى ا عز وجلّ، وتحريـر النـاس مـن العبودية لغيره تعالى، والتعامل مع غيرهم من الأمم التي لا تَدين بديانة الإسلام على أسسٍ مـن الإنسانية والخلق والمعاملة الحسنَة، لكنهم غير مـأمورين بمتابعـة وتقـويم سـلوكيات تلـك المجتمعات، إلا ما وفَد منها إلى المجتمعات الإسلامية، وما اقتضت الحاجة والظروف لمتابعتـه وتقويمه. ومن ذلك:

١. ما روي عن جابِرِ بن عبدِ اللهِ رضِي الله عنْهما أَنه سمِع رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم يقُولُ عام الْفَتْحِ وهو بِمكةَ: (إِن الله ورسولَه حرم بيع الْخَمرِ والْميتَةِ والْخِنْزِيرِ والْأَصـنَامِ) فَقِيلَ: **يا رَسولَ اللهِ أَرأَيتَ شُحومَ الْميتَةِ، فَإِنها يطْلَى بِها السفُن، ويدهَن بِها الْجلُود، ويستَصبِح بِها الناس**؟ فَقَالَ: (لَا هو حرام)، ثُم قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم عِنْد ذَلِك: (**قَاتَلَ اللـه الْيهودَ، إِن اللهَ لما حَرمَ شُحومَهَا جَمَلُوه، ثُم بَاعوه فَأَكَلُوا ثَمَنَه**)[١]

قوله صلى ا عليه وسلم: **ويستَصبِح بِها الناس**، أي يجعلونها في سرجهم ومصابيحهم يستضيئون بها. **وجَمَلُوه**: أي أذابوه، من أجملَ الشحم، أذابه واستخرج دهنه، وبذلك يزول عنـه اسم الشحم، وفي هذا إبطال كل حيلة يتَوصل بها إلى محرم[٢].

(١) **(متفق عليه)** رواه البخاري في كتاب: البيوع، باب: بيع الميتة والأصنام(ص٤٥٥/ح٢٢٣٦)، ومسلم فـي المسـاقاة، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام(ص٧٨٣/ح١٥٨١)، وأبو داود في البيوع، باب: في ثمن الخمـرة والميتة(ص٦٥٨/ح٣٤٨٦)، والترمذي في البيوع ، باب: في بيع جلود الميتة والأصنام(ص٣٩٧/ح١٣٠١)، والنسائي في الفَرع والعتيرة، باب: النهي عن الانتفاع بشحوم الميتة(ص٦١٨/ح٤٢٥٨)، وابن ماجه في التجارات، باب: ما لا يحل بيعه(ص٥٠٣/ح٢١٦٧)، وأحمد في المسند(ج٢٢/ص٣٦٠/ح١٤٤٧٢)، جميعهم من طريق الليث بن سعد عـن يزيد بن ابي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد ا رضي ا عنه.

(٢) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٦/ص٣٤٣)، والسندي، سنن ابن ماجه بشرح السندي(ج٣/ص٢٢)

وقوله صلى ا عليه وسلم: **لَا هوَ حَرَام**، البيع أو الانتفاع على اختلافٍ بـين العلمـاء؛ والسياق مشعر بأن ما يحرم البيع لا الانتفاع[1].

الأمر الذي تناوله النبي صلى ا عليه وسلم بالنقد في النّص هو فعل اليهود في تحايلهم على الحكم الوارد في تحريم الميتة، وتطاولهم بذلك على أحكام ا تعالى والعبثِ بها، ومناسبة تناوله لهذا الأمر بالنقد استفسار بعض الصحابة رضوان ا عليهم حول المسألة ذاتها التي وقع اليهود فيها، فشدد صلى ا عليه وسلم نقده لليهود حتى دعا عليهم بـالهلاك، تحـذيرا لأمتـه، وتوجيها لها لئلا تتبع طريقة اليهود والنصارى في التعاطي مع الأحكام.

٢. وعن عائِشَةَ رضِي الله عنْها أَن أُم حبِيبةَ وأُم سلَمةَ ذَكَرتَا كَنِيسةً رأَينَها بِالْحبشَةِ فِيها تَصاوِير، فَذَكَرتَا للنبِي صلى الله علَيهِ وسلم. فَقَالَ: **(إِن أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِم الرجلُ الصالِح فَمَاتَ بَنَوا عَلَى قَبرِهِ مَسجِدا وَصَوروا فِيهِ تِلْكَ الصوَرَ، أُولَئِكَ شِرَار الْخَلْق عِنْدَ اللهِ يَومَ الْقِيَامَةِ)**[2]

قوله صلى ا عليه وسلم: **وَصَوروا فِيهِ تِلْكَ الصوَرَ**: قال ابن حجر: إنمـا فعـل ذلـك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبـدون هـذه الصـور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي صلى ا عليه وسلم عن مثل ذلك، سدا للذريعة المؤديـة إلـى ذلك[3].

فجاء نقده صلى ا عليه وسلم لفعل النّصارى على سبيل تحذير المؤمنين كما ذكر ابـن حجر، لئلا يقعوا بعد غياب النبي صلى ا عليه وسلم، فيما وقع فيه أهـل الأديـان الأخـرى. وأبرز النبي صلى ا عليه وسلم في تناوله لفعلهم حال تلك الفئة يوم القيامة، وأنّهم شِرار الخلق عند ا تعالى في ذلك اليوم، زيادة في تنفيرهم من الأمر، التحذير والردع عنه.

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٤/ص٥٣٥)

(٢) رواه البخاري في كتاب: المناقب، باب: هجرة الحبشة(ص٨٠٦/ح٣٨٧٣)، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضـع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور..(ص٢٤٤/ح٥٢٨)، والنسائي في المساجد، باب: النهـي عـن اتخـاذ القبور مساجد(ص١١٠/ح٧٠٦)، وأحمد في المسند(ج٤٠/ص٢٩٦/ح٢٤٢٥٢)، جميعهم من طريق يحيى بن سـعيد بـن فروخ عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي ا عنها.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٦٩١)

٣. وعن عائِشَةَ وعبد اللهِ بن عباسٍ رضي ا عنهما قالا: لما نَزلَ بِرسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم طَفِقَ يطْرح خَمِيصةً له على وجهِهِ، فإذا اغْتَم بِها كشَفَها عن وجهِهِ، فقَالَ وهو كذَلِك: (**لعنَةُ اللهِ عَلى اليَهودِ وَالنصَارَى، اتخَذُوا قُبورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ**) يحذر ما صنَعوا[1]

خَمِيصَةً: كساء له أعلام[2]. **ولما نَزَلَ بِرَسول اللهِ**، يعني الموت. **فقَالَ وَهوَ كَذَلِكَ: لعنَةُ اللهِ عَلى اليَهودِ وَالنصَارَى**..قال ابن حجر: وكأنه صلى ا عليه وسلم لما علم أنه مرتَحِلٌ من ذلك المرض، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصاري إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم، وزجرا عن اتخاذ القبور مساجد[3].

وبناء على كلام ابن حجر تكون مناسبة تناوله صلى ا عليه وسلم فعل اليهود والنّصارى بالنقد، قرب أجله، وخشيته على الأمة من سلوك مسالك من سبقوا من الأمم من اليهود والنصارى في تعظيم قبور أنبيائهم، فبدأ نقده بالدعاء عليهم باللعن تشديدا في الزجر والتحذير، ثم بين ما استحقوا عليه اللعن.

٤. وعن ابن عباسٍ رضِي الله عنْهما قَالَ: إِن رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم لما قَدِم أَبى أَن يدخُلَ الْبيتَ وفِيهِ الْآلِهةُ، فَأمر بِها فَأُخْرِجتْ، **فَأَخْرَجوا صورَةَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ فِي أَيدِيهِمَا الأَزلام**. فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: (**قَاتَلَهم الله، أَمَا وَاللهِ لقَد عَلِموا أَنهمَا لم يَستَقْسِمَا بِهَا قَط**). فَدخَلَ الْبيتَ فَكَبر فِي نَواحِيهِ ولَم يصل فِيهِ[4]

قوله **الأَزلام**: الزلم واحد **الأزلام**، قال ابن الأثير: كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرا أو تزويجا أو نحو ذلك من المهام ضرب بالأزلام وهي القِداح، وكان على بعضها مكتوب: (**أَمَرَني رَبي**)، وعلى الآخر: (**نَهَاني رَبي**)، وعلى الآخر: (**غُفْل**)، فإن خرج أمرني مضى لشأنه، وإن خرج نهاني أمسك، وإن خَرج الغُفْل عاد فأجالها وضرب بها أخرى إلى أن يخرج الأمر أو النهي. **ولم يَستَقْسِمَا**: الاستقسام طَلَب القِسم الذي قُسِم له وقُدر، مما لم يقْسم ولم يقَدر[5]

(١) سبق تخريجه، راجع(ص٦٨)

(٢) النووي، المنهاج(ص٥٠٢)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٧٠٠)

(٤) رواه البخاري في كتاب: الحج، باب: من كبر في نواحي الكعبة(ص٣٣٣/ح١٦٠١)، وأبو داود في المناسك، باب: الصلاة في الكعبة(ص٣٧٥/ح٢٠٢٧)، وأحمد في المسند(ج٥/ص٤١٦/ح٣٤٥٥)، ثلاثتهم من طريق أيوب بن أبي تميمة كيسان عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي ا عنهما.

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٤٥٥)

وقاتلهم الله: أي أهلكهم. وقوله: **وَاللهِ لقَد عَلِموا**.. أي كفار قريش، كانوا يعلمون اسم أول من أحدث الاستقسام بها وهو عمرو بن لحي، وكانت نسبتهم إلى إبراهيم وولده الاستقسام بها افتراءً عليهما لتقدمهما على عمرو[1].

استهلّ النبي صلى الله عليه وسلم نقدهم بالدعاء عليهم بالقتل والهلاك، لعِظَم ما نَسبوه للأنبياء وافتروه عليهم في ادعاء فعل الاستقسام لهم، مما يطعن في الإيمان والعقيدة. فكان الشأن في الأمر أن يتَناولَ بشدة وزجر من ناحية افترائهم على أنبياء الله تعالى فعل ما هو مخالف للإيمان، وتحذيرا للمؤمنين من الوقوع في مثله، ومن التعاطي مع موضوع القضاء والقدر بمثل تعاطيهم.

(١) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص٥٩٩)، والعظيم أبادي، عون المعبود(ج٤/ص١٢٨)

المطلب الثاني: النقد المباشر بلا زجر

يأتي أساليبه صلى ا عليه وسلم في هذا المطلب على خلاف أساليبه في المطلب السابق، الذي عرض لنقود جمعها تناول النبي صلى ا عليه وسلم لها بأسلوب الزجر والتوبيخ المباشرين. أما في المطلب الذي بين أيدينا فيعالج النبي صلى ا عليه وسلم المواقف النّقدية فيها بأساليب بعيدة عن معاني الزجر والتوبيخ.

الفرع الأول: نقد المسلمين المباشر بلا زجر:

١. عن معاويةَ بن الحَكَمِ السلمي رضي ا عنه قالَ: **بَينَا أَنَا أُصَلي مَعَ رَسول اللهِ صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ إذْ عَطَسَ رَجلٌ مِن القَومِ**، فَقُلْتُ: **يَرحَمكَ الله. فَرَمَانِي القَوم بِأَبصَارِهِم**، فَقُلْتُ: **وَا ثُكْلَ أُميَاه، مَا شَأْنُكُم تَنْظُرونَ إلَي؟ فَجَعَلُوا يَضربونَ بِأَيدِيهم عَلى أَفْخَاذِهِم**، فَلما رأَيتُهم يصمتُونَنِي لَكِني سكت. فَلما صلى رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم، **فَبِأَبِي هوَ وَأُمي مَا رَأَيتُ مُعَلما قَبله وَلا بَعدَه أَحسَنَ تَعلِيما مِنه، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي**، قالَ: (**إن هَذِهِ الصلاةَ لا يَصلُح فِيهَا شَيء مِن كَلامِ الناس، إنمَا هوَ التسبِيح وَالتكْبِير وَقِرَاءَةُ القُرآن**)[١]

قوله: **فَرَمَانِي القَوم بِأَبصَارِهِم** معناه أشاروا إلي بأعينهم من غير كلام، ونظروا إلي نَظَر زجر كيلا أتكلم في الصلاة. **وَا ثُكْلَ أُميَاه**: هو فقدان المرأة ولدها. **وَمَا شَأْنُكُم تَنْظُرونَ إلَي**: نظر الغضب. وقوله: **فَجَعَلُوا يَضربونَ بِأَيدِيهم عَلى أَفْخَاذِهِم**، فعلوه ليسكتوه، وهذا محمول على أنه كان قبل أن يشرع التسبيح لمن نابه شيء في صلاته. **فَلما رَأَيتُهم يصمتُونَنِي لَكِني سَكَت**: أي غضبت وتغيرت لكني لم أعمل بمقتضى الغضب. **وَمَا كَهَرَنِي** أي ما انتهرني، **وَلا شَتَمَنِي**: أراد نفي أنواع الزجر والعنف وإثبات كمال الإحسان واللطف[٢].

---

(١) رواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته(ص٢٤٨/ح٥٣٧)، وأبو داود في الصلاة، باب: تشميت العاطس في الصلاة(ص١٧٨/ح٩٣٠)، والنسائي في السهو، باب: الكلام في الصلاة(ص١٨٧/ح١٢٢٠)، وأحمد في المسند(ج٣٩/ص١٧٥/ح٢٣٧٦٢)، والدارمي في الصلاة، باب: النهي عن الكلام في الصلاة(ص٤٢٩/ح١٥٠٩)، جميعهم من طريق يحيى بن أبي كثيرعن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي به.

(٢) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٢/ص٢٩٧)

قال النووي: في الحديث رِفْقُه صلى ا عليه وسلم بالجاهل، وحسـن تعليمـه، واللطـف بـه، وتقريب الصواب إلى فهمه[١].

جاء أسلوب النبي صلى ا عليه وسلم في النص مختلفا تماما عن أسلوب مـن حضـر الصلاة ممن حاولوا تغيير سلوك الرجل وردعه وهم متلبسين في صلاتهم، فلا هو فهم مرادهم، ولا هم حقّقوا تغييرا في سلوكه؛ كما جاء أسلوبه صلى ا عليه وسلم أيضا مختلفًا عن توقعـات الرجل، حين قال: **فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي،** وكأن الذي توقّعه من ردة الفعـل على موقفه الزجر والانتهار والتوبيخ، ولكن النبي صلى ا عليه وسلم أخذه بـالرفق والرحمـة واللين، عاذرا جهله، وآخذا بحسن نيته فيما فعل.

وعدم الاستعجال في أخْذ المنقود بما يصدر عنه أمر مهم، يزيد من تقبله النقد، ومقدرته على تغيير سلوكه.

٢. وعن أَبِي هريرةَ رضِي الله عنْه أَن رجلًا دخَلَ الْمسجِد ورسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم جالِس فِي نَاحِيةِ الْمسجِدِ، فَصلى ثُم جاء فَسلم علَيهِ، فَقَالَ له رسولُ اللهِ صلى الله علَيـهِ وسلم: (**وَعَلَيكَ السلَام، ارجِع فَصَل فَإِنكَ لَم تُصَل**) فَرجع فَصلى، ثُم جاء فَسلم فَقَـالَ: (**وَعَلَيـكَ السلَام فَارجِع فَصَل فَإِنكَ لَم تُصَل**) فَقَالَ فِي الثانِيةِ أَو فِي التِي بعدها: **عَلمنِي يَا رَسـولَ اللـهِ،** فَقَالَ: (**إِذَا قُمتَ إِلى الصلَاةِ فَأَسبِغْ الْوضوءَ، ثُم استَقْبِلْ الْقِبلَةَ فَكَبر، ثُم اقْرأْ بِمَا تَيسرَ مَعَكَ مِـن الْقُرآن، ثُم اركَع حَتى تَطْمَئِن رَاكِعا، ثُم ارفَع حَتى تَستَوِيَ قَائِما، ثُم اسجد حَتى تَطْمَئِن سَاجِدا، ثُم ارفَع حَتى تَطْمَئِن جَالِسا، ثُم اسجد حَتى تَطْمَئِن سَاجِدا، ثُم ارفَع حَتى تَطْمَئِن جَالِسا، ثُم افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلها**)[٢]

قوله صلى ا عليه وسلم: **فَارجِع فَصَل فَإِنكَ لَم تُصَل**: أي صلاة كاملة صحيحة، فالنفي في قوله نفي لكمال الصلاة[٣]. ويدفع النبي صلى ا عليه وسلم في الـنص الكـريم الشـخص المنقود للمشاركة في عملية النقد، إذ يعطيه دورا في الكشف عن موضع الخلـل فـي صـلاته، ويحفّزه لتعديله، للوصول بصلاته نحو الصحة المطلوبة شرعا، وهو بذلك يحجب هديه وتعليماته عن الرجل فترة، حتى يتسنّى له مراجعة سلوكه بنفسه والحكم عليه ومن ثم تعديله كمـا ذُكِـر،

(١) النووي، المنهاج(ص٥٠٦)
(٢) سبق تخريجه، راجع(ص٦٥)
(٣) السهارنفوري، بذل المجهود(ج٥/ص١١٨)

وهو أسلوب بنّاء للغاية، وأهم ما يبنيه ترسيخ احترام المنقود لذاته وتعزيز ثقته بإمكانياته وقدرته على التغيير. كما يبني قبولا في نفسه للنقد حين يكون مشاركًا فيه، فينظر له على أنّـه وسـيلة يستطيع بها تحقيق الخير والصلاح لذاته، لا أنّه انتقاص من شأنه أو إظهار لأخطائه ومعايبـه، وبالتالي يوجه تركيز المنقود نحو تبنّي موقفًا إصلاحيا لذاته لا دفاعيا عنها. وهو ما حقّقه النبـي صلى ا عليه وسلم حين طلب الرجل إليه بعد أن أخفق في محاولات تعديل صلاته وتقويمهـا، أن يدلّه على الصواب قائلا: **عَلمِني يَا رَسولَ اللهِ**. ذكر السهارنفوري من الأسـباب المحتملـة لسكوته صلى ا عليه وسلم عن تعليم الرجل أولا، أنّه أراد استدراجه بفعل ما جهله لاحتمال أن يكون فعله ناسيا أو غافلا فيتذكر فيفعله من غير تعليم، فليس تركه له من بـال التقريـر علـى الخطأ، بل من باب تحقق الخطأ، أو بأنّه لم يعلّمه أولا ليكون أبلغ في تعريفه وتعريـف غيـره، ولتفخيم الأمر وتعظيمه عليه(١).

ومن هديه صلى ا عليه وسلم في النقد، أن التزامه بكشف محلّ النقد وتقويمه لا يمنـع من إمكانية تناوله لبعض الأمور المتّصلة بمحلّ النقد وإن لم تكن واقعة فيه، طالما أن ذلك يحقّق فائدة للمنقود، كاستهلاله في النص بالحديث حول الوضوء واستقبال القبلة وهما متصلين بمحـلّ النقد، وليسا من أفراده. قال صلى ا عليه وسلم: **إِذَا قُمتَ إِلى الصلاةِ فَأَسـبِغْ الْوضـوءَ، ثُـم استَقْبِلْ الْقِبلَةَ فَكَبر**.. وذكر النووي من الفوائد المستفادة من الحديث أن المفتي إذا سـئل عـن شيء، وكان هناك شيء آخر يحتاج إليه السائل ولم يسأله عنه، يستحب له أن يذكره له، ويكون هذا من النصيحة لا من الكلام فيما لا يعني. وموضع الدلالة أنّه قال: **(عَلمِني يَا رَسولَ اللهِ)** أي علمني الصلاة، فعلمه الصلاة واستقبال القبلة، والوضوء، وليسا من الصلاة لكنهما شرطان لها. وفيه: الرفق بالمتعلم والجاهل، وملاطفته، وإيضاح المسألة له، وتلخيص المقاصد، والاقتصـار في حقه على المهم دون المكملات التي لا يحتمل حاله حفظها والقيام بها(٢).

(١) السهارنفوري، بذل المجهود(ج٥/ص١١٨)

(٢) النووي، المنهاج(ص٤٣٤)

٣. وعن عبد اللهِ بن عمرٍو بن العاص رضِي الله عنْهما قال: قالَ لي رسولُ ا ِ صلى ا ُ عليهِ وسلم : (**يَا عَبدَ ا ِ، أَلم أُخبَر أَنكَ تَصوم النهَارَ وَتَقوم الليلَ؟** فَقُلتُ: بلى يا رسولَ ا ِ. **قالَ: فَلا تفعلْ، صم وَأفْطِر، وَقُم وَنَم، فَإن لِجَسَدِكَ عَليكَ حَقا، وَإن لِعَينِـكَ عَليـكَ حَقًـا، وَإن لِزَوجِكَ عَليكَ حَقا، وَإن لِزَورِكَ عَليكَ حَقا، وَإن بِحَسبِكَ أن تَصومَ كُل شَهرٍ ثَلاثَة أيامٍ، فَإن لـكَ بِكُل حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمثالِهَا، فَإذن ذلكَ صِيام الدهر كُلِهِ. فَشَددت فشُدِدَ علي.** قُلتُ يا رسولَ ا ِ إني أجِد قوة، **قالَ: فَصم صِيَامَ داودَ عليهِ السلام وَلا تَزِد عَليهِ.** قلت: وما كان صِيام نَبِـي ا ِ داود عليهِ السلام؟ **قالَ: نِصفَ الدهرِ.** فكان يقول عبد ا بعد ما كَبِر: **يَا ليتَنِي قَبِلتُ رخْصَـةَ النبِـي صَلى الله عَليهِ وَسَلمَ**[1].

وفي رواية بين النبي صلى ا عليه وسلم له سبب النهي، قال: (**فَإنكَ إِذَا فَعَلْـتَ ذَلِـكَ هَجَمَتْ عَينُكَ وَنَفِهَتْ نَفْسكَ**)[2] وقال:(**وإنك عسى أن يَطولَ بكَ عمر**..)[3] وكان النبي صلى ا عليه وسلم قال له: (**يَا عَبدَ ا ِ لا تكُن مِثلَ فُلانٍ، كانَ يَقُوم من الليلَ فَتَرَكَ قِيَامَ الليل**)[4].

بدأ صلى ا عليه وسلم نقده لعبد ا بن عمرو بن العاص بالتّثبت منه حول ما سـمعه بشأن سلوكه التعبدي، بسؤاله: **ألَم أُخبَر أَنكَ تَصوم النهَارَ وَتَقوم الليلَ؟**، قال ابن حجر: لم يكتف النبي صلى ا عليه وسلم بما نُقِل له عن عبد ا حتى لقِيه واستثبته فيه، لاحتمال أن يكون قال ذلك بغير عزم.. وفيه أن الحكم لا ينبغي إلا بعد التثبت[5]. فمن هديه صلى ا عليه وسلم بهـذا السؤال أن يكون الناقد مطّلعا على محلّ النقد عالما فيه، فلا يجوز له أن ينتقد قبل التحقّق منه أو أن ينتقد لمجرد الظن، وكلما كان الناقد مطّلعا بشكل مباشر على محلّ النقد كان أكثر قدرة على كشف جوانبه والحكم عليها، وكان نقده أقرب إلى الصواب. أما النقود التي تعتمد على النقول أو

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصوم، باب: حق الجسم في الصوم(ص٤٠٦/ح١٩٧٥)، ومسلم في الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به..(ص٥٣٥/ح١١٥٩)، وأبو داود في الصوم، باب: في صوم الدهر تطوعا(ص٤٥٢/ح٢٤٢٧)، والنسائي في الصيام، الأبواب: من صوم يوم وإفطار يوم.. إلى صيام أربعة أيام من الشهر(ص٣٤٩-٣٥٢/ح)، وأحمد في المسند(ج١١/ص٤٦٠/ح٦٨٧٤)، جميعهم باختلافٍ في الطرق والألفاظ، من حديث عبد ا بن عمرو رضي ا عنه.

(٢) رواه البخاري في كتاب: التهجد، باب.(ص٢٣٨/ح١١٥٣) وانظر التخريج السابق.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: حق الضيف(ص١٢٥٨/ح٦١٣٤) وانظر التخريج السابق.

(٤) رواه البخاري في كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه(ص٢٣٨/ح١١٥٢)، ومسـلم فـي الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به..(ص٥٣٥/ح١١٥٩)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار، باب: ذم من ترك قيام الليل(ص٢٧٠/ح١٧٦٥)، وابن ماجه فـي إقامـة الصـلاة والسـنة فيهـا، بـاب: مـا جـاء فـي قيـام الليل(ص٣١٣/ح١٣٣١)، وأحمد في المسند(ج١١/ص١٥٣/ح٦٥٤٨)، جميعهم من حديث عبد ا بن عمـرو رضـي ا عنه.

(٥) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص٤٨)

الظن فاحتمالية ورود الخطإ عليها وعدم الدقة في تناولها أكبر، ويحتمل فيهـا كـذلك تعـرض المنقود للظلم وإساءة الفهم.

ثم بعد اطلاعه صلى ا عليه وسلم على محلّ النقد عن قرب وفهمٍ له وتحقّقٍ منه، قـدم نقده بنهي عبد ا رضي ا عنه عن سلوكه، ونُصحِه بالاعتدال والموازنة بين حاجات الـروح ومتطلّبات الجسد والأهل والزوج والحياة عامة. وشَرع يكشف له عن سلبيات إلزام نفسه بهـذا السلوك بقوله: **فَإِنكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ**: أي غارت أو ضعفت لكثرة السـهر، **وَنَفِهَـتْ نَفْسُكَ**: كلت وأعيت، وقوله: **إنك عسى أن يَطولَ بكَ عمر**: فيقع له ما يقع لكبـار السـن مـن الضعف والوهن، فتشقّ العبادة عليه، على النّهج الذي انتهجه لنفسه، قال ابن حجر: فيه الإشارة إلى ما وقع لعبد ا بعد ذلك من الكِبر والضعف[1]. وهو ما حصلَ له بالفعل! إذ قال: **فَشَـددت فشُدِّدَ علي**، وقال وقد تقدم في السن: **يَا لَيتَنِي قَبِلْتُ رخْصَةَ النبي**: ذكر النووي في معناه: أنّـه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول ا صلى ا عليه وسلم فشقّ عليه فعله، ولا يمكنه تركه لالتزامه به، فتمنّى أن لو قبِلَ الرخصة فأخذ بـالأخفّ. وقـال: حاصل حديث عبد ا بن عمرو رضي ا عنه بيان رفق رسول ا صلى ا عليه وسلم بأمته، وشفقته عليهم، وإرشادهم إلى مصالحهم، وحثهم على ما يطيقون الدوام عليـه، ونهـيهم عـن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها[2]..

وفي النص قوله صلى ا ليه وسلم: **وَإن بِحَسبِكَ**، أي كافيك. **فَإِذَن ذلكَ صِـيام الـدهر كُلّهِ**: إي إن صمتها فإذن ذلك صوم الدهر[3]. وقوله: **لا تكُن مِثلَ فُلانٍ**، موضـع نقـدي آخـر لسلوكه رضي ا عنه كذلك، قرب فيه صورة الخلل والعيب في الأمر من خلال عرضه لحالـة تشبه حالته في سلوكه التعبدي، بإبراز النتيجة التي حصلت مع الأول، وإمكانية حصـول نفـس النتيجة معه. قال ابن حجر: كأن إبهام مثل هذا لقصد السترة عليه، ويحتمل أن يكون النبي صلى ا عليه وسلم لم يقصد شخصا معينا، وإنما أراد تنفيـر عبـد ا بـن عمـرو مـن الصـنيع المذكور[4]. والتمثيل أو التشبيه في النقد وغيره له أثر كبير في إيضاح الأمور وكشفها للسـامع، وفي عرض تجارب الغير فرصة كبيرة لتجاوز الأخطاء التي وقعوا فيها والاتقاء منها.

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص٤٧)، (ج٤/ص٢٧٤)

(٢) النووي، المنهاج(ص٨٦٧،٨٦٩)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٤/ص٢٧٤)

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص٤٧)

٤. وعن أَبِي بكْرةَ رضي ا عنه أَنه انْتَهى إِلَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم وهو راكِع، **فَركَع قَبلَ أَن يصِلَ إلى الصف**، فَذَكر ذَلِك لِلنبِي صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَال: (**زادك الله حِرصـا ولَا تَعد**)[١]

زادك الله حِرصا: أي على الخير، فصوب النبي فعل أبي بكرة من الجهة العامة وهـي الحرص على إدراك فضيلة الجماعة، وخطأه من الجهة الخاصة، فقال: **ولَا تَعـد**، أي إلـى مـا صنعت من السعي الشديد ثم الركوع دون الصف ثم من المشي إلى الصف[٢]. قال السنْدي: منشأ هذا الفعل هو الحرص على العبادة.. لكن قال له النبي صلى ا عليه وسلم لا تعد إلى مثل هـذا الفعل لأجله، لأن الحرص لا يستعمل على وجه يخالف الشرع، وإنما المحمود أن يأتي به علـى وفق الشرع[٣].

استهلّ النبي صلى ا عليه وسلم نقده للرجل بمدحه ضمنيا على حسن نيته في حرصـه على إدراك الجماعة، فأقر له بالحرص ودعا له بالزيادة، ثم انتقد فعله حين أمره بعدم تكـراره. فجعل صلى ا عليه وسلم من الإيجابيات مدخلا لنقد السلبيات، حين ثمن وأشاد بحرص الرجل على تحصيل الخير في فعله، ولكن ثمة ما يجب التنبه إليه وهو عدم جواز ما قام بـه شـرعا. فاحترم النبي صلى ا عليه وسلم إيجابيات الشخص المنقود وحفظها له ولم يصـادرها بسـبب خطإه، والقرآن الكريم يدعو إلى احترام ما لدى الناس والاعتراف به، قال تعالى: **ولَا تَبخَسوا الناس أَشيَاءهم** الأعراف، آية:٨٥.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الأذان، باب: إذا ركع دون الصف(ص١٦٨/ح٧٨٣)، وأبو داود في الصلاة، باب: الرجـل يركع دون الصف(ص١٣٧/ح٦٨٣)، والنسائي في الإمامة، باب: الركوع دون الصـف(ص١٣٥/ح٨٧١)، وأحمـد فـي المسند(ج٣٤/ ص١١٠/ح٢٠٤٥٨)، أربعتهم من طريق زياد الأعلم عن الحسن البصري عن أبي بكرة رضي ا عنه.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص٣٤١)

(٣) السندي، سنن النسائي بشرح السندي(ج٢/ص٤٥٤)

٥. وعن هانِئ بن يزيد بن نهيك رضي ا عنه أنه لما وفَد إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم مع قومِهِ **سَمِعَهم يَكْنُونَه بِأَبِي الْحَكَمِ**، فَدعاه رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فقَال: (**إن اللهَ هوَ الْحَكَم، وَإليهِ الْحكْم، فلِمَ تُكْنَى أَبا الْحَكَمِ**)؟ فقَالَ: **إن قومِي إذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَونِي فحَكَمتُ بَينَهم فرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَين**، فقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: (**مَا أَحسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِن الْوَلَدِ**)؟ قَالَ: **لِي شُرَيح وَمسلِم وَعَبد اللهِ**، قَالَ: (**فَمَن أَكْبرهم**)؟ قُلْتُ شُريح، قَالَ: (**فَأَنْتَ أَبو شُرَيح**)[1]

قبل سؤاله صلى ا عليه وسلم لهانئ رضي ا عنه عن سبب تكنّيه بأبي الحكم وهو محلّ النقد الذي أراد النبي صلى ا عليه وسلم تناوله، استهلّ بقوله **إن اللهَ هوَ الْحَكَم وَإليهِ الْحكْم**، قال العظيم أبادي: أي منه يبتدأ الحكم وإليه ينتهي الحكم، والحكَم هو الحاكم الذي إذا حكَم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير ا تعالى[2].

وفي استهلاله صلى ا عليه وسلم فوائد نقدية، لعلّ أبرزها حِرصه صلى ا عليه وسلم على التدرج مع هانئ في النقد، واستئلافه له، ومراعاة منزلته ومكانته، إذ تظهر هذه الثلاث بشكل واضح في أدائه صلى ا عليه وسلم للنقد في سياق الموقف منذ بدايته وحتى نهايته؛ فحين بدأ صلى ا عليه وسلم بأداء نقده استهلّ متدرجا بالإشارة إلى حاكمية ا عز وجلّ المطلقة، وكأنه يقول إن ا عز وجلّ قد استحقّ اسم الحكَم لأن الحكْم يبدأ من عنده وينتهي إليه، فبأي أمر استحقّه هانئ؟ وهو بهذا الاستهلال، وقبل طرحه السؤال مباشرة على هانئ بقوله: **فلِمَ تُكْنَى أَبا الْحَكَمِ**؟ يقرب محلّ النقد للمنقود ويربطه به ويمنحه فرصة الشعور به، فيسهل هذا التّدرج على الجهة المنقودة فهم سبب الانتقاد وقبول التغيير.

ثم استحسانه صلى ا عليه وسلم بقوله: **مَا أَحسَنَ هَذَا**، للسبب الذي ذكره هانئ: **إن قومِي إذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَونِي فحَكَمتُ بَينَهم فرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَين**.. **وفيه** احترامه لتلك الإيجابية، وإقراره له بها، فلا يعني انتقاد إطلاق اسم الحكَم عليه مصادرة تلك الإيجابية ونسفها

(١) رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: تغيير الاسم القبيح(ص٩٢٦/ح٤٩٥٥)، والنسائي في آداب القضاة، باب: إذا حكّموا رجلا فقضى بينهم(ص٧٦٠/ح٥٣٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد(ص٢٨٢/ح٨١١)، وابن حبان في صحيحه(ج٢/ص٢٥٧/ح٥٠٤)، والحاكم في المستدرك(ج١/ص٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (ج١٠/ص٢٤٣/ح٢٠٥١١)، جميعهم من طريق يزيد بن المقدام بن شُريح عن المقدام بن شريح بن هانئ عن شُريح بن هانئ عن هانئ بن يزيد بن نهيك رضي ا عنه.

والحديث إسناده حسن ففيه يزيد بن المقدام صدوق، قال الحافظ: أخطأ عبد الحق في تضعيفه. انظر التقريب(ج٢/ ص٣٨٠/ ترجمة برقم٨٧٦٩)، وبقية رجاله ثقات. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(ج٤/ص٥٧٨/ح١٩٣٩).

(٢) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٨/ص٢٨٧)

فيه، فالمؤمن مأمور بتحري الحقّ والعدل، وبالتالي حسن الحكم في الناس. ومحلّ نقده صلى ا عليه وسلم كان التسمي أو التّكنّي باسم الحكم، لا الاتصاف بصفات تتعلق بأمر الحكم من سدادة التفكير وحسن الرأي وهو ما كان يتمتّع به هانئ.

وتدرج النبي صلى ا عليه وسلم بسؤاله: **(فَمَا لَكَ مِن الْوَلَدِ؟.. فَمَن أَكْبَرهم)**؟ حتى وصل إلى تعديل محلّ النقد بقوله: **(فَأَنْتَ أَبو شُرَيح)**، بعد أن كان صلى ا عليه وسلم قد هيأه لقبول هذا التغيير.

٦. ومثله ما روي عن مالك بن نَضلَة الجشَمِي رضِي ا عنْه، قَال: **أتيتُ النبِي صَلى ا عَليهِ وَسَلمَ فِي ثَوبٍ دونٍ**، قَالَ: **(أَلَكَ مَالٌ)**؟، قُالَ نَعم، قَالَ: **(مِن أي المَال)**؟، قالَ: **قَد آتَانِي ا مِن الإبِل والغَنَمِ وَالخَيل والرقِيق**، قَالَ: **(فإذَا آتاكَ ا مَالا فَليُرَ أثَر نِعمَة ا عَليكَ وَكَرَامَتِهِ)**[1].

قوله: **فِي ثَوبٍ دونٍ**، أي دنيء غير لائق بحالي من الغنى، وقوله صلى ا عليه وسلم: **فَليرَ أثر نِعمَة ا عَليكَ وَكَرَامَتِهِ**، المعنى البس ثوبا جيدا ليعرفَ الناس أنك غني، وأن ا أنعم عليك بأنواع النعم[2].

٧. وعن عائِشَةَ رضِي الله عنْها قَالَتْ: دخَلَ رهطٌ مِن الْيهودِ علَى رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالُوا: **السام عَليكُم**، قَالَتْ عائِشَةُ: **فَفَهمتُهَا**، فَقُلْتُ: **وَعَليكُم السام وَاللعنَةُ**. قَالَتْ: فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: **(مَهلًا يَا عَائِشَةُ، إن اللهَ يحِب الرفْقَ فِي الْأَمر كُلهِ)** فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أولَم تَسمع ما قَالُوا؟ قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: **(قَد قُلتُ وَعَليكُم)**[3]

وفي رواية قال: **(مَهلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيكِ بِالرفْق وَإياكِ وَالْعنْفَ وَالْفُحشَ.. أَوَلَم تَسمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدتُ عَليهِم فَيستَجَاب لِي فِيهِم وَلَا يستَجَاب لهم فِي)**[4]

---

(١) رواه أبوداود في كتاب: اللباس، باب: في غسل الثوب وفي الخلقان(ص٧٥٦/ح٤٠٦٣)، والترمذي في البر والصلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو(ص٥٩٠/ح٢٠١٣)، والنسائي في الزينة، باب: الجلاجل(ص٧٤١/ح٥٥٢٦)، وأحمد في المسند(ج٢٥/ص٢٢٢/ح١٥٨٨٧)، أربعتهم من طريق أبي إسحاق السبيعي عمرو بن عبد ا بن عبيد عن عوف بن مالك عن أبيه مالك بن نضلة رضي ا عنه. **والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات.**

(٢) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٧/ص١٨٤)

(٣) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله(ص١٢٤٣/ح٦٠٢٤)، ومسلم في السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم(ص١٠٩٧/ح٢١٦٥)، والترمذي في الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في التسليم على أهل الذمة(ص٧٧٥/ح٢٧١٠)، وأحمد في المسند(ج٤٢/ص٤٢٤/ح٢٥٦٣٣)، أربعتهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي ا عنها.

(٤) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشًا ولا متفحشًا(ص١٢٤٣/ح٦٠٣٠)

السام: الموت. **والرفْق**: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف. أما **الفُحشَ**: كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة، يقال فاحش الطول إذا أفرط في طوله، لكن استعماله في القول أكثر[١].

انتقد النبي صلى ا عليه وسلم موقف السيدة عائشة رضي ا عنها، مبرزا ما فيه من الزيادة في الرد، والخروج عن الحد الطبيعي فيه، قال ابن حجر: أنكر عليها الإفراط في السب، أو أراد أن لا يتعود لسانها بالفحش[٢]. وأسلوبه صلى ا عليه وسلم في نقد ما صدر عنها فيه ترفّق بها على خلاف أسلوبها الذي لم يخل من العنف. والرفق في النقد أمر مهم وضروري، إذ يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده، كما ذكر ابن حجر[٣].

٨. وعن عائِشَةَ رضي ا عنها قالَتْ: كان الناس ينْتَابون يوم الْجمعةِ مِن منَازِلِهم والْعوالِي، فَيأْتُون فِي الْغُبار **يصِيبهم الْغُبَار وَالْعَرَقُ، فَيخْرج مِنْهم الْعَرَقُ**، فَأَتَى رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم إِنْسان مِنْهم وهو عِنْدِي، فَقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: (**لَو أَنكُم تَطَهرتُم لِيَومِكُم هَذَا**)[٤]

يَنْتَابونَ: أي يأتونها. والْعوالِي: هي القرى التي حول المدينة[٥]. وقوله **لَو أَنكُم تَطَهرتُم لِيَومِكُم هَذَا**: لو للتمني فلا تحتاج إلى جواب، أو للشرط والجواب محذوف تقديره لكان حسنًا[٦].

ويوحي تعبيره صلى ا عليه وسلم بلفظ التمني (**لو**) بالتّودد، والتواضع، وترك التعالي مع المنقود، مع الأدب الجم في إبرازه العيب الصادر عنه، ومراعاة حساسية الأمر محلّ النقد، والموقف الذي يقفه الرجل.

قال ابن حجر: في هذا الحديث رفق العالم بالمتعلم.. واجتناب أذى المسلمين بكل طريق[٧].

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٥٥٥،٥٥١)، (ج١١/ص٥٠)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١١/ص٥١)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٥٥١)

(٤) رواه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: من أين تُؤتى الجمعة، وعلى من تجب؟..(ص١٨٩/ح٩٠٢)، ومسلم في الجمعة، باب: وجوب غسل الجمعة..(ص٣٨٤/ح٨٤٧)، كلاهما من طريق عبد ا بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبيد ا بن أبي جعفر عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي ا عنها، جاء من رواية مسلم:(**فيأتون في العباء، ويصيبهم الغبار، فتخرج منهم الريح**).

(٥) والنووي، المنهاج(ص٦٧٨)

(٦) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص٤٩٠)

(٧) المرجع السابق.

٩. وعن عمر بن أَبِي سلَمةَ رضي ا عنه قال: كُنْتُ غُلَاما فِي حجرِ رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم **وَكانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصحفَةِ**، فَقَالَ لِي رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**يَا غُلَام سَم اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِما يَلِيكَ**)، فَما زالَتْ تِلْك طِعمتِي بعد[1] وفي رواية: (**أَكَلْتُ يَوما مَعَ رَسول ا صَلى ا عَليهِ وَسَلمَ طعَاما فَجَعَلتُ آكُلُ من نَوَاحِي الصحفَة..**)[2].

غُلَاما: أي دون البلوغ، يقال للصبي من حين يولد إلى أن يبلغ الحلم غلام. في حجر رسول اللهِ: أي في تربيته وتحت نظره، وأنه يربيه في حضنه تربية الولد. **وَيَدِي تَطِيشُ فِي الصحفَةِ**: أي عند الأكل، تتحرك فتميل إلى نواحي القصعة ولا تقتصر على موضع واحد؛ وأسند الطيش إلى يده مبالغة، والصحفة ما تشبع خمسة ونحوها. **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعمَتِي بَعد**: أي لزمت ذلك وصار عادة لي[3].

دمج النبي صلى ا عليه وسلم محلّ نقده لابن أبي سلمة رضي ا عنه مع توجيهين استهلّ بهما، وهما التسمية والأكل باليد اليمنى، فَنَزع عن الموقف صورته النّقْدية، وبدا كأنه موقف توجيهي، ومع أن التوجيه جزء لا يتجزأ من العملية النقدية، إلا أنّه قد يقدم دون موقف يتطلّبه كما في النص الذي بين أيدينا، إذ وجه النبي صلى ا عليه وسلم فيه توجيهين ليسا من محلّ النقد، وإن كانا متّصلين به.

---

(١) سبق تخريجه، راجع (ص١١٢)

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: الأكل مما يليه..(ص١١٤٠/ح٥٣٧٧)، ومسلم في الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما(ص١٠٢٧/ح٢٠٢٢) وفي لفظه: **(فجعلت آخذ من لحم حول الصحفة)**، كلاهما من طريق محمد بن جعفر عن محمد بن عمرو بن حلْحلَة الديلي عن وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة رضي ا عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٩/ص٦٥١-٦٥٣)

الفرع الثاني: نقد غير المسلمين المباشر بلا زجر:

١. عن زيدِ بن ثَابِتٍ رضي ا عنه قال: أَمرني رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فَتَعلمتُ له كِتَاب يهود. وقالَ: (**إني وَاللهِ مَا آمَن يَهودَ عَلى كِتَابِي**) فَتَعلمتُه، فَلَم يمر بِي إلا نِصفُ شَهرٍ حتى حذقْتُه، فَكُنْتُ أَكْتُب له إِذَا كتَب، وَأَقْرأُ له إِذَا كُتِب إِليهِ[(١)]

وفي رواية قال صلى ا عليه وسلم: (**إني أَكْتُب إلى قومٍ فَأخَافُ أن يَزيدوا عَلَى وَينْقصوا، فَتَعَلم السريَانِيةَ**)، فَتَعلمتُها فِي سبعةَ عشَر يوما[(٢)].

قوله: **أَمَرَنِي رَسولُ اللهِ**.. أي بتعلم كتاب يهود. وقول النبي صلى ا عليه وسلم: **إني وَاللهِ مَا آمَن يَهودَ عَلى كِتَابِي**: أي أخاف إن أمرت يهوديا بأن يكتب كتابا إلى اليهود، أو يقرأ كتابا جاء من اليهود أن يزيد فيه أو ينقص. **حَذَقْتُه**: عرفته وأتقنته وعلمته[(٣)].

يكشف النبي صلى ا عليه وسلم في نقده عن خُلق من أخلاق اليهود وهو الخيانة، ويتناوله بالإشارة إلى إمكانية وقوعه من جانبهم في تعاملاتهم معه ومع المسلمين، وهو كشف

---

(١) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب(ص٦٨٤/ح٣٦٤٥)، والترمذي في الاستئذان، باب: ما جاء في تعليم السريانية(ص٧٧٨/ح٢٧٢٤)، وأحمد في المسند(ج٣٥/ص٤٩٠/ح٢١٦١٨)، والطبراني في المعجم الكبير(ج٥/ص١٤٦/ح٤٨٥٧)، أربعتهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عبد ا بن ذكوان عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت رضي ا عنه. وأخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم في الصحيح(ص١٤٣٧/ح٧١٩٥)، قال:(وقال خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت: أن النبي صلى ا عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود..).
والحديث إسناده حسن، من أجل ابن أبي الزناد، قال عنه الحافظ في التقريب(ج١/ص٤٤٧) صدوق تغير حفظه. وقال في الفتح(ج١٣/ص٢٣٢) بعد ذكر اختلاف العلماء فيه: (غاية أمره أنه مختلف فيه، فلا يتجه الحكم بصحة ما ينفرد به، بل غايته أن يكون حسنًا)، وتفرده هنا نسبي كما ذكر الحافظ، فلم يروه عن أبيه عن خارجة إلا عبد الرحمن؛ ولكن رواه الأعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال: قال لي رسول ا صلى ا عليه وسلم:(**تُحسِن السريَانِية؟ إنها تأتيني كتب)، قلت: لا. قال: (فَتَعَلمهَا)، فتعلمتها في سبعة عشر يوما**. أخرجه أحمد في المسند(ج٣٥/ص٤٦٣/ح٢١٥٨٧) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه(ج١٦/ص٨٤/ح٧١٣٦)، والحاكم في المستدرك(ج٣/ص٤٢٢)، وفيهما قول الأعمش: **كانت تأتيه كتب لا يشتهي أن يطلع عليها إلا من يثق به**. والطبراني في الكبير(ج٥/ص١٧٣/ح٤٩٢٨)، وفيه قول النبي صلى ا عليه وسلم لزيد: (**يأتيني كتب من الناس لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب السريانية؟)**. ووصله الحافظ في **تغليق التعليق** بعد تخريجه الحديث بسنده من كلا الطريقين، طريق ابن أبي الزناد وطريق الأعمش(ج٥/ص٣٠٧،٣٠٨): (ذكر بعض الحفاظ المتأخرين أن ابن أبي الزناد تفرد به، وحديث ثابت بن عبيد يرد عليه).

(٢) رواه ابن حجر في تغليق التعليق..(ج٥/ص٣٠٨) من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش بإسناده السابق. وانظر التخريج السابق للحديث.

(٣) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٦/٤٧٧)

وإن لم يتضمن زجرا أوتوبيخًا، إلا أنّه يتضمن تحذير المسلمين من أمن جانبهم، وتوجيههم نحو ضرورة التأهل في التعامل مع الأمم الأخرى.

٢. وعن ابن عباسٍ رضي ا عنهما أنه سمِع عمر رضِي الله عنْه يقُولُ علَى الْمِنْبـر: سمِعتُ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم يقُولُ: (**لَا تُطْرونِي كَمَا أَطْرتْ النصارى ابن مريم، فَإِنمَا أَنَـا عبده، فَقُولُوا عبد اللهِ ورسولُه**)[(١)]

لَا تُطْرونِي: الإطراء مجاوزة الحد في المدح، والكَذِبِ فيه[(٢)]. **أَطْرتْ النصارى ابن مريم**: أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك. قال ابن حجر: فيه إشارة إلى تعليمهم ما يخشـى علـيهم جهله[(٣)].

تناول النبي صلى ا عليه وسلم الأمم السابقة بالنقد لأخذ العبرة من أحوالهم، والتحـذير مما وقعوا فيه من الأمور التي أخرجتهم عن الطريق القويم واستحقوا بسببها العقوبات الإلهيـة؛ وفي هذا النص تناول مبالغة النصارى في الإطراء على نبيهم عيسى عليه السلام حتى قالوا عنه إله.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول ا تعالى: {واذْكُر فِي الْكِتَابِ مريم إِذ انتَبذَتْ مِن أَهلِهـا مكانًـا شَرقِيا}..(ص٧٢٥/ح٣٤٤٥)، وأحمد في المسند(ج١/ص٣٠١/ح١٦٤)، والدارمي في كتاب: الرقاق، باب: في قول النبـي صلى ا عليه وسلم: لا تطروني(ص٩١٥/ح٢٧٨٦)، ثلاثتهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عبيد ا بن عبد ا بـن عتبة عن عبد ا ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي ا عنهم.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص١١٠)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٦/ص٦٠٦)، (ج١٢/ص١٩٠)

المبحث الثاني: النقد غير المباشر

المطلب الأول: انتزاع شخصية المنقود:

١. عن عائِشَةَ رضِي الله عنْها قالَتْ: كان النبِي صلى الله علَيهِ وسلم **إذا بَلغَه عَن الرجـل الشيء لم يَقُلْ مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُول،** ولَكِن يقُولُ: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا**[١]

قوله: **الشيء،** أي المكروه، و**مَا بَالُ فُلَانٍ ومَا بَالُ أَقْوَامٍ**.. يعني لم يصرح باسمه ولم يسـم أحدا، وفيه احتراز عن المواجهة بالمكروه مع حصول المقصود بدونه[٢].

يعتبر هذا الحديث أصل في أسلوب النبي صلى ا عليه وسلم في انتزاع شخصية المنقـود من الانتقاد، بعدم تعيينه الشخص سواء كان فردا أو مجموعة. وهو أصل كذلك في إمكان تعميم النقد، والانتقال به من الخاص إلى العام.

وقد استخدم القرآن الكريم الأسلوب غير المباشر في انتقاد سلوك الأفراد من جهة عـرض قضاياهم دون تعيينهم، من ذلك قوله تعالى: **وَمِنْهُم من يَقُولُ ائْذَن لي وَلا تَفْتِني أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ** التوبة، آيـة:٤٩. وقوله: **وَمِنْهُم من يَلْمِزكَ فِي الصدَقَاتِ فَإِن أُعطُواْ مِنْهَا رَضواْ وَإِن لم يعطَواْ مِنهَا إِذَا هم يَسخَطُونَ** التوبة، آية:٥٨

---

(١) رواه أبوداود في كتاب: الأدب، باب: في حسن العشرة(ص٨٩٩/ح٤٧٨٨)، والبيهقـي فـي شـعب الإيمـان(ج١٠/ ص٤٢٧/ح٧٧٤٥)، كلاهما من طريق عبد الحميد بن عبد الرحمن الحِماني عن الأعمش سليمان بن مهران عن مسلم بـن صبيح عن مسروق بن الأجدع بن مالك عن عائشة رضي ا عنها. **والحديث إسناده حسن،** فرجاله ثقات غير عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانّي اختُلِفَ فيه، فوثقه ابن معين في التاريخ(ج٢/ص٣٤٣)، وابن حبان والنسائي وقال في موضع آخر ليس بقوي، وضعفه ابن حنبل وابن سعد والعجلي. انظر: ابن حجر، **تهذيب التهذيب،** ط١، (عنايـة: إبـراهيم الزيبـق، وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، (٢٠٠١م)، (ج٢/ص٤٧٨)، وقال الحافظ في التقريب(ج١/ ص٤٣٨): صدوق يخطـئ، ورمِي بالإرجاء. والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة(ج٥/ص٩٧/ح٢٠٦٤) وذكر متابعة أبي معاوية محمد بن خازم له عن الأعمش بلفظ: (رخص رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فِي أَمرٍ، فَتَنَزه عنْه نَاس مِن الناسِ، فَبلَغَ ذَلِك النبـي صلى الله علَيهِ وسلم فَغَضِب حتى بان الْغَضب فِي وجهِهِ، ثُم قَالَ:(ما بالُ قَومٍ يرغَبون عما رخص لِي فِيـهِ فَواللـهِ لأَنَـا أَعلَمهم بِاللهِ عز وجل وأَشَدهم له خَشْيةً)

(٢) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٨/ص١٨٩)

وفي أسلوب انتزاع الشخصية من النقد، وتعميمه فوائد عدة منها:

- تركيز اهتمام المستمعين على محلّ النقد وموضوعه، لا على من صدر عنه محلّ النّقد، وبالتالي تعزيز أحد أهم ضوابط العملية النقدية، وهو استهداف الفكرة المتمثلة في القول أو العمل والسلوك، لا استهداف الشخص.
- تعزيز ضابط الموضوعية والحِيادية، وترك الانحياز والتعصب، عند الناقد والمنقود وفي محلّ النقد.
- إشاعة روح الحس الجماعي، وتنمية المسؤولية الجماعية، وتعليم الأفراد التفكير الجمعي لا الفردي، والتركيز على ما فيه مصلحة الجماعة.
- مساواة الشخص الصادر عنه محلّ النقد مع غيره في الاستماع والملاحظة، يحقـق لـه على الصعيد الشخصي:
  - حمايته نفسيا والحفاظ على تقديره الذاتي واحترامه وتقبله لنفسه، إذ يجنّبه تناول ما صدر عنه بالنقد غير المباشر، الشعور بالحرج والضيق النّاجِمين عن كشف شخصيته للحاضرين، والنّظر إليها على أنّها مذنبة مخطئة.
  - يشغله عن محاولات دفع الحرج عن ذاته والدفاع عنهـا، إذا مـا تـم كشـف شخصيته، إلى الانشغال بالتفكير في محلّ النقد، وإمكان تغييره، وبالتالي تحقيق الفائدة المرجوة من النقد.
  - تسهيل تقبله النقد، والنظر إليه على أنّه أمر إيجابي لا سلبي، ووسيلة من وسائل الارتقاء بالنفس والسلوك.
- تعميم محلّ النقد على الجماعة والتحذير منه يجنّب تكراره والوقوع فيه مستقبلا، فـتعم الفائدة الكلّ.
- في الحالات التي يصل النقد فيها عن طريق التبليغ من الآخرين، يكون مـن الأفضـل التعميم، منعا لحدوث الخلاف أو الفتنة بين من بلّغ بمحلّ النقد وبين الشخص المنقود.
- ترك الاصطدام المباشر مع المنقود إذا كان من الشخصيات الصعبة، التي يصدر عنهـا ردود فعل سريعة.
- اختيار موضوعات الخُطب والدروس من واقع حياة الناس واحتياجاتهم.
- الاهتمام بالظواهر العامة التي تحدث في المجتمعات، وجعلها الموضوع الأساسـي فـي الخُطب والدروس الوعظية، يبرز أهية المسجد في المجتمع الإسلامي، ويدعم دوره في

متابعة الأفراد وتوجيههم وتصحيح سلوكياتهم، من خلال عمليات المراجعة والتقويم التي تتم فيه.

٢. فعن عائِشَةَ رضي ا عنها قالَتْ: **صَنَعَ النبي صَلى الله عَلَيهِ وَسَلَمَ شَيئًا فَرَخصَ فِيهِ فَتَنَزهَ عَنْه قَوم**، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبي صلى الله عليهِ وسلم فَخَطَب فَحمِد الله، ثُم قَالَ: (**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزهونَ عَن الشيءِ أَصنَعه؟ فَوَاللهِ إِني لأعلَمهم بِاللهِ وَأَشَدهم له خَشيَةً**)[1]

وروي من وجه آخر عن أنس بن مالك رضي ا عنه أَن نَفَرا مِن أَصحابِ النبي صلى الله عليهِ وسلم، سَأَلوا أَزواج النبي صلى الله عليهِ وسلم عن عملِهِ فِي السر، فَقَالَ بعضهم: لَا أَتزوج النساء. وقَالَ بعضهم: لَا آكُلُ اللحم. وقَالَ بعضهم: لَا أَنَام علَى فِراشٍ. فَحمِد الله وَأَثْنَى علَيهِ، فَقَالَ: (**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِني أُصَلي وَأَنَام، وَأَصوم وَأُفْطِر، وَأَتَزَوج النسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عَن سنتِي فَلَيسَ مِني**)[2]

قال ابن حجر: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ**، مع الإبهام فلم تحصل المواجهة وإن كانت صورتها موجودة وهي مخاطبة من فعل ذلك، لكنه لما كان من جملة المخاطبين ولم يميز عنهم صار كأنه لم يخاطب.. أما المعاتبة فقد حصلت منه لهم لا ريب، وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك سترا عليه، وحصل منه صلى ا عليه وسلم الرفق من هذه الحيثية لا بترك العتاب أصلا.. وفي الحديث حسن العشرة عند الموعظة، والإنكار والتلاطف في ذلك[3]. وقال النووي: فيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير، والإنكار في الجمع، ولا يعين فاعله، فيقال ما بال أقوام ونحوه[4].

يشير ابن حجر في شرحه إلى أمرين مهمين، أما الأول فهو الستر على المنقود طالما أن الفائدة تتحقق دون الحاجة إلى الكشف عن شخصه، وأما الثاني ففي أسلوبه صلى ا عليه وسلم الذي يجمع الرفق واللطف إلى جانب الحزم والشّدة، أما رفقه ولطفه فمن جهة انتزاع شخصية المنقود وعدم الكشف عنها، وما يحمله ذلك من دلالات الرحمة وحفظ كرامة الشخص واحترامه

(١) رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من لم يواجه الناس بالعتاب(ص١٢٥٤/ح٦١٠١)، ورواه مسلم في الفضائل، باب: علمه صلى ا عليه وسلم با تعالى وشدة خشيته(ص١١٧٨/ح٢٣٥٦)، وأحمد في المسند(ج٤٠/ص٢١١/ح٢٤١٨٠)، ثلاثتهم من طريق أبي معاوية محمد بن خازم عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق بن الأجدع عن عائشة رضي ا عنها.

(٢) رواه مسلم في كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة..(٦٦٤/ح١٤٠١)، والنسائي في النكاح، باب: النهي عن التبتل(ص٤٦٩/ح٣٢١٩)، وأحمد في المسند(ج٢١/ص١٦٩/ح١٣٥٣٤)، ثلاثتهم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت بن أسلم عن أنس رضي ا عنه.

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٦٢٩،٦٣٠)

(٤) النووي، المنهاج(ص١٧٢٢)

لذاته، وأما شدته وحزمه فمن جهة تناوله لمحلّ النقد بما يفيد الزجر عنه والتوبيخ لمـن يفعلـه، سواء كان المنقود أو غيره. ويفيد التحذير من الفعل والحثّ على الاحتراز من الوقوع فيه.

وأسلوبه صلى ا عليه وسلم النّقدي في أحاديث الباب تتشابه من حيث المزاوجة بـين أسلوبي الرفق والشدة، اللذين يحققان معا ردع الفرد وصون كرامته وبالتـالي صـلاح حالـه. والحقيقة أن الجمع والمزاوجة بين هذين الأمرين ليس بالشيء الهين ولا اليسير كما يظن، بـل يتطلب مستو عال من المهارة في التعامل مع الناس وفهم احتياجاتهم النفسية ومداخلها، ومسـتو عال في اختيار الكلمات والتعبيرات التي تخدم أهداف النقد، كمـا يتطلـب قـدرا كبيـرا مـن الموضوعية والحيادية، والقدرة على فصل الأمور بعضها عن بعض.

والذي يلاحظ في أحاديث الباب أن محلّ النقد في كل منها وإن كان يمثل حالة خاصة سواء ما صدر فيها عن شخص أو مجموعة، إلا أنّه من القضايا المهمـة والخطيـرة، التـي يخشـى تطورها وانتشارها كظاهرة تهدد الأفراد وبالتالي المجتمع، ولذلك ناسـب تناولهـا مـن حيـث الأسلوب بالتعميم وعدم التعيين لجهة النقد أولا، وبالتشديد والحزم ثانيا، لكبحِها وتنفيـر النـاس عنها، وبالتالي الحد من انتشارها بين أفراد المجتمع.

أما محلّ النقد في الحديث الذي بين أيدينا فيعبر عنه النبي صلى ا عليه وسلم بقوله: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزهونَ عَن الشيءِ أَصنَعه**؟، أصل التّنزه: البعد[1]، وفي استفهامه عن تركهم لأمـرٍ ترخّص فيه وهو النبي، تركيز حكيم منه صلى ا عليه وسلم على المثلبة في تفكيرهم وفعلتهم، ولذلك أبرز بعده مباشرة أنّه أعلمهم با وأشدهم منه خشية، إذ ما أقدموا على فعلتهم إلا بظـنّهم أنّه أتقى وأخشى ، فبين لهم أن ترك الرخصة لا يعني زيادة العلم با والتقوى منه والخشية.

وفي رواية أنس رضي ا عنه يبرز لهم صلى ا عليه وسلم في نقده ثلاثة أمور على قدر من الأهمية والخطورة، الأول: ابتداعهم في الدين ما ليس منه، حين أرادوا قمع جملة مـن الاحتياجات الفطرية في نفوسهم، ومخالفة خلق ا فيها. والثاني: وجههم نحو العودة إلى الفطرة، والالتزام بالوسطية والاعتدال في الدين والمعاش. أما الثالث فبين أنهما-الاعتـدال والوسـطية- سبيل المحافظة على هديه وسنّته، وأن من فرط فيهما أو خالفهما لم يكن على سـيرته ومذهبـه الصحيحين. وفيه تحذير عام من فعل كلّ ما من شأنه الخروج بالمرء عن سيرته صلى ا عليه وسلم، وا عز وجلّ أمر العباد باتباعه والسير على هديه.

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٧٣٢)

وفيما يلي جملة من النّصوص المتصلة بالأسلوب غير المباشر في النقد، الـذي تُنْتَـزع فيه شخصية المنقود من النقد، ويتم تناول محلّ النقد بشكل عام.

٣. عن أَبِي مسعودٍ الْأَنْصاري عقبة بن عمرو بن ثعلبة رضي ا عنه قَالَ: قَالَ رجلٌ: **يَـا رَسولَ اللهِ لَا أَكَاد أُدرِك الصلَاةَ مِما يطَولُ بِنَا فُلَان**، فَما رأَيتُ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم فِـي موعِظَةٍ أَشَد غَضبا مِن يومئِذٍ، فَقَالَ: (**أَيها الناس إِنكُم منَفرونَ، فَمن صلَى بِالناسِ فَلْيخَفف، فَإِن فِيهم الْمرِيضَ، والضعِيفَ، وذَا الْحاجةِ**)[1]

قوله: **لَا أَكَاد أُدرِك الصلَاةَ مِما يطَولُ بِنَا فُلَان**: أي لا أقرب من الصلاة في الجماعة بل أتـأخر عنها أحيانًا من أجل التطويل[2].

لم يسم المنقود في النص، كما انتزع النبي صلى ا عليه وسلم شخصه من نقده، ووجه نقده بصيغة العموم **أَيها الناس**، وأبرز ما في التطويل بالنـاس فـي الصـلاة وعـدم مراعـاة مصالحهم من العيب وهو تنفيرهم عن حضور الجماعات، ونَسبه لجميع الحاضرين، مبالغة فـي زجرهم وتحذيرهم عن الإقدام على مثله. وبين في تعديله لذلك السلوك بقوله: **فَمن صلَى بِالناسِ فَلْيخَفف**، أن أسباب الحاجة المعتبرة شرعا عديدة، من المرض والضعف وغير ذلك مما يقـاس عليه. فتضمن نقده صلى ا عليه وسلم إبراز العيب في محلّ النقد أولا، ثم الإشارة إلى البـديل ثانيا، وجعل الأمر أكثر وضوحا وتحديدا ثالثًا، حين بين الأسباب المستَدعية للتخفيف.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: الغضب في الموعظة(ص٣٥/ح٩٠)، ومسلم في الصلاة، بـاب: أمـر الأئمـة بتخفيف الصلاة في تمام(ص٢٢١/ح٤٦٦)، وابـن ماجـه فـي إقامـة الصـلاة والسـنة فيهـا، بـاب: مـن أم قومـا فليخفف(ص٢٣٩/ح٩٨٤)، وأحمد في المسند(ج٢٨/ص٢٩٧/ح١٧٠٦٥)، والدارمي في الصلاة، باب: ما أمر الإمام مـن التخفيف في الصلاة(ص٣٣٤/ح١٢٦١)، جميعهم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود رضي ا عنه. وفي رواية مسلم وابن ماجه وأحمد قول الرجل: **إني لأتأخر من صلاة الغداة من أجل فلان**.. وقال أحمد: مخافة فلان -يعني إمامهم-.

قال ابن حجر في الفتح(ج٢/ص٢٥٢): (هذه القصة مغايرة لقصة معاذ بن جبل في حديث:(أفتان أنت يا معاذ)، لأن قصـة معاذ كانت في العشاء وكان الإمام فيها معاذًا، وكانت في مسجد بني سلمة، وهذه كانت في الصبح وكانت في مسجد قباء، ووهم من فسر الإمام المبهم بمعاذ، بل المراد به أبي بن كعب كما أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن:(**كان أبي بن كعب يصلي بأهل قباء فاستفتح سورة طويلة**.. وساق الحديث)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١/ص٢٤٧)

٤. وعن عائِشَةَ رضِي الله عنْها أنها أخْبرت النبي صلى ا عليـه وسـلم، أن بريـرةَ جاءتْ تَستَعِينُها فِي كِتَابِتِها ولَم تَكُن قَضتْ مِن كِتَابِتِها شَيًئا، قَالَتْ لَها عائِشَةُ: ارجِعِي إِلَى أَهلِـكِ فَإِن أَحبوا أَن أَقْضِي عنْكِ كِتَابتَكِ ويكُون ولَاؤُكِ لِي، فَعلْتُ. فَذَكَرتْ ذَلِك بريـرةُ لِأَهلِهـا فَـأَبوا وقَالُوا: **إِن شَاءَتْ أَن تَحتَسِبَ عَلَيكِ فَلْتَفْعَلْ، وَيَكُونَ وَلَاؤُكِ لَنَا**. فَذَكَرتْ ذَلِك لِرسول اللهِ صـلى الله علَيهِ وسلم، فَقَالَ لَها رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**ابتَاعِي فَأَعتِقِي، فَإِنمَا الْوَلَاء لِمـن أَعتَقَ**). قَالَ: ثُم قَام رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَالَ: (**مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْـتَرِطُونَ شُـروطًا لَيسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ؟ مَن اشْتَرَطَ شَرطًا لَيسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَلَيسَ لَه، وَإِن شَرَطَ مِائَـةَ مَـرةٍ، شَرطُ اللهِ أَحَق وَأَوثَقُ**)[1]

أرادت عائشة رضي ا عنها أن تشتري بريرة شراء صحيحا ثم تعتقها، فوافق مـوالي بريرة على بيعها، ثم أرادوا أن يشترطوا أن يكون الولاء لهم، وقالوا: **إِن شَـاءَتْ أَن تَحتَسِـبَ عَلَيكِ فَلْتَفْعَلْ، وَيَكُونَ وَلَاؤُكِ لَنَا**: أي تحتسب الأجر عند ا تعـالى، ولا يكـون لهـا ولاء[2]. فراجعت عائشة رضي ا عنها النّبي صلى ا عليه وسلم فيما اشترطوه، فأقرها علـى كـون الولاء لها أي لمن أعتق. ثم تناول القضية لأهميتها وارتباطها بالأحكام الشرعية بـالتعميم فـي قوله: **مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُروطًا لَيسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ؟**، منتقدا بصيغة الاستفهام الإنكـاري وبشكل عام اشتراط شروط في العقود تخالف أحكام ا تعالى، فلم يخص بالذكر حادثة بريـرة، أو يحصر نقده الأمر فيها، كونها صورة من صور التجاوز في الاشتراط، والحكم ينطبق علـى غيرها من الصور. فاقتضت حادثة بريرة تحذير المسلمين عامة عن مثله.

(١) رواه البخاري في كتاب: المكاتَب، باب: ما يجوز من شروط المكاتب، ومـن اشـترط شـرطا لـيس فـي كتـاب ا ..(ص٥٢٩/ح٢٥٦١)، ومسلم في العتق، باب: إنما الولاء لمن أعتق(ص٧٤٠/ح١٥٠٤)، وأبو داود في العتق، بـاب: في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة(ص٧٣٣/ح٣٩٢٩)، والترمذي في الوصايا، باب.(ص٦٢٠/ح٢١٣١)، والنسـائي فـي البيوع، باب: الكاتب يباع قبل أن يقضي من كتابته شيئا(ص٦٦٩/ح٤٦٥٨)، وأحمد في المسند(ج٤١/ص٦٨/ح٢٤٥٢٢)، جميعهم من طريق الليث بن سعد بن عبد الرحمن عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عـن عائشـة رضـي ا عنها.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٥/ص٢٣٦)

٥. وعن أَبِي حميدٍ الساعِدِي رضي ا عنه أَن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم استَعملَ عامِلًا، فَجاءه الْعامِلُ حِين فَرغَ مِن عملِهِ فَقَالَ: **يَا رَسولَ اللهِ هَذَا لَكُم وَهَذَا أُهدِيَ لِي**، فَقَالَ لَـه: (**أَفَلَا قَعَدتَ فِي بَيتِ أَبِيكَ وَأُمكَ فَنَظَرتَ أَيهدَى لَكَ أَم لَا**)؟ ثُم قَام رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم عشِيةً بعد الصلَاةِ، فَتَشَهد وأَثْنَى علَى اللهِ بِما هو أَهلُه، ثُم قَالَ: (**أَما بَعد فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَستَعمِلُه فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِن عَمَلِكُم وَهَذَا أُهدِيَ لِي؟ أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيتِ أَبِيهِ وَأُمهِ فَنَظَرَ هَلْ يهدَى لَـه أَم لَا**، فَوالَذِي نَفْس محمدٍ بِيدِهِ لَا يغُل أَحدكُم مِنْها شَيئًا إِلا جاء بِهِ يوم الْقِيامةِ يحمِلُه علَى عنُقِـهِ، إِن كَان بعِيرا جاء بِهِ لَه رغَاء، وإِن كَانَتْ بقَرةً جاء بِها لَها خُوار، وإِن كَانَتْ شَاةً جاء بِها تَيعر، فَقَد بلغْتُ)[١].

تضمن النّص نقدين، نقد شخصي مباشر للعامل بصيغة الاستفهام الإنكاري **أَفَلَا قَعَـدتَ فِي بَيتِ أَبِيكَ وَأُمكَ فَنَظَرتَ أَيهدَى لَكَ أَم لَا**، زجره فيه على قبوله الهدية، مبرزا ما في فعله من الخطأ والمثلبة، كونها جاءت بسبب الولاية[٢].

ثم انتقل بالقضية من الخاص إلى العام، وانتزع عنها شخص العامل بعينه، واقتصر على نقد الفعل الصادر عنه والذي يحتمل صدوره عن غيره، وحذر من عواقب الفعل في الآخرة.

قوله: **رغَاء**: هو صوت الإبل، **وخُوَار**: صوت البقر، وشاة **تَيعَر**: أي تصيح[٣].

٦. وعن أَنَس بن مالِكٍ رضي ا عنه قَالَ: قَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: (**مَـا بَـالُ أَقْوَامٍ يَرفَعونَ أَبصَارَهم إِلى السمَاءِ فِي صَلَاتِهِم - فَاشْتَد قَولُه فِي ذَلِكَ حَتى قَالَ - لَينْتَهن عَـن ذَلِكَ أَو لَتُخْطَفَن أَبصَارهم**)[٤]

فَاشْتَد قَولُه فِي ذَلِكَ يفيد المبالغة في الزجر. وقوله صلى ا عليه وسلم: **لَينْـتَهن عَـن ذَلِكَ أَو لَتُخْطَفَن أَبصَارهم**: أي لتسلبن بسرعة، أي أن أحد الأمرين واقع لا محالة، إما الانتهـاء منهم أو خطف أبصارهم من ا عقوبة على فعلهم، والعلة في ذلك أنه إذا رفـع بصـره إلـى

---

(١) سبق تخريجه، راجع(ص٦٦)

(٢) النووي، المنهاج(ص١٤٢٥)

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ولأثر(ج١/ص٥٣٩، ٦٧١)، (ج٢/ص٩٣٠)

(٤) رواه البخاري في كتاب: الأذان، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة(ص١٦١/ح٧٥٠)، وأبوداود في الصـلاة، باب: النظر في الصلاة(ص١٥٧/ح٩١٣)، والنسائي في السهو، باب: النهـي عـن رفـع البصـر إلـى السـماء فـي الصلاة(ص١٨٤/ح١١٩٥)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: الخشـوع فـي الصـلاة(ص٢٥١/ح١٠٤٤)، وأحمد في المسند(ج١٩/ص١٢١/ح١٢٠٦٥)، جميعهم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بن دِعامة عن أنس رضي ا عنه. وفي الباب عن أبي هريرة رضي ا عنه، وفيه تقييد النهي عن رفع البصر عند الدعاء في الصلاة، رواه مسـلم والنسائي.

السماء خرج عن سمت القبلة وأعرض عنها وعن هيئة الصلاة؛ وهـو وعيـد عظـيم وتهديـد شديد[١].

٧. وعن عبد اللهِ بن عمر رضي ا عنهما أنه سمِع رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم، يقُولُ علَى أَعوادِ مِنْبرِهِ: (**لَينْتَهِيَن أَقْوَام عَن وَدعِهِم الْجمعَاتِ، أَو لَيَخْتِمَن الله عَلَى قُلُوبِهِم، ثُـم لَيكُونُن مِن الْغَافِلِينَ**)[٢]

وَدعِهِم: أي تركهم. **لَيخْتِمَن**: الختم الطبع والتغطية. واختُلف في المراد به فقيـل هـو إعدام اللطف وأسباب الخير، وقيل هو خَلْق الكفر في صدورهم، وقيل الشهادة عليهم، وقيل هـو علامة جعلها ا تعالى في قلوبهم لتعرف بها الملائكة من يمدح ومن يذم[٣].

٨. وعن يعلَى بن أمية رضي ا عنه أن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم **رَأَى رَجلاًـا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلا إِزَارٍ**. فَصعد الْمِنْبر فَحمِد الله وأَثْنَى علَيهِ، ثُم قَالَ صلى الله علَيهِ وسـلم: (**إِن اللهَ عَز وَجَل حَيِي سِتير يحِب الْحَيَاءَ وَالسترَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدكُم فَلْيَستَتِر**)[٤]

الْبَرَاز المراد به هنا الفضاء الواسع، **حَيِي**: كثير الحياء، **سِتير**: من شأنه وإرادته حـب الستر والصون[٥]. قال السندي: فيه تعريض للعباد وحثّ لهم على تحري الحياء[٦].

استهلّ النبي صلى ا عليه وسلم نقده بالتأكيد على مدى اهتمام الذات الإلهيـة بـأمري الحياء والستر، فنسب هذين الفعلين أو الصفتين إلى ا تعالى أولا، بقوله: **حَيِي سِتير**، ثم أكّـد

---

(١) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٢/ص٢٨٥)، السندي، سنن النسائي بشرح السندي(ج٣/ص١١)

(٢) رواه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: التغليظ في ترك الجمعة(ص٣٩١/ح٨٦٥)، والنسائي في الجمعة، باب: التشـديد في التخلف على الجمعة(ص٢١١/ح١٣٧٢)، وابن ماجه في المساجد والجماعات، بـاب: التغلـيظ فـي التخلـف عـن الجماعة(ص١٩٩/ح٧٩٤)، وأحمد في المسند(ج٤/ص٣٦/ح٢١٣٢)، أربعتهم من طريق عن الحكم بن مِينَاء عن عبـد ا ابن عمر رضي ا عنه.

(٣) النووي، المنهاج(ص٦٨٨)

(٤) رواه أبو داود في كتاب: الحمام، باب: النهي عن التعري(ص٧٤٧/ح٤٠١٢)، والنسائي في الغسـل والتـيمم، بـاب: الاستتار عند الاغتسال(ص٦٦/ح٤٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى(ج١/ص٣٠٥/ح٩٥٦)، ثلاثتهم من طريق عبد ا بن محمد بن نُفَيل عن زهير بن معاوية بن حديج عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمِي عن عطاء بن أبي رباح عن يعلـى بن أمية رضي ا عنه. **والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات.**

(٥) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٧/ص١٣٣)

(٦) السندي، سنن النسائي بشرح السندي(ج١/ص٢١٨)

على حبه تعالى لهما ثانيا بقوله: **يحِب الْحَيَاءَ وَالستْرَ**. واستهلاله صلى ا عليه وسلم في النص يبعث على الاسترخاء والراحة في النفس، ويبعدها عما من شأنه إثارتهـا أو تحفيـز المشـاعر السلبية فيها، من حرج أو إحباط أو أكثر من ذلك، إذ تثير كثير من النقود الغضب والحنق فـي نفس المنقود. فحسن الاستهلال له دور كبير في جذب المنقود للناقد، والتأليف بينهما؛ والمحافظة على هدوء الطرف المنقود وضمان حسن استماعه وتلقيه وبالتالي استجابته للتغيير.

أما شخصية المنقود في النص فانتُزعت من النقد، وجاء أسلوبه صلى ا عليه وسلم في نقده غير المباشر هنا مختَلفًا عنه في بقية نصوص الباب، إذ أنّه لم يعين محلّ النقـد صـراحة كواقعة صدرت عن جهة ما واستدعت تناولها كقضية عامة، كما لم يزجر عنه بصيغة الاستفهام الإنكاري أو غيرها مما يحمل دلالات الزجر، كما في قوله ما بال أقـوام ونحـوه، أو التهديـد بوقوع العقوبة على الفعل المنتقد حال الاستمرار عليه كقوله في النص السابق: (**لَينْتَهيَن أَقْـوَام عَن وَدعِهِم الْجمعَاتِ، أَو لَيَختِمَن الله عَلَى قُلُوبِهِم**). إلا أن توجيهه صلى ا عليه وسلم حـول الأمر بقوله بصيغة عامة: **فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدكُم فَلْيَستَتِر**، بعـد ذكـره لصـفتي الحيـاء والسـتر ومكانتيهما في الشّرع، دلّ على المحلّ المنْتَقَد؛ إذ خص هذا الفعل بالذكر دون غيره من الأفعال.

المطلب الثاني: انتزاع محلّ النقد:

الفرع الأول: التعريض بمحلّ النقد:

١. عن جابِرِ بن عبدِ اللهِ رضِي الله عنْهما قال: أَتَيتُ النبِي صلى الله عليهِ وسلم فِـي دينٍ كان على أَبِي فَدقَقْتُ الْباب، فَقَالَ: (**مَن ذَا**)؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: (**أَنَا، أَنَا -كأنه كرِهَهَا**-)[(١)]

قول جابر رضي ا عنه **أنا** لا يتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما استعلمه النبي صـلى ا عليه وسلم، وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه، إذ لم يحصل بقوله أنا فائدة ولا زيادة، بل الإبهام باق[(٢)].

فانتقد النبي صلى ا عليه وسلم جواب جابر بن عبد ا رضي ا عنه الذي لم يحصل به المقصود من سؤاله حين استفسر عن هوية الطارق بقوله: **مَن ذَا**؟. وعرفَ نقده من تعريضه بجواب جابر حين رد عليه مكررا قوله: **(أَنَا، أَنَا)**، والتعريض خلاف التصريح مـن القـول[(٣)]. قال السنْدي: يفهم منه الإنكار عرفًا، وإنما كرره لأن السؤال للاستكشـاف ودفـع الإبهـام، ولا يحصل ذلك بمجرد **أنا**، إلا أن يضم إليه اسمه أو كنيته أو لقبه[(٤)]. فيكون النّبي صلى ا عليـه وسلم في نقده قد أعرض عن تناول المحلّ مباشرة، وعرض بما يدلّ عليه. ويعتبر محلّ النقد هنا من المحال الخفيفة التي تُتناول سريعا، ولا تتطلب تعقيدا في الأداء النّقدي حولها. ومثله في حياة الناس وممارساتهم كثير مما يمكن المرور عليه سريعا وإبراز ما فيه من العيـب والمثلبـة دون الحاجة إلى اتخاذ إجراءات أو محاذير معينة. وكونه كذلك يناسبه أسلوب المواراة وأدائه بالشكل غير المباشر، إذ أن تتابع النقد المباشر وكثرته تجعل منه أمرا مزعجا في كثير من الأحيان، فإذا ما أُدي من خلال مثال أو تشبيه أو تعريض أو غيرها من أساليب البيان أصـبح أكثـر تـأثيرا وقبولا في نفس المتلقي.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الاستئذان، باب: إذا قال: من ذا؟ فقال: أنا(ص١٢٧٨/ح٦٢٥٠)، ومسلم في الآداب، بـاب: كراهة قول المستأذِن أنا، إذا قيـل مـن هـذا(ص١٠٩٣/ح٢١٥٥)، وأبـو داود فـي الأدب، بـاب: الرجـل يسـتأذن بالدقّ(ص٩٦٧/ح٥١٨٧)، والترمذي في الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في التسليم قبل الاسـتئذان(ص٧٧٧/ح٢٧٢٠)، وابن ماجة في الأدب، باب: الاستئذان(ص٨٣٨/ح٣٧٠٩)، وأحمد في المسند(ج٢٢/ص٩٣/ح١٤١٨٥)، والـدارمي فـي الاستئذان، باب: كيف الاستيذان؟(ص٨٦١/ح٢٦٣٣)، جميعهم من طريق شعبة بن الحجاج عن محمد بن المنكـدر عـن جابر رضي ا عنه.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج١١/ص٤٢)، والنووي، المنهاج(ص١٦١٦)

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص١٨٦)

(٤) السندي، سنن ابن ماجه بشرح السيوطي وحاشية السندي(ج٤/ص٢٠٦)

الفرع الثاني: الاستشهاد لمحلّ النقد بالقرآن:

٢. عن عَلِي بن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم طَرَقَـه وفَاطِمةَ بِنْتَ النبِي علَيهِ السلَام لَيلَةً، فَقَالَ: **(أَلَا تُصَلِّيَان)** فَقُلْتُ: **يَا رَسولَ اللهِ أَنْفُسنَا بِيَدِ اللهِ فَإِذَا شَاءَ أَن يَبعَثَنَا بَعَثَنَا**. فَانْصرفَ حِين قُلْنَا ذَلِك ولَم يرجِع إِلَي شَيئًا. ثُم سمِعتُه وهو مول **يَضـرِب فَخِذَه وَهوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلًا﴾**[1]، الكهف، آية:٥٤

قوله: **طَرَقَه وَفَاطِمَةَ لَيلَةً**: أتاهما ليلا، والطروق الإتيان بالليل. **وبَعَثَنَا**: أي أيقظنا..[2]

دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وابنته فاطمة رضي الله عنهما للصلاة ليلة، فأجابـه علي جوابا لم يطابق مراده صلى الله عليه وسلم، وإن كان حقا في نفسه، كما ذكر ابن حجر في شرح قول علي رضي الله عنه: **وَلَم يَرجِع إِلَي شَيئًا**، قال: أي لم يجبني، وفيه أن السكوت يكون جوابا، والإعراض عن القول الذي لا يطابق المراد، وإن كان حقا في نفسه[3]. وصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عن مواجهة علي رضي الله عنه بجوابه، إلا أنّه نَقْده لذلك الجواب وصلَ إليه حين ولّى صلى الله عليه وسلم ضاربا فخذه تعجبا من جوابه وتأسفًا عليه، وتلا قولـه تعالى: **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلًا﴾** الكهف، آيـة:٥٤، فنقده نقْدا غير مباشر لـم يعـين فيـه المحلّ، وهو جوابه على تلك الصورة ولم يصرح به، ولكّنه أبرز باستشهاده بالآية الكريمة مـا تضمنه جوابه من الجدل والبعد عن مراده صلى الله عليه وسلم. تاركًا له بهذا الاستشهاد فرصة التفكير في جوابه ومراجعته بنفسه، وهو أسرع في التأثير، وأبلغ في الدلالة على محلّ النقد من المباشرة في تناوله.

(١) رواه البخـاري فـي كتـاب: التهجـد، بـاب: تحـريض النبـي صـلى الله عليـه وسـلم علـى صـلاة الليـل والنوافل..(ص٢٣٤/ح١١٢٧)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: مـا روي فـيمن نـام الليـل أجمـع حتـى أصبح(٣٥٦/ح٧٧٥)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار، باب: الترغيب في قيام الليل(ص٢٥٠/ح١٦١٤)، وأحمد فـي المسند(ج٢/ص٢٣٣/ح٩٠٠)، أربعتهم من طريق ابن شهاب الزهري عن علي بن حسين عن حسين بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص١٣،١٤)، النووي، المنهاج(ص٦٤٤)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص١٤)

وقد ذَكَر العلماء في فعل النبي صلى ا عليه وسلم وقوله آراء[١]:

- أنه صلى ا عليه وسلم ظن أنه أحرجهم فَنَدِم على إنْباههم.
- أنّه صلى ا عليه وسلم كره احتجاج علي رضي ا عنه بالآية المذكورة، وأراد منه أن ينسب التقصير إلى نفسه.
- أنّه تعجب من سرعة جوابه؛ وعدم موافقته له على الاعتذار بما اعتذر به، ولهذا ضرب فخذه. وهو القول الأكثر انسجاما مع روح النص ، واختاره النووي.

الفرع الثالث: التشبيه لمحلّ النقد:

٣. عن جابِرِ بن عبدِ اللهِ رضي ا عنه **أن أعرَابِيا بَايَعَ رَسولَ اللهِ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلمَ عَلى الْإِسلامِ**، فأصاب الْأعرابِي **وَعك بِالْمَدِينَةِ**، فأتى الْأعرابِي إلى رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم، فقَالَ: يا رسولَ اللهِ **أَقِلْنِي بَيعَتِي، فَأَبى** رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم. ثُم جاءه فقَالَ: **أَقِلْنِي بَيعَتِي، فَأَبى**. ثُم جاءه فقَالَ: **أَقِلْنِي بَيعَتِي فَأَبى**. فخَرج الْأعرابِي، فقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم: **(إنمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَع طِيبهَا)**[٢]

وَعك: الحمى، وقيل ألمها. **والكِير**: كِير الحداد، وهو المبني من الطين، وقيل الزقّ: الذي ينْفَخ به النار. **وَيَنْصَع طِيبهَا**: أي يظهر، وشيء ناصع خالص، وأنْصع أظهر ما في نفسه[٣]. وقول الأعرابي: **أَقِلْنِي بَيعَتِي**، لم يقِلْه النبي صلى ا عليه وسلم بيعته لأنه لا يجوز لمن هاجر إلى النبي صلى ا عليه وسلم للمقام عنده أن يترك الهجرة، أو يذهب إلى وطنه، أو غيره، وهذا الأعرابي كان ممن هاجر، وبايع النبي صلى ا عليه وسلم على المقام معه[٤].

فمحلّ نقده صلى ا عليه وسلم في النّص عدم ثبات الأعرابي على بيعته ونقضه لها بخروجه من المدينة، وانتزع النبي صلى ا عليه وسلم هذا المحلّ من نقده فلم يصرح به، ولكنه أشار إليه حين شبه مدينته صلى ا عليه وسلم بالكِير الذي يخَلص به المعدن من شوائبه وما

---

(١) النووي، المنهاج(ص٦٤٤)

(٢) رواه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: من بايع ثم استقال بيعته(ص١٤٣٩/ح٧٢١١)، ومسلم في الحج، باب: المدينة تنفي شِرارها(ص٦٥٥/ح١٣٨٣)، والترمذي في المناقب، باب: في فضل المدينة(ص١١٠٦/ح٣٩٤٦)، والنسائي في البيعة، باب: استقالة البيعة(ص٦٠٩/ح٤١٨٧)، ومالك في الموطأ، كتاب: الجامع، باب: ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها(ج٢/ص٢٧١/ح٤)، وأحمد في المسند(ج٢٢/ص١٨٩/ح١٤٢٤٨)، جميعهم من طريق مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي ا عنه.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٥٧٥،٧٥٠،٨٦٥)

(٤) النووي، المنهاج(ص١٠٤١)

علق فيه من الخَبث، ويبقى النّاصع الخالص، يصفو ويتميز، قال النووي: معناه يخرج من المدينة من لم يخاص إيمانه، ويبقى فيها من خاص إيمانه[١].

يقول فضل عباس: الغرض الأساس من التشبيه التأثير في النفس.. فهو ينقلها من المعقول إلى المحسوس، ومن الفكرة إلى الفطرة، ومن الغموض إلى البديهة. ومن شأن هذا أن يزيل ما فيها من شكوك، ويذهب ما بها من أوهام، فليس الخبر كالعيان.. وصلة النفس بالمحسوسات أسبق من صلتها بالمعقولات[٢].

٤. وعن عائِشَةَ أُم الْمُؤْمِنِين رضِي الله عنْها قَالَتْ: إِن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم قَالَ فِي مرضِهِ: (**مروا أَبا بَكْرٍ يصَلي بِالناس**) قَالَتْ عائِشَةُ قُلْتُ: **إِن أَبا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَم يسمِع الناسَ مِن الْبكَاءِ فَمر عمَرَ فَلْيصَل لِلناس.** فَقَالَتْ عائِشَةُ فَقُلْتُ لِحفْصةَ: قُولِي له إِن أَبا بكْرٍ إِذَا قَام فِي مقَامِك لَم يسمِع الناس مِن الْبكَاءِ، فَمر عمر فَلْيصل لِلناسِ. فَفَعلَتْ حفْصةُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم: (**مَه إِنكُن لأَنْتُن صَوَاحِب يوسفَ. مروا أَبا بَكْرٍ فَلْيصَل لِلناس**)[٣]

رد النّبي صلى ا عليه وسلم في النص نقد عائشة رضي ا عنها لأمره أبيها بالصلاة في النّاس، معلّلة سبب الانتقاد بكونه رقيق النفس والقلب يغلبه البكاء في مثل هذا الموقف، فأعرض صلى ا عليه وسلم عن رأيها، وانتقدها وحفصة رضي ا عنهما نقدا غير مباشر حين شبههما بامرأة العزيز في قوله: **إِنكُن لأَنْتُن صَوَاحِب يوسفَ،** ولم يصرح بمحلّ النقد؛ قال ابن حجر[٤]: المراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن.. ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن امرأة العزيز-المشبَه بها واسمها زليخا- استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة، ومرادها زيادةٌ على ذلك، وهو أن ينْظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونُه لا يسمِع المأمومين

---

(١) النووي، المنهاج(ص١٠٤١)

(٢) عباس/ فضل حسن،(١٩٩٨م)، **البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع)**، ط٣، عمان، دار الفرقان، (ص١١٣،٧٥)

(٣) رواه البخاري في كتاب: الأذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة(ص١٤٨/ح٦٧٩)، ومسلم في الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر أو غيرهمامن يصلي بالناس..(ص٢٠١/ح٤١٨)، والترمذي في المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر(ص١٠٥٠/ح٣٦٩٢)، والنسائي في الإمامة، باب: الائتمام بالإمام يصلي قاعدا(ص١٢٩/ح٨٣٥)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الرسول صلى ا عليه وسلم في مرضه(ص٢٩٠/ح١٢٣٢)، ومالك في الموطأ، كتاب: قصر الصلاة في السفر، باب: جامع الصلاة(ج١/ص١١٠/ح٨٣)، وأحمد في المسند(ج٤٣/ص٦٠/ح٢٥٨٧٦)، جميعهم من رواية عائشة رضي ا عنها.

(٤) ابن حجر، الفتح(ج٢/ص١٩٥)

القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به. وهو ما صرحت به بعد ذلك فقالت: (**لَقَد رَاجَعتُ رَسولَ ا صَلى ا عَلَيهِ وَسَلَمَ فِي ذَلِكَ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إلا أنه لم يَقَع فِي قَلْبِي أن يحِب الناس بَعدَه رَجلا قَامَ مَقامَه أبَدا، وَلا كُنْتُ أُرَى أنه لن يَقُومَ أَحَد مَقَامَه إلا تَشَاءَمَ الناس بِهِ، فَأَرَدتُ أَن يَعدِلَ ذَلِكَ رَسولُ ا صَلى ا عَلَيهِ وَسَلَمَ عَن أَبِي بَكْرٍ**)[1].

وفي نقده صلى ا عليه وسلم زجرين، أحدهما مباشر بصيغة الزجر **مه**، والثاني غير مباشر بتشبيه فعلهما -عائشة وحفصة- بفعل امرأة العزيز، وفيه زجر شديد، ولأجله عدلَ صلى ا عليه وسلم عن تناوله محلّ النقد مباشرة إلى إبرازه بهذا التشبيه الزاجر، فقد أراد النبي صلى ا عليه وسلم حسم أمر الإمامة بالناس من بعده وقطع الرأي والاختلاف فيه، واحتيج مثله إلى الزجر والتوبيخ. فكان أسلوب المواراة بالتشبيه أبلغ في تحقيق ذلك من التصريح بالأمر.

٥. وعن أَبِي وَاقِدٍ اللَيثِي رضي ا عنه أَن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم لَما خَرج إِلَى حنَينٍ مر بِشَجرةٍ لِلْمشْرِكِين يقَالُ لَها ذَاتُ أَنْواطٍ، يعلقُون علَيها أَسلِحتَهم. فَقَالُوا: **يا رَسولَ اللهِ اجعَلْ لنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لهم ذَاتُ أَنْوَاطٍ**، فَقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: (**سبحَانَ اللهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوم موسَى اجعَلْ لنَا إِلَها كَمَا لهم آلِهَةٌ. وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لتَركَبن سنةَ مَن كَانَ قَبلَكُم**)[2]

قوله: **ذَاتُ أَنْوَاطٍ**، اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينُوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها[3].وقوله سبحان ا : قاله تنزيها وتعجبا[4] من طلبهم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب مرض النبي صلى ا عليه وسلم ووفاته..(ص٩١٧/ح٤٤٤٥)، ومسلم في الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر أو غيرهمامن يصلي بالناس..(ص٢٠٢/ح٤١٨) كلاهما من طريق الليث ين سعد عن عقَيل بن خالد عن ابن شهاب الزهري عن عبيد ا بن عبد ا بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي ا عنها.

(٢) رواه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم(ص٦٣٧/ح٢١٨٧) واللفظ له، وأحمد في المسند(ج٣٦/ ص٢٢٥/ح٢١٨٩٧) بنحوه، كلاهما من طريق ابن شهاب الزهري عن سِنان بن أبي سنان عن أبي واقد اللّيثي عوف بن الحارث رضي ا عنه. **والحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.**

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص٨٠٥)

(٤) محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي(ج٢/ص١٧٧٠)

أراد النبي صلى ا عليه وسلم نقد طلبهم والمتضمن تقليد المشـركين أولا، والابتـداع ثانيا، فعدل عن تناولهما بشكل مباشر إلى تشبيههما بطلب قوم موسى عليه السلام من نبـيهم أن يجعل لهم معبودا في الأرض كما لغيرهم من الأمم، ووجه الشّبه بينهما التقليـد واتبـاع أهـل الأهواء، والابتداع في الدين ما ليس منه. وفي هذا التشبيه زجر عظيم لهم عن طَرق مثل هـذه الأمور أو حتى مجرد التفكير فيها، فعلى الرغم من أن طلبهم لم يكن على قدر طلب قوم موسى عليه السلام في الخطورة، إلا أن فتح المجال في مثل هذه الأمور قد يقود إلـى مـا هـو أشـد وأخطر، كما قاد قوم موسى عليه الصلاة والسلام إلى تبديل دينهم وتغييره من بعده. فأدى النقـد النّبوي في النّص بالتشبيه الغَرض من إيقاع الأمر في نفوسهم موقعه الصحيح وتحذيرهم منه، إذ لم يبد لهم على هذه الدرجة من الخطورة، إلا بعد كَشْفِ النبي صلى ا عليه وسلم عن سـلبيات مثل هذا النوع من التفكير المقلّد المتبِع، بلا نَظَرٍ في الأمور، أو قِياسٍ لها بالمقياس الصحيح.

وقوله صلى ا عليه وسلم: **لتركبن**: أي لتتبعن. **وسنةَ**، طريق مـن قـبلكم، والمـراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر(١).

٦. وعن حكِيم بن حِزامٍ رضِي الله عنْه قالَ: **سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَـلمَ فَأعطانِي، ثُم سَأَلْتُه فَأعطانِي، ثُم سَأَلْتُه فَأعطانِي.** ثُم قالَ: (**يَا حَكِيم إِن هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حلْوَةٌ، فَمَن أَخَذَه بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بورِكَ له فِيهِ، وَمَن أَخَذَه بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لم يبَارَك له فِيهِ، كالذِي يَأْكُـلُ وَلا يَشْبَع. اليَد العلْيَا خَير مِن اليَدِ السفْلَى**) قَالَ حكِيم فَقُلْتُ: **يَا رَسولَ اللهِ وَالذِي بَعَثَكَ بِالْحَق لا أَرزَأُ أَحَدا بَعدَكَ شيَئًا حَتى أُفَارِقَ الدنيَا.** فَكَان أَبو بكْرٍ رضِي الله عنْه يدعو حكِيما إِلَى الْعطَـاءِ فَيَأْبى أَن يقْبلَه مِنْه. ثُم إِن عمر رضِي الله عنْه دعاه لِيعطِيه فَأَبى أَن يقْبلَ مِنْه شيَئًا. فَقَالَ عمر: إِني أُشْهِدكُم يا معشَر الْمسلِمِين علَى حكِيمٍ، أَني أَعرِض علَيهِ حقه مِن هذَا الْفَيءِ فَيَأْبى أَن يأْخُذَه. فَلَم يرزأْ حكِيم أَحدا مِن الناسِ بعد رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم حتى تُوفي(٢).

عدلَ النبي صلى ا عليه وسلم عن تناول محلّ النقد في النّص بشكل مباشر، وهو تتابع حكيم في طلب المال، ورغبته بالازدياد منه فوق حاجته، وأشار إليه من خلال التشبيه الوارد في

---

(١) النووي، المنهاج(ص١٨٨٧)

(٢) رواه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف في المسألة(ص٣٠٦/ح١٤٧٢)، ومسلم في الزكاة، باب: بيـان أن اليد العليا خير من اليد السفلى..(٤٧٢/ح١٠٣٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، بـاب(ص٧١٢/ح٢٤٧١)، والنسـائي فـي الزكـاة، بـاب: مسـألة الرجـل فـي أمـر لابـد لـه منـه(ص٣٨٣/ح٢٦٠٥)، وأحمـد فـي المسند(ج٢٤/ص٣٤١/ح١٥٥٧٤)، والدارمي في الرقاق، باب: الدنيا خضرة حلوة(ص٩٠٣/ح٢٧٥٢)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب عن حكيم بن حزام رضي ا عنه.

قوله صلى ا عليه وسلم: **إن هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حلْوَةٌ**... قال ابن حجر: شـبهه بالرغبـة فيـه والميل إليه وحرص النفوس عليه، بالفاكهة الخضراء المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه علـى انفراده بالنسبة إلى اليابس، والحلو مرغوب فيه على انفراده بالنسبة للحامض، فالاعجاب بهمـا إذا اجتمعا أشد. وضرب لهم المثل بما يعهدون، فالآكل إنّما يأكل ليشبع فإذا أكل ولم يشبع كـان عناء في حقه بغير فائدة، وكذلك المال ليست الفائدة في عينه وإنّما هي لما يتَحصـل بـه مـن المنافع، فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة كان وجوده كالعدم(١).

وأداؤه صلى ا عليه وسلم النقد على هذه الصورة غير المباشرة، بالإضافة لما يحققـه من خلال المشابهة والتمثيل من تقريب فهم حكيم لمراده صلى ا عليه وسلم، وقطع الظن عليه بأن المقصود منعه من العطاء أو قضاء حاجته، فإنّه يحقق كذلك تجنيبه الوقوع فـي الإحـراج والضيق نظرا لحساسية موقفه، إذ كان يقف موقف السائل المحتاج، وكان النّبي صلى ا عليـه وسلم عطوفًا على الناس يرحم احتاجاتهم ويقدر مطالبهم. ذكر ابن حجر من فوائد الحديث أنّه لا ينبغي للإمام أن يبين للطالب ما في مسألته من المفسدة إلا بعد قضاء حاجته لتقع موعظتـه لـه الموقع، لئلا يتخيل أن ذلك سبب لمنعه من حاجته(٢)

وقوله صلى ا عليه وسلم في النص: **فَمَن أَخَذَه بِسَخَاوَةِ نَفْـس**: أي بغيـر شَـرهٍ ولا إلحاح، **وَمَن أَخَذَه بِإِشْرَافِ نَفْس**: إشراف النفس تطلعها إليه، وتعرضها له وطمعها فيه. ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه.

وقول حكيم: **لا أَرزَأُ أَحَدا**.. أي لا أُنْقِص ماله بالطلب منه؛ وإنما امتنع من أخذ العطـاء مع أنه حقه لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلـى مـا لا يريـده، ففطمها عن ذلك وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه..

وقول عمر رضي ا عنه: **إني أُشْهِدكُم**.. إنما أشهد عليه لأنه أراد أن لا ينْسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منْع حكيم من حقه(٣).

وفي قوله صلى ا عليه وسلم: **الْيَد الْعلْيَا خَير مِن الْيَدِ السفْلَى**، قال الخطابي: قد يتوهم كثير من الناس أن معنى العليا هو أن يد المعطي مستعلية فوق يد الآخذ يجعلونه عن علو الشيء

---

(١) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص٤٢٨،٤٢٩)، والنووي، المنهاج(ص٧٩٦)

(٢) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص٤٢٨،٤٢٩)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج٣/ص٤٢٨،٤٢٩)، والنووي، المنهاج(ص٧٩٦)

إلى فوق، وليس ذلك عندي بالوجه، وإنّما هو من علاء المجد والكرم، يريد بـه الترفـع عـن المسألة والتعفف عنها[١].

٧. وعن أَبِي هريرةَ رضي ا عنه أَن رسولَ اللهِ صلى الله علَيهِ وسـلم قَضـى فِـي امرأَتَين مِن هذَيلٍ اقْتَتلَتَا، فَرمتْ إِحداهما الْأُخْرى بِحجرٍ فَأَصاب بطْنَها وهِي حامِلٌ فَقَتَلَتْ ولَـدها الَّذِي فِي بطْنِها. فَاخْتَصموا إِلَى النبِي صلى الله علَيهِ وسلم، فَقَضى أَن دِيةَ ما فِي بطْنِها غُرةٌ عبد أَو أَمةٌ. فَقَالَ ولِي الْمرأَةِ الَّتِي غَرِمتْ: **كَيفَ أَغْرَم يا رسولَ اللهِ من لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَقَ ولا استَهَلَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يطَلّ؟** فَقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم: **(إِنمَا هَذَا مِن إِخْوَانِ الْكُهانِ)**[٢] وفي رواية عن الْمغِيرةِ بن شُعبةَ رضي ا عنه (..فَقَالَ بعض عصبتِها: **أَنَدِي من لا طَعِمَ ولَـا شَرِبَ، ولَا صَاحَ فَاستَهَلَ، ومِثْلُ ذَلِكَ يطَلّ؟** فَقَالَ النبي صلى ا عليه وسـلم: **(سَـجع كَسَـجعِ الْأَعرَابِ)**؟[٣]

هذَيل: قبيلة. وقول الرجل **كَيفَ أَغْرَم**: أي أضمن. **ولَا اسـتَهَل**: أي مـا صـاح، مـن الاستهلال وهو رفع الصوت. **ويطَل**: أي يهدر ويلغى ولا يضمن. والمعنى كيف نعطـي ديـة الجنين الذي لم يظهر منه شيء مما يلزم الأحياء من الصياح والأكل وغيرهما[٤]. **وغُرةٌ عَبد أَو أَمَةٌ**: المراد بالغرةِ عبد أو أمة، وهو اسم لكل واحد منهما فعبر بالغرة عن الجسم كله[٥].

---

(١) الخطابي، معالم السنن(ج٢/ص٦٠)

(٢) رواه البخاري في كتاب: الطب، باب: الكهانة(ص١٢٠٤/ح٥٧٦٠،٥٧٥٨)، ومسلم في القسامة والمحاربين..، بـاب: دية الجنين..(ص٨٤٧/ح١٦٨١)، وأبو داود في الديات، باب: في دية الجنين(ص٨٥٦/ح٤٥٧٦)، والنسائي في القسـامة، باب: دية جنين المرأة(ص٦٩٢/ح٤٨٢٠)، وأحمد في المسند(ج١٦/ص٥٣٣/ح١٥٩١٦)، والدارمي في الديات، باب: دية الخطأ، على من هي؟(ص٧٦٦/ح٢٣٨٦)، جميعهم من طريق ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عـن أبي هريرة رضي ا عنه.

جاء في جميع الروايات دون روايتي البخاري ذكر تسمية الرجل وهو حملُ بن مالك بن النابغة الهذَلي. وفيها بعـد قـول النبي:(**هذا من إخوان الكهان**) تفسير من الراوي لمناسبة قوله صلى ا عليه وسلم ذلك، قال:(**من أجل سجعِه الذي سَجَع**)

(٣) رواه مسلم في الكتـاب والبـاب السـابقين لـه(ص٨٤٨/ح١٦٨٢)، وأبـو داود فـي الكتـاب والبـاب السـابقين لـه(ص٨٥٥/ح٤٥٦٨)، والنسـائي فـي القسـامة، بـاب: صـفة شـبه العمـد وعلـى مـن ديـة الأجنّـة وشـبه العمد..(ص٦٩٣/ح٤٨٢٤)، وأحمد في المسند(ج٣٠/ص٨١/ح١٨١٤٨)، أربعتهم من طريق منصور بن المعتمـر عـن إبراهيم بن يزيد بن قيس عن عبيد بن نَضلَة الخُزاعي عن المغيرة بن شعبة رضي ا عنه.

(٤) العظيم أبادي، عون المعبود(ج٧/ص٦٢٢)

(٥) النووي، المنهاج(ص١٢٩١)

وسَجع: أصل السجع القصد المستوي على نَسق واحد، وسجع الكلام: ائتلاف أواخِره على قَصدٍ ونَسقٍ واحد[(١)].

عارض الرجل في النّص الكريم حكم النبي صلى ا عليه وسلم في القضاء بالدية للجنين، وسجع في معارضته قائلا: **كَيفَ أُغْرَم يَا رَسولَ اللهِ مَن لا شَرِبَ وَلا أَكَلَ، وَلا نَطَقَ وَلا استَهَل، فَمِثْلُ ذَلِكَ يطَل؟**، فأجابه النبي صلى ا عليه وسلم بقوله: **(إِنمَا هَذَا مِن إِخْوَان الكُهان)**، فلم ينتقد صلى ا عليه وسلم فكرة تساؤل الرجل حول الحكم من جهة استغرابه له وعدم التسليم به، إذ أن التسليم بالأحكام الشّرعية وإن كان مقصودا شرعا، وواجبا على المسلمين، وإن لم تظهر لهم حكمتها، إلا أن ذلك لم يمنع النّبي صلى ا عليه وسلم من السماح لصحابته بمراجعته في بعض ما صدر عنه من أحكام -وبعض هذه المراجعات ورد في الدراسة-..

فلم ينتقده صلى ا عليه وسلم على ما ذُكِر لعلمه أنّه إنّما أراد بسؤاله تجاوز حدود الاستفهام حول الحكم إلى محاولة إبطاله، مستعينًا على ذلك بأسلوب السجع الذي يجذب المسامع، ويقرب القلوب من الاستجابة والقبول ، فانتقد سلوكه ذلك بشكل غير مباشر بتشبيهه بسلوك الكهنَة، ووجه الشّبه بينهما محاولة كلا منهما إغراء السامعين بقبول كلامهم الباطل بالسجع فيه. قال الخطابي: إنّما ضرب المثل بالكُهان لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين، فيستميلون القلوب ويستَصغون الأسماع إليها[(٢)].

ويكون النبي صلى ا عليه وسلم قد أبرز محلّ النقد ونبه عليه وحذّر منه، دون التصريح به.

قال ابن حجر: المكروه من السجع في الكلام ما يقع مع التكلف في معرض مدافعة الحقّ.. وعلى ذلك يحمل ما ورد عنه صلى ا عليه وسلم.. وعليه يكون السجع مذموما إذا جمع الأمرين من التكلف وإبطال الحقّ[(٣)]. وهو ما ذكره النووي قال: إنما ذم سجعه لوجهين: أحدهما أنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله، والثاني: أنه تكلفه في مخاطبته[(٤)].

فأما إذا وضِع السجع في موضع حق فإنه ليس بمكروه، وقد تكلم الرسول صلى ا عليه وسلم بالسجع في مواضع من كلامه[(٥)].

---

(١) ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثر(ج١/٧٥٦)، والزمخشري،الفائق في غريب الحديث والأثر(ج٢/ص١٢١)

(٢) الخطابي، معالم السنن(ج٤/ص٣١)

(٣) ابن حجر، الفتح(ج١٠/ص٢٦٨)

(٤) النووي، المنهاج(ص١٢٩٢)

(٥) الخطابي، معالم السنن(ج٤/ص٣١)

الفصل الخامس

الرسالة النقدية النّبوية

المبحث الأول: ضوابط الرسالة النقدية النبوية

المطلب الأول: الخلق القويم

المطلب الثاني: العلم والحجة

المطلب الثالث: الموضوعية والحِياد

المطلب الرابع: التحديد والوضوح

المطلب الخامس: الحلّ والبديل

المبحث الثاني: خصائص الرسالة النقدية النبوية

المطلب الأول: خصائص تتصل بالأفراد المنقودين

المطلب الثاني: خصائص تتصل بأدائه صلى ا عليه وسلم النقدي

المطلب الثالث: خصائص تتصل بشخصية الرسول صلى ا عليه وسلم

المبحث الثالث: آثار الرسالة النقدية النبوية

المطلب الأول: آثار تربوية

المطلب الثاني: آثار اجتماعية

يأتي هذا الفصل خلاصة للعرض الذي قدمته الدراسة حول هدي النبي صلى ا عليـه سلم وأسلوبه في النقد، وقد تنوع أسلوبه صلى ا عليه وسلم في تناوله مختلف الأمور بالنقد بما يخْدم أهدافه في الإصلاح والتغيير، والتوجيه والتقويم.

فأخذ أسلوبه النقدي الكثير من الأشكال الأدبية، من تعجب واستنكار ونفي ونهي وتشبيه وضرب للمثل القرآني أو المثل الإنساني وغيرها، كما تراوح بين الرفق والزجـر، والمباشـرة وغير المباشرة، فمرةً ينتزع شخصية المنقود، ومرةً ينتزع محلّ النقد.. وجاء هذا التنوع مراعاة منه صلى ا عليه وسلم لاختلاف فئات المنقودين وظروفهم وأحوالهم.

إلا أن أمورا ارتبطت بأسلوبه وأدائه النّقدي صلى ا عليه وسلم لـم تغادرهـا رغـم اختلاف تلك الظروف والأحوال، ورغم اختلاف المنقودين، من المسلمين على اختلاف نوايـاهم ومطالبهم وتوجهاتهم، ومن المنافقين وما يحملونه من الضغائن والأحقاد، ومن غيـر المسـلمين وما هم عليه من الكفر والضلال، فقد التزمت رسالته النقدية بجملة أمور، تعرضها هذه الدراسة من خلال ما يسمى بالضوابط والخصائص، ثم تبين آثار أدائه النقدي صلى ا عليه وسلم.

المبحث الأول: ضوابط الرسالة النقدية النبوية:

قال الزمخشري: ضبط الشيء: لزمه لزوما شديدا.. ومن المجاز هو ضابط للأمـور[١]. وضوابط الرسالة النقدية النبوية تعني ما التزمه النبي صلى ا عليه وسلم في نقده لزوما شديدا.

المطلب الأول: الخُلُق القويم:

كان أداؤه النقدي صلى ا عليه وسلم على درجة عالية من الخُلُق، شأنه في ذلك كشأنِهِ في الأمور كلها، فالأخلاق من الثوابت التي لازمت شخصية الرسول صلى ا عليه وسلم فـي كل حركاته وسكناته، قبل النّبوة وبعدها وحتى مماته صلى ا عليه وسلم، وقد وصفَ ا تعالى خُلُق نبيه صلى ا عليه وسلم بأنه عظيم، قال تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** سورةالقلم، آية:٤.

فقدم النّبي صلى ا عليه وسلم نقودا خاليةً من الألفاظ والتعبيـرات المسـيئة للطـرف المنقود التي قد تهينه وتحطّ من شأنه، أو تثير المشاعر السلبية لديه من اليأس والإحباط والتقدير المنخفض للذات. وقد مر كيف كان لديه القدرة صلى ا عليه وسلم على زجر المنقود وتوبيخه على محلّ النقد، مع صون كرامته واحترامه لذاته، وقليل من النّاس من يستطيع القِيام بذلك فـي مواقف نقدية تتطلب الحزم أو الزجر والملامة.

المطلب الثاني: العلم والحجة:

كان أداؤه النّقدي صلى ا عليه وسلم يرتكز على العلم والمعرفة، وهما أمران يحتـاج إليهما الناقد حتى يمكنه معالجة محلّ النقد معالجة صحيحة. وإلى جانب العلم والمعرفة كان فـي نقده الخبرة والحكمة، الخبرة بالنّفس البشرية واحتياجاتها ودوافعها ومداخلها ومواقفها، والحكمة في اختيار شكل نقده وأسلوبه، واختيار ألفاظه، وتوقيته المناسِبين.

وقوة الحجة في النقد والرد على النقاد، كذلك من الأمور التي لازمت أداءه النّقدي صلى ا عليه وسلم، كقوله لمن نقده باتهامه بعدم العدل في قِسمة الغنائم: (**فَمَن يطِيع اللهَ إذَا عَصَيتُه؟ فيَأمَنُنِي عَلى أهل الأرض وَلا تَأمَنُونِي؟**)[٢].

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة(ص٢٦٥)

(٢) سبق تخريجه، راجع(ص٩٤)

المطلب الثالث: الموضوعية والحِياد:

كان أداؤه النّقدي صلى ا عليه وسلم موضوعيا بمعنيين:

الأول: التزامه بمحلّ النقد والتركيز عليه وعدم الخروج عنه، فلا يغادره ليطـالَ غيـره على سبيل النّيل من المنقود، أو فتْح دفاتره القديمة لتذكيره بأخطائه وما شابه، وبالتـالي إحكـام قبضتِه عليه.

ويحقق الالتزام بمحلّ النقد توجيه تركيز الجهة المنقودة على الاستماع للناقـد وتقييمـه ومقترحاته، وعدم شغله بأمور كمحاولة الدفاع عن نفسه، أو دفْع الحرج عنها، ورد اعتبارها.

كما يدعم التزام الناقد بمحلّ النقد ثقة المنقود به، وحسن ظنّه بدوافعه في النّقد.

وأخيرا فإن الالتزام بتناول وإبراز محلّ النقد والتركيز عليه، يسهم في تجنّب تناول الأشـخاص بالتجريح والمهانة وما شابه.

الثاني: بمعنى الحِياد والنّزاهة في الموقف النّقدي بعدم التأثر بالتّحيزات التي عـادة مـا يتأثّر بها المرء في نقده وأحكامه، كالدوافع الشخصية، وغَلَبة رغبات الفرد الخاصة والذّاتية، أو تقييم الأمور حسب قِيمه ومواقفه الخاصة، فالموضوعية هنا تعني الحِياد، أي غِياب كلّ عوامـل التّحيز، مهما كان المنقود مخالف له في الرأي والاتجاه، أو حتى في العقيدة.

وتحقق الموضوعية بمعنى الحِياد العدل والإنصاف للجهة المنقودة، كما تكون آراء الناقد وأحكامه في المنقود ومحلّ النقد أقرب إلى الحقّ والصواب.

المطلب الرابع: التحديد والوضوح:

فرسالته النّقدية صلى ا عليه وسلم ذات مضمون محدد وواضح، لا غموض فيهـا ولا لبس، ولا تحيير للمنقود، ينْقُد في موضع النّقد دون غيره، حتى في تلك المواقف التي قدم نقـده صلى ا عليه وسلم ومراجعته فيها بأسلوب غير مباشر. ولذلك نجد تعبيراتـه النّقديـة بليغـة، مختصرة، بعيدة عن الإطالة، لا تداخل فيها بين الأفكار.

ولا يخفى أن تحديد مضمون الرسالة النّقدية وتوضيحها، تُعين المنقود على لمس موضع الخلل فيما صدر عنه وفهمه، وهو أدعى في تمام حصول الفائدة، وتحقيق هدف النقد.

المطلب الخامس: الحلّ والبديل:

في أدائه النّقدي صلى ا عليه وسلم طالما وجد النقد، فلا بد أن يوجد الحلّ والبديل عن المحلّ المنْتَقَد.

وتعبيره صلى ا عليه وسلم عن الحلّ والبديل يختلف باختلاف الموقف، فنجده أحيانًا يصرح بالبديل، كما في قوله لمعاذ حين انتقد تطويله بالناس في الصلاة حتى خرج أحدهم منها: (يا معاذُ أَفتان أَنْتَ؟.. **اقْرَأْ وَالشمسِ وَضحَاهَا وَسَبح اسمَ رَبكَ الأعلى وَنَحوَهَا**)[١]، وكقوله لمن أساء التعبير في خطبته: (بِئْس الْخَطِيب أَنْتَ، **قُلْ وَمَن يَعص اللهَ وَرَسوله فَقَد غَوِيَ**)[٢].

وأحيانًا يكتفي صلى ا عليه وسلم بالإشارة إلى البديل دون التصريح به من خلال التعريض، كقوله للذي طرق بابه، فسأل عنه فأجابه **بأنا**، فقال النبي صلى ا عليه وسلم: (**أَنَا، أَنَا**)!، والبديل الذي يفهمه المنقود هنا أن الإجابة تكون بما يكشف عن هوية الطارق، لا بما يزيدها إبهاما.

وأحيانًا كانت تكفي قوة تعبيره صلى ا عليه وسلم عن محلّ النقد، وبلاغتة فيه، لدفع المنقود لفهم وإدراك ما عليه القيام به كحل وبديل عن موضع النقد، من ذلك قول النبي صلى ا عليه وسلم لحكيم وقد بالغ في مسألته: (**يَا حَكِيم إِن هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حلْوَةٌ، فَمَن أَخَذَه بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بورِكَ له فِيهِ، وَمَن أَخَذَه بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لم يبَارَك له فِيهِ، كالذِي يَأْكُلُ وَلا يَشبَع. اليَد العلْيَا خَير مِن الْيَدِ السفْلَى**) قَالَ حكِيم فَقُلْتُ: **يَا رَسولَ اللهِ وَالذِي بَعَثَكَ بِالْحَق لا أَرزَأُ أَحَدا بَعدَكَ شَيئًا حَتى أُفَارِقَ الدنْيَا**[٣].

فهنا تدرج النبي صلى ا عليه وسلم مع حكيم حتى قدم البديل لنفسه بنفسه. ودفْع الناقد المنقود لتقديم الحلّ والبديل لنفسه، والمشاركة في التغيير والإصلاح، هو أمر على درجة عالية من الحكمة والمهارة في التعامل مع الآخرين، والقدرة على استخراج ما في نفوسهم من الحقّ والخير والصلاح، واستحثاث هممهم. وهو أقوى في قبول النقد والتأثر به بشكل إيجابي.

فهذه الخمسة ينبغي ألا تتخلّف عن العملية النّقدية، إذ لا تتكامل إلا بها، وهي طريقها نحو النجاح وتحقيق أهداف النقد.

---

(١) سبق تخريجه وشرحه، راجع(ص١٥٨)

(٢) سبق تخريجه وشرحه، راجع(ص٦٧)

(٣) سبق تخريجه وشرحه، راجع(ص٢٠٥)

المبحث الثاني: خصائص الرسالة النقدية النبوية:

تختص رسالته النّقدية صلى ا عليه وسلم بجملة أمور، منها ما يتصل بالأفراد المنقودين، ومنها ما يتصل بأسلوبه النقدي وأدائه فيه، ومنها ما يتصل بشخصه كناقد أو منقود.

المطلب الأول: خصائص تتصل بالأفراد المنقودين:

من أبرزها وأهمها:

١. تراعي الفروق الفردية بين الأفراد.
٢. تُراعي ظروف الأفراد، وحالاتهم النفسية.
٣. تعرف شخصية المنقود، ولا تجهله.
٤. لا تُميز بين الأفراد، أو تُحابي أحدا على حسابٍ أحد.
٥. لا تستهدف شخوص المنقودين أو ذواتهم، ولا تُظهر عيوبهم أو تشهر بهم، بل تحافظ على كرامتهم، وترفع من تقديرهم لذواتهم، وتبتعد عن إثارة واستفزاز المشاعر السلبية لديهم.
٦. تفترض في المنقود حسن النّية.
٧. تُحاسب المنقود على الظاهر، ولا تُفَتش في البواطن.
٨. تُعطي المنقود فرصة التقويم الذّاتي، كما تعطيه فرصة الدفاع عن النفس.
٩. تُظهر المودة والتعاطف والرحمة مع الجهة المنقودة.

المطلب الثاني: خصائص تتصل بأدائه صلى ا عليه وسلم النقدي:

ومن أهمها:

١. أداء حازم، لا يتهاون مع الخطأ، أو يماري فيه أو يهادن، ويحِيط الشخص بنتائج عمله.
٢. ملم بمحلّ النقد، عارف بموضوعه، يتحقق منه إن كان منقولا إليه.
٣. علمي وتربوي، مقنع وحكيم، عملي لا تنظيري، ومنْتِج لا عقيم.
٤. بعيد عن المبالغة في المديح، وعن الإطاحة والتحطيم.

٥. عادل ومنْصِف، صادق وهادئ.
٦. متنوع الأسلوب والأداء.
٧. ألفاظه النقدية دقيقة تعبر عن المعنى المقصود، وتخاطب المنقود على قدر فهمه. كما تخاطبه بألفاظ مهذبة، بعيدة عن استعمال المسيء منها.
٨. يدفع نحو التحسين والتغيير.
٩. يركّز على السلوك، أو الأمر الصادر عن الجهة المنقودة.
١٠. يتجنّب تعميم الخطأ على شخص المنقود.
١١. يوجه النقد ومحلّ النقد لا زال حيا في الذاكرة.
١٢. موظّف لخدمة الدعوة ونصرة الدين.
١٣. يتعامل مع الإيجابيات والسلبيات، ولا يقتصر على السلبيات.
١٤. فيه تدرج، واستئلاف، ويقدم للنقد بمقدمات، وينتقل من اليسير إلى الشّديد.
١٥. لا يتجاوز محلّ النقد إلى غيره.
١٦. يوضح أسباب النقد إذا تطلب الأمر ذلك.

المطلب الثالث: خصائص تتصل بشخصية الرسول صلى ا عليه وسلم:

وهي كثيرة أبرزها:
١. الصبر.. على الناقد المسيء في نقده، وعلى المنقود عند عدم تقبله.
٢. التواضع، وتجنّب إظهار التفوق ببعد النّظر، أو كثرة المعرفة، أو قوة النفوذ والسلطة.
٣. رحابة الصدر في تقبل مقترحات الآخرين النّقدية.
٤. البعد عن التّسرع في الحكم.
٥. المرونة.
٦. تقبل الذات والآخر.
٧. الشعور بالمسؤولية تجاه الذّات والآخر.

المبحث الثالث: أثر الرسالة النّقدية النّبوية:

المطلب الأول: آثار تربوية:

وأهمها:

١. تربية الفرد على محاسن الأخلاق ومكارمها، وعلى أن الامتياز الحقيقي في التعامل مع الآخرين يأتي من هدوء النفس وكرم الطباع.
٢. تعديل السلوكيات وتقويم الانحرافات، وبالتالي تحسين ورفع مستوى الأفراد على الصعيدين الشخصي والعام.
٣. تحقيق ذاتية الفرد بإتاحة الحرية له في النقد وإبداء الرأي والمشاركة في البناء والتقويم، وبالتالي رفع الشعور بالقيمة الذاتية لدى الفرد، والرضا عن النفس، وهو ما يحقق الاستقرار النفسي والشعور بالسعادة للإنسان.
٤. تنمية قدرات الفرد الفكرية والعقلية، وتعليمه الموضوعية والحيادية، والدقة في الكشف عن الأمور، وتناولها بالتحليل والمناقشة بشكل مثمر وسليم.
٥. تربي الفرد على التّوازن والعقلانية في تناول الأمور، وعلى الاحتفاظ بقدر من الانفعال يساعد على توجيه التعامل مع المواقف توجيها صحيحا، دون أن يكون الإنفعال المفْرط أو الشديد سببا في فقدان القدرة على تقدير الموقف كما يجب، ودون أن يطغى على العقل والمنطق، فينبغي أن يكون كلا من الإنفعال والتعقل حاضِرين في ذهن الفرد دون أن يطغى أحدهما على الآخر.
٦. تربي الفرد على حسن التفاعل والتعايش مع الذات، من خلال فهمها وتقبلها والتسامح معها.
٧. تربي الفرد على التفاعل والتعايش الصحيحين مع الآخرين، من خلال تقبل ما يطرحونه من وجهات نظر، والتعامل معها على أنها تستحق الاهتمام والأخذ بجدية وبعين الاعتبار. وينْتج ذلك أمرين مهمين وهما خلق مرونة فكرية وأخرى سلوكية لدى الأشخاص، وخلق القدرة على تقبل الآخرين والتسامح معهم.
٨. تربي الفرد على التسليم بالخطأ والنّقص، والتركيز على إيجاد الحلّ والبديل عنهما.

المطلب الثاني: آثار إجتماعية:

يترتب على تحقق الآثار التربوية للرسالة النقدية النبوية في الأفراد آثارا إجتماعية أهمها:

١. خلق مجتمع إيجابي، يتعامل بجدية مع الأخطاء والمعايب، ويتصدى للانحرافات، ويعمل على تقويمها والحد من أخطارها.
٢. ترسيخ جملة مبادئ تسهم في ارتقاء المجتمعات وازدهارها، وأهمها حرية الرأي والفكر، وتحرير العقل، والمساواة بين الناس في حق التعبير عن النفس.
٣. ترسيخ مبدأ انحسار العصمة عن أي أحد في المجتمع مهما بلغت مكانته الاجتماعية، ومهما كانت صفته.
٤. تحقيق مبدأ التسامح بين الأفراد في المجتمع، بالاعتراف بحقّ الاعتراض والمخالفة في الرأي، وتقبل اختلاف الرؤية للأشياء، والاعتراف كذلك بإمكان التوافق والتعايش بينهم وإن اختلفوا، وبالتالي الحد من جميع أنواع التعصب والطائفية وغيرها من أسباب الانحياز والفُرقة والاختلاف المذموم.
٥. إنشاء مجتمع يتبادل أفراده الثقة والاحترام، ويسعون إلى إنشاء علاقات فاعلة وطيبة، تحقق الاتصال الجيد بينهم.
٦. الموازنة بين المصالح، وتقديم ما فيه تحقيق مصلحة الجماعة.
٧. إتاحة المجال لتبادل الآراء والخبرات في المجتمع، وبالتالي ضمان الاستمرارية في التحسين والتطوير والارتقاء.
٨. تحقيق الشعور بالمسؤلية المشتركة بين الأفراد تجاه الإصلاح والتغيير، وتحقيق التعاون والتضامن الاجتماعي.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

الحمد ا الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الأنام والمرسلين، والـذي قام بأعظم المهمات، ورضي ا عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من العلماء والدعاة العاملين الصادقين المخلصين إلى يوم الدين.

فبفضل ا تعالى تمت هذه الدراسة، والتي أرجو أن أكون قد وفقْت فيها في الإجابـة عمـا أثارته من أسئلة في مقدمتها.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة:

١) أكّدت على حفظ الشريعة الإسلامية لكرامة الإنسان، وصون ذاته واحترامها.

٢) أبرزت الجوانب الإنسانية والأخلاقية والتربوية في شخصية الرسول صـلى ا عليـه وسلم، من خلال تحليل المواقف النقدية التي عرضت في أحاديث الدراسة.

٣) أكّدت على اهتمام النبي صلى ا عليه وسلم البالغ بإصلاح شؤون الأفراد، وأن اهتمامه كان شموليا، يغطي كل ما يتعلق بالإنسان ويتصل بمعاشه.

٤) أبرزت قدرة النبي صلى ا عليه وسلم الفائقة على التعامل مع الإنسان، على اخـتلاف طبائعه واتجاهاته، ومدى مرونته صلى ا عليه وسلم فـي التعـاطي مـع المواقـف والأحداث.

٥) أكّدت على مشروعية الجرح والتعديل، وهو العلم الذي أنشأه أئمة الحـديث وعلمائـه، ويتناول رواة الحديث بالنقد والمراجعة للكشف عن أحوالهم، وإبراز ما هم عليه، وذلـك بالقدر الذي يتطلبه الاحتياط لمرويات النبي صلى ا عليه وسلم.

٦) أن النقد البنّاء في السنة النبوية عملية في سلسلة العمليات الإصلاحية التي تدعو الشريعة الإسلامية إلى ممارستها وتطبيقها في المجتمع، وأنّه يرجع في مشروعيته إلى مشروعية الدعوات الإصلاحية من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والتناصـح، ومحاسـبة النفس، ومن هنا يكتسب موضوع النقد أهمية خاصة.

٧) أن من صور النّقد الهدمي في السنة النبوية الغيبة والتعيير والتحقير، وهي صور ذمتها السنة النبوية، وحذرت من ممارستها.

٨) أن القرآن الكريم وجه انتقادات لمختلف الفئات الواردة فيه، ذكرت الدراسة منها بعضـا مما وجه للنبي صلى ا عليه وسلم، وصحابته الكرام، مما له ذِكْر في السـنّة النبويـة؛ ولا يتعارض توجيهه عز وجلّ النقد مع علمه الإلهي بالغيب، إذ أن القرآن الكـريم لـه طرقه وأساليبه الخاصة في التربية والتوجيه.

٩) أن النّبي صلى ا عليه وسلم مارس النقد الذاتي مع نفسه، رغم عصمته وتأييده، وسمح للآخرين بتوجيه الانتقادات له؛ وفيه ترسيخ لمبـدأين مهمـين مـن مبـادئ الشـريعة الإسلامية، وهما مبدأ حق الفرد في المجتمع الإسلامي في التعبير وإبداء الرأي، ومبـدأ أن لا عصمة لآدمي عن الوقوع في الخطأ، أو ما يمكن المراجعة فيه.

١٠) أن مـواقفه صـلى ا عليه وسلم مـن الانتقادات الـموجهة إلـيه تبـاينت، وذلـك لاعتبارات عـدة، لـعلّ أبـرزها وأهمها دوافـع النّاقد وأهدافه من الانتقاد، ثم أسلوبه وأداؤه النقدي.

١١) أن النّبي صلى ا عليـه وسلم قد تـرك النّقد في مواقف كـان الشّأن فيها أن تُنْتَقَـد، لأسباب منها ما يتعلق بحالة المنقود الشعوريـة، ومنها ما يتعلق بالظـرف الزمـاني أو المكاني، وما إلى ذلك.

١٢) أن ما تُسجله المنظمات والمؤسسات وغيرها من التجمعات على لوائحها الداخلية مـن ضرورة تطبيق النقد الذاتي عليها لضمان سلامتها واستمرارها، هو مبدأ سجله النّبـي صلى ا عليه وسلم قبل مئات السنين.

١٣) أن أسلوب النبي صلى ا عليه وسلم في تناول ما يـصدر عـن الآخرين لـم يكـن جامدا أو على قالبٍ واحد، بل تنوع بما يحقق أهدافه من النقد.

١٤) أن النّبي صـلى ا عـليه وسلـم استعمـل أسـلوب الزجـر والتـوبيخ في نقـوده ومراجعاته بشكل كـبير، وقـد يكون هذا مستَغْـربا، أو قـد يقـول قـائل إن هـذا يتعارض مع الدعـوة إلـى الرفـق واللين في القول، إلا أنّـه بالنّظـر فـي المواقف التي تضمنت هذا الأمر، يلاحظ أنّه صلى ا عليه وسلم، كـان يزجر في نقـوده بـل ويشـدد أحيـانًا فـي زجـره ردعـا وتحذيـرا عـن محـلّ الـنقـد، ولكـن دون أن يوصـل المنقـود إلى حالـة يشعر فيها باحتقار نفسه أو استصغارها، وهو ما كان يساعـد المنقـود عـلى تركيـز فـكره في مضمـون رسالتـه النّقديـة صـلى ا

عليه وسلم، لا في الذات أو غيرها، فقد كان يفصل صلى الله عليه وسلم بين ما يحتاجه الموقف من التشديد، وبين كرامة الشخص واحترامه لذاته.

وأحسب أن هذه النتيجة من أهم نتائج الدراسة، إذ النظرة السائدة حول النّقد أن يؤَدى دائما بالرفق واللين، مهما كان الموقف الصادر عن الآخر، إلا أن بعض المواقف كتلك التي تعرض الدراسة بعضا منها تحتاج إلى لغة نقدية زاجرة، بل وبالغة في الزجر أحيانًا، لا إلى لغة حانِية رحيمة، فمثل هذه اللغة مع مثل تلك المواقف تُفقِد العملية النّقدية وقعها وتأثيرها في الآخر.

على أن لا يصيب الناقد بهذا الأسلوب ذوات الآخرين، ويراعي ما كان يراعيه النّبي صلى الله عليه وسلم ويعمل عليه، من رفْع الشعور بالقيمة الذاتية لدى الأشخاص لا الحطّ منها.

١٥) أن رسائله النقدية كانت تدعو إلى نبذ العنْف، وترك المبالغة والفحش في الكلام ورد الفعل.

ثانيا: التوصيات:

بعد هذه الدراسة واستخلاص أهم النتائج، تُقدم الباحثة بعض التوصيات، والتي ترجو أن تنال القبول.

أولا: دراسة منهج القرآن الكريم في تناول ما يصدر عن البشر على اختلاف فئاتهم وعقائدهم بالنقد والمراجعة، فقد تناول القرآن بعض ما صدر عن الرسل والأنبياء، قامت هذه الدراسة بإبراز بعضٍ منها في المبحث الخاص ببيان مشروعية النقد، وتناول فئات أخرى من المسلمين وغيرهم من الكفار والمنافقين؛ كما أن القرآن الكريم عرض مراجعات الكفار والمنافقين لأنبيائهم حول دعواتهم ورسالاتهم، ويمكن بجمع الآيات التي يرد فيها نقد ومراجعة عمل دراسة حول منهج القرآن الكريم في الانتقاد.

ثانيا: دراسة مواقف الصحابة رضوان الله عليهم النّقدية الواردة في المصنفات الحديثية، والتي تحمل الكثير من الحِكَمِ والعِبر، لم يتّسع مجال البحث والدراسة لإبرازها والكشف عنها؛ ولقد صرح الخلفاء الراشدون على منابر الحكْم والخلافة، بدعوة جميع المسلمين لتناول أعمالهم

وما يصدر عنهم بالتمحيص والمراجعة والتقييم، بل وتقويم المعوج منها، وهو موقف عرفَ لهم، وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عمق فهمهم لأهمية عمليات المراجعة والتقويم، ودورها في إبراز ما يتطلب الإصلاح والتغيير.

ثالثًا: تعميق الدراسة حول مواقف النّبي صلى ا عليه وسلم تجاه النقود الصادرة عن المنافقين والمتملّقين وضعاف النفوس والإيمان.. وكيف كان يحد بأسلوبه في الرد على نقودهم أو في تناول ما يصدر عنهم، من أذاهم وهجومهم على الإسلام والمسلمين.

رابعا: الاهتمام بالدراسة والبحث في السنة النبوية حول الموضوعات ذات التّوجه الإنساني، والتي من شأنها إعداد المسلم وتأهيله، وتزويده بما يحتاج إليه من المهارات والأساليب، في تعامله مع ذاته والآخرين، ومن ثم توظيف تلك المهارات والأساليب في خدمة هذا الدين.

خامسا: توعية المجتمع المسلم على اختلاف مؤسساته - بدء بالمؤسسة الأسرية وانتهاء بمؤسسة الحكم - إلى أهمية ممارسة النقد بشكله البنائي، وتقبله طالما كان يهدف إلى الإصلاح والتغيير.

سادسا: توعية المؤسسات التعليمية - بشكل خاص- على اختلاف مراحلها.. وتوعية العاملين فيها، إلى خطورة ممارسة النّقد بشكله الهدمي مع طلبة العلم والدارسين، وخاصة طلبة المراحل الأولى والذين هم بحاجة إلى بناءٍ نفسي صحي وسليم.

ويعتبر المعلم المحطّة الأهم في حياة كلّ طالب علم، فهو من ناحيةٍ يمثل المربي قبل كونه المعلم، ومن ناحية أخرى يفوق تأثيره على الطالب تأثير النّواة الأولى في تكوينه وهما الوالدين، نظرا لما يقضيه الطالب من الوقت في المؤسسة التعليمية، أضِفْ إليه تأثر وقته الباقي ونشاطاته، بل توقفها أحيانًا على ذلك الوقت.

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين

والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الصادق الأمين

المراجع

ابن الأثير/المبارك بن محمد(ت٦٠٦هـ), **النّهاية في غريب الحديث والأثر**، ط١، (تحقيق: خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت، (٢٠٠١هـ).

الألباني/ محمد ناصر الدين, (١٩٩١م)، **ضعيف سنن الترمذي**, ط١، (تعليق: زهير الشاويش), المكتب الإسلامي.

صحيح سنن أبي داود، مؤسسة غِراس،الكويت، (٢٠٠٢م).

سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٨٥م).

صحيح سنن ابن ماجه، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٨٦م).

صحيح سنن النسائي، ط١، (تحقيق: زهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٨٨م).

ضعيف سنن ابن ماجه، ط١، (تحقيق: زهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٨٨م).

الألوسي/ محمود(ت١٢٧٠هـ), **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**, ط١،(ضبط: علي عبد الباري عطية), دار الكتب العلمية، بيروت.

أمين/ حلمي أمين، (١٩٩٨م)، **الحوار الفكري في القرآن الكريم(المناظرة والمجادلة والمحاجة)**، ط١، دار النهضة الإسلامية.

البخاري/ محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ), **صحيح البخاري**, (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد), مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، (٢٠٠٣م).

الأدب المفرد, ط١، (تحقيق: محمد الألباني), دارالصديق، السعودية, (١٩٩٩م).

البغوي/ الحسين بن مسعود(ت٥١٦هـ)، **شرح السنة،** ط٢، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، بيروت.

البيهقي/ أحمد بن الحسين(ت٤٥٨هـ), **السنن الكبرى**, ط١، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا), دار الكتب العلمية، بيروت, (١٩٩٤م).

الجامع لشعب الإيمان، ط١، (تحقيق: عبد العلي حامد)، مكتبة الرشد، الرياض، (٢٠٠٣م).

معرفة السنن والآثار، ط١، (تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي)، دار الوفاء، المنصورة، (١٩٩١م).

الترمذي/ محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ), **سنن الترمذي**, ط١، (تخريج: صدقي جميل العطار), دار الفكر، بيروت, (٢٠٠٢م).

التهانوي/ محمد علي(١١٥٨هـ), **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**, ط١، (تحقيق: علي دحروج), مكتبة لبنان، بيروت, (١٩٩٦م).

الثعالبي/ عبد الملك بن محمد(ت٤٣٠هـ), **فقه اللغة وأسرار العربية**, ط١, (ضبط: ياسين الأيوبي), المكتبة العصرية، صيدا, (١٩٩٩م).

الحاكم/ محمد بن عبد ا (ت١٤٥هـ), **المستدرك على الصحيحين في الحديث**, مطابع النصر الحديثة، الرياض.

الحايك/ عطا ا بن قسيم, (٢٠٠١م)، **قبسات من التأديب التربـوي عنـد المسـلمين**, ط١، الرياض: دار هجر.

الخطابي/ حمد بن محمد(ت٣٨٨هـ), **معالم السنن**, ط١, (تخريج وترقيم: عبد السـلام عبـد الشّافي محمد), دار الكتب العلمية، بيروت, (١٩٩١م).

الدارقطني/ علي بن عمر(ت٣٨٥هـ)، **الضعفاء والمتروكين،** ط١، (تحقيق: صبحي البـدري السامرائي)، مؤسسة الرسالة، (١٩٨٤م).

ابن أبي الدنيا/ عبد ا بن محمد(ت٢٨١هـ), **محاسبة النفس والإزراء عليها**, ط١، (تحقيق: مصطفى بن علي بن عوض), دار الكتب العلمية، بيروت, (١٩٨٦م).

الذهبي/ محمد بن أحمد(ت٧٤٨هـ)، **المغني في الضعفاء**, ط١، (تحقيق: أبي الزهـراء), دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٧م).

الزبون/ أحمد محمد عقلة, (١٩٩٩م)، **الثواب والعقاب في الفكر التربوي الإسـلامي خـلال العصر العباسي**, رسالة ماجستير, الجامعة الأردنية، عمان.

الزبيدي/ محمد مرتضى(ت١٢٠٥هـ), **تاج العروس من جواهر القاموس**, الناشـر:حكومـة دولة الكويت, (١٩٧١م).

الزمخشري/ محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ), **أساس البلاغـة,** ط١، (تحقيـق: عبـد الـرحيم محمود), مطبعة أولاد أورفاند, (١٩٥٣م).

السندي/ محمد بن عبد الهادي(ت١١٣٨هـ)، **سنن النسـائي بشـرح السـيوطي وحاشـية السنْدي،** ط٣، (تحقيق: مكتب التراث الإسلامي)، دار المعرفة، بيروت، (١٩٩٤م).

سنن ابن ماجه بشرح الإمام السنْدي، ط١، (تحقيق: خليل مـأمون شـيحا)، دار المعرفـة، بيروت، (١٩٩٦م).

السهارنفوري، خليل أحمد(ت١٣٤٦هـ)، **بَذْل المَجهود في حَل أبي داود**، ط١، (تعليق: محمد زكريا الكاندهلوي)، دار الريان للتراث، مصر، (١٩٨٨م).

الشايب/ أحمد, (١٩٥٥م)، **أصول النقد الأدبي**, ط٥، مصر: مكتبة النهضة.

الشوكاني/ محمد بن علي(ت١٢٥٠هـ), **فتح القدير**, ط١، دار ابن حزم، بيروت, (٢٠٠٠م).

الصايغ/ عبد ا أحمد،(١٩٨٣م)، **الموضوعية في البحث الاجتمـاعي**، رسـالة ماجسـتير، جامعة دمشق.

الصنعاني/ محمد بن إسماعيل(ت١١٨٢هـ), **سبل السلام الموصلة إلى بلـوغ المـرام**, ط١، (تحقيق: طارق بن عوض ا بن محمد), دار العاصمة، السعودية, (٢٠٠١م).

الطبراني/ سليمان بن أحمد(ت٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، ط٢، (تحقيق: حمدي عبـد المجيـد السلفي)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، (١٩٨٣م).

مسند الشّاميين, ط١، (تحقيق: حمدي السلفي), مؤسسة الرسالة, (١٩٩٦م).

الطّيبي/ الحسين بن عبد ا (ت٧٤٣هـ), **الكاشف عن حقائق السـنن**, ط١، (تحقيـق: عبـد الحميد هنداوي), مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة-الرياض، (١٩٩٧م).

العظيم آبادي/ محمد(٨٥٧هـ), **عون المعبود شـرح سـنن أبـي داود**, (تخـريج: عصـام الصبابطي), دار الحديث، القاهرة (٢٠٠١م).

العمري/ أكرم ضياء, (١٩٧٢م)، **بحوث في تاريخ السنة المشـرفة**, ط٢، بغـداد: مطبعـة الإرشاد.

العمري/ محمد علي قاسم, (٢٠٠٠م)، **دراسات في منهج النقد عند المحدثين**, ط١, عمـان: دار النفائس.

العودة/ سلمان، مقالة بعنوان لماذا نخاف النقد؟. بتاريخ ١٤٢٥/٧/٧هـ

http://www.alarabnews.com/alshaab/٢٠٠٥/١١-٠٣-٢٠٠٥/salman.htm

مقالة بعنوان مقدمة في منهج النقد. بتاريخ١١/٣/٢٠٠٥م

http://www.awalethnain.com/view_archive.asp?archive_no=٢١

الفيروز آبادي/ محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ), **القاموس المحيط**, ط٦، (تحقيق: مكتبة التّراث في مؤسسة الرسالة), إشراف محمد نعيم العرقسوسي, مؤسسة الرسالة.

القرضاوي/ يوسف،(١٩٩٢م)، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ط٤، القاهرة: مكتبة وهبة.

القضاة/ ريم فرحان, (١٩٩٢م)، **العقاب في التربية الإسلامية**, رسـالة ماجسـتير, جامعـة اليرموك, (الأردن).

القللي/ محمد مصطفى, (١٩٤٨م)، **في المسئولية الجنائية**, القاهرة: مطبعـة جامعـة فـؤاد الأول.

المباركفوري/ محمد بن عبد الرحمن(ت١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي شرح جـامع الترمـذي**، (تخريج: رائد بن أبي علفة)، بيت الأفكار الدولية.

مِنّة المنعِم شرح صحيح مسلم, ط١, دار السلام، الرياض, (١٩٩٩م).

المرصفاوي/ حسن صادق, **المرصفاوي في قانون العقوبات تشريعاً وقضاء في مائة عـام**, الإسكندرية: دار المعارف.

المناوي/ محمد عبد الرؤوف(ت١٠٣١هـ), **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديـث البشير النذير**, ط١، (ضبط وتصحيح: أحمد عبد السـلام), دار الكتـب العلميـة، بيـروت، (١٩٩٤م).

الميداني/ عبد الرحمن حسن حبنكه، (١٩٩٦م)، **فقه الدعوة إلى ا وفقه النصح والإرشـاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**, دار القلم, دمشق.

النجار/ عماد عبد الحميد, (١٩٧٧م)، **النقد المباح دراسة مقارنـة**, القـاهرة: دار النهضـة العربية.

النسائي/ أحمد بن شعيب(٣٠٣هـ)، **سنن النسائي(المجتَبى)**، ط١، دار ابن حـزم، بيـروت، (١٩٩٩م).

السنن الكبرى، (تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسـروي حسـن)، دار الكتـب العلمية، بيروت،(١٩٩١م).

الضعفاء والمتروكين, ط٢، (تحقيق: بوران الضناوي وكمال الحوت), مؤسسة الكتب الثقافية, (١٩٨٧م).

النووي/ يحيى بن شرف(ت٦٧٦هـ), **المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج**, ط١, دار ابن حزم, عمان، (٢٠٠٢م).

الهيثمي/ علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط١، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠١م).

أمين/ أحمد، (١٩٢٤م)، **شرح قانون العقوبات الأهلي**, ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية.

إسحاق/ ميشال, (١٩٨٤م)، **المعاني الفلسفية في لسان العرب**, (تقديم: جورج صدقني), دمشق: اتحاد الكتاب العربي.

جادو/ عبد العزيز،(٢٠٠٠م)، **الطريق إلى علم النور والحق في ضوء علم النفس الحديث**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.

جرادات/ عبد الرزاق نجيب،(٢٠٠١م)، **الموضوعية في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

جلبي/خالص، (١٩٨٤م)، **في النقد الذاتي**، ط١، مؤسسة الرسالة.

ابن أبي حاتم/ عبد الرحمن(٣٢٧هـ), **المراسيل**، ط٢، (ضبط: شكر ا بن نعمة ا قوجاني)، مؤسسة الرسالة، (١٩٨٢م).

ابن حبان/ محمد بن أحمد(ت٣٥٤هـ) **المجروحين من الرواة**، ط١، (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي)، دار الصميعي، الرياض، (٢٠٠م).

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان(ت٧٣٩هـ), ط١، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط), مؤسسة الرسالة, (١٩٩١م).

ابن حجر/ أحمد بن علي(ت٨٥٢هـ), **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**, ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت, (١٩٩٧م).

تقريب التهذيب، ط٣، (تحقيق: خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت، (٢٠٠١م).

هدي الساري مقدمة فتح الباري, ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٧م).

الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٥م).

بلوغ المرام من أدلة الأحكام, دار الفيحاء، دمشق، (١٩٩٣م).

تغليق التعليق على صحيح البخاري، ط١، (تحقيق: سعيد القزقي)، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٨٥م).

تهذيب التهذيب، ط١، (عناية: إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، (٢٠٠١م).

حداد/ خلود عبد الكريم، (٢٠٠٤م)، **النقد الذاتي في ضوء التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

حماد/ أحمد جلال, (١٩٨٧م), **حرية الرأي في الميدان السياسي في ظل مبدأ المشروعية**, ط١، مصر: دار الوفاء.

ابن حنبل/أحمد(٢٤١هـ)، **العلل ومعرفة الرجال**، ط٢، (تحقيق: وصي ا محمد بن عباس)، دار الخاني، الرياض، (٢٠٠١م).

ابن خُزيمة/ محمد بن إسحاق(ت٣١١هـ)، **صحيح ابن خزيمة**، ط٣، (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، (٢٠٠٣م).

خليل/ عدلي, (١٩٩٢م)، **القذف والسب وتحريك الدعوى الجنائية عنهما**, ط١، القاهرة: دار النهضة العربية.

أبو داود/ سليمان بن الأشعث(ت٢٧٥هـ), **سنن أبي داود**, ط١، (تخـريج: صـدقي جميـل العطّار), دار الفكر، بيروت، (٢٠٠١م).

ابن رجب الحنبلي/ عبد الرحمن بن أحمد(ت٧٩٥هـ), **الفرق بين النّصيحة والتّعييـر**, ط٢، (تحقيق: نجم عبد الرحمن خاف), منشورات دار الكتب القيمة, (١٩٨٢م).

ابن زياد/ قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ), **نقد الشعر**, (تحقيق: كمال مصطفى), مكتبة الخانجي: مصر، ومكتبة المثنى: بغداد ١٩٦٣م.

سرور/ أحمد فتحي, (١٩٦٨م)، **الوسيط في شرح قانون العقوبات**, القـاهرة: دار النهضـة العربية.

سلامة/ حماد، (١٩٨٨م)، **ثلاث رسائل في الغيبة، (ابن تيمية, السيوطي, الشّـوكاني)**, ط١، مكتبة المنار: الأردن.

شامة/ محمد, **الإسلام دين ودنيا**, أبوللو للتوزيع, د.ط.

شحاته/ حسن **و** النجار/ زينب, (٢٠٠٣م)، **معجم المصـطلحات التربويـة والنفسـية**, ط١، (مراجعة: حامد عمار), الدار المصرية اللبنانية.

شحاته/ حسين حسين, (١٩٩٩م)، **محاسبة النفس**, ط١، مصر: دار البشير للثقافة.

شعيب الأرناؤوط وآخرون، **الموسوعة الحديثية (مسند الإمام أحمد بن حنبل)**, ط١، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون), مؤسسة الرسالة، بيروت, (١٩٩٨م).

صليبا/ جميل, (١٩٨٢م)، **المعجم الفلسفي**, بيروت: دار الكتاب اللبناني.

أبو طالب/ صابر سعدي, حمدي/ نزيه عبد القادر ومجموعة من الأساتذة, (١٩٩٨م)، **الإرشاد والتوجيه في مراحل العمر**, ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة.

طبانة/ بدوي، (١٩٦٥م)، **دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث**، ط٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن عاشور/ محمد الطاهر(١٣٩٣هـ), **التحرير والتنوير**, الدار التونسية، تونس (١٩٨٤م).

عباس/ فضل حسن،(١٩٩٧م)، **البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)**، ط٤، الأردن: دار الفرقان.

(١٩٩٨م)، **البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع)**، ط٣، عمان، دار الفرقان.

ابن عبد البر/ يوسف بن عبد ا (٤٦٣هـ)، في **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ط١، (تحقيق: عادل مرشد)، دار الأعلام، عمان، (٢٠٠٢م).

عياض/ عياض بن موسى(ت٥٤٤هـ)، **إكمال المعلِم بفوائد مسلم**، ط١، (تحقيق: يحيى إسماعيل)، دار الوفاء، مصر، (١٩٩٨م).

ابن فارس/ أحمد(ت٣٩٥هـ), **معجم مقاييس اللغة**, (تحقيق: عبد السلام هارون), دار الفكر.

قنصوة/ صلاح،(١٩٨٠م)، **الموضوعية في العلوم الإنسانية**، دار الثقافة، القاهرة.

قوش/ يوسف عمر، (١٩٩٧م)، النقد الذاتي، خُطوة على الطريق، **مجلة البيان**، السنة الثانية عشرة، العدد١١٥.

كارتر/ جاي(طبيب نفساني), (٢٠٠٤م)، **أشخاص سيئو الطباع(Nasty People)**، ط١، مترجم إلى العربية، السعودية: مكتبة جرير.

ابن كثير/ إسماعيل(ت٧٧٤هـ), **تفسير ابن كثير**, ط١، (عناية: محمد أنس الخن), مؤسسة الرسالة، بيروت, (٢٠٠٠م).

ابن ماجه/ محمد بن يزيد(ت٢٧٥هـ), **سنن ابن ماجه،** ط١، (تحقيق: صدقي جميل العطّار), دار الفكر، بيروت، (٢٠٠١م)

ماكاي/ ماثيو **و** فانينج/ باتريك،(٢٠٠٥م)**، تقدير الذات(Self-Esteem)**، ط٣، (مترجم إلى العربية)، السعودية: مكتبة جرير.

مالك/ أنس(١٧٩هـ)، **الموطأ**, (تخريج: هاني الحاج), المكتبة التوفيقية.

مسلم/ مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ), **صحيح مسلم,** مكتبة الإيمان، المنصورة.

مصطفى/ إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**, (إشراف عبد السلام هارون), طهران: المكتبة العلمية.

ابن منظور/ محمد بن مكرم(ت٧١١هـ), **لسان العرب**, دار صادر، بيروت، (١٩٥٥م).

نزال/ مصطفى أحمد صادق, (١٩٩٩م)،**العقوبة البدنية في المدارس من منظور إسلامي**, رسالة ماجستير, الجامعة الأردنية، عمان.

نمور/ محمد سعيد, (٢٠٠٢م)، **شرح قانون العقوبات (القسم الخاص, الجرائم الواقعة على الأشخاص)**, ط١, الأردن، الدار العلمية ودار الثقافة.

نور سيف/ أحمد محمد، (١٩٧٩م)، **يحيى ابن معين وكتابه التاريخ**، ط١، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

أبو هلال العسكري/ الحسن بن عبد ا (ت٣٩٥هـ)، **الفروق في اللغة**, ط١، (تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش)، مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٢م).

ويسينجر/ هندري، Weisinger Hendrie(دكتوراه في الفلسفة)، (٢٠٠١م)، **قوة النقد البناء،Positive Criticism The Power of** ، ط١، مترجم إلى العربية، مكتبة جرير، السعودية.

أبو يعلي الموصلي/ أحمد بن علي(ت٣٠٧هـ)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، ط١، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٨م).

Harry Shaw ,**Dictionary of Literary Terms** ,Mc GRAW–HILL BOOK COMPANY, U.S.A ١٩٧٢ ,.

ملحق الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الآيات القرآنية

	السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١	ال عمران	ولْتَكُن منكُم ُأمةٌ يدعون إِلى الْخَير	١٠٤	٥٢
٢		كُنتُم خَير ُأمةٍ ُأخْرِجتْ ِللناسِ	١١٠	٥٢
٣		فَبِما رحمةٍ من اللّهِ ِلنتَ لَهم..	١٥٩	١٠٦
٤		وشَاوِرهم فِي الأَمرِ	١٥٩	٥٤
٥	النساء	فَلاَ وربك لاَ يؤْمِنُون حتى يحكموك	٦٥	٩٢
٦		يا َأيها الَّذِين آمنُواْ إِذَا ضربتُم فِي سبِيلِ اللّهِ فَتَبينُواْ	٩٤	٤٩
٧	الأنعام	ولاَ تَزِر وازِرةٌ وِزر ُأخْرى	١٦٤	١٨
٨	الأعراف	ولاَ تَبخَسواْ الناس َأشْياءهم	٨٥	١٨٤
٩	الأنفال	واعلَمواْ َأنَّما غَنِمتُم من شَيءٍ..	٤١	٧٥
١٠		ما كَان ِلنَبِي َأن يكُون لَه َأسرى حتى يثْخِن فِي الأَرضِ	٦٧،٦٨	٤٦
١١	التوبة	ومِنْهم من يقُولُ ائْذَن لي ولاَ تَفْتِني..	٤٩	١٩١
١٢		ومِنْهم من يلْمِزك فِي الصدقَاتِ	٥٨	٣٨
١٣		إِنَّما الصدقَاتُ ِللْفُقَراء والْمساكِين..	٦٠	٩٦
١٤		واللّه ورسولُه َأحق َأن يرضوه	٦٢	٣٧
١٥		استَغْفِر لَهم َأو لاَ تَستَغْفِر لَهم..	٨٠	٧٦
١٦		ولاَ تُصلِّ علَى َأحدٍ منْهم ماتَ َأبدا	٨٤	٧٦
١٧		لَّيس علَى الضعفَاء ولاَ علَى الْمرضى..	٩١	٥١
١٨	هود	وَأَقِمِ الصلاَةَ طَرفَيِ النَّهارِ وزُلَفًا من اللَّيلِ	١١٤	٩٠
١٩	الإسراء	ولَقَد كَرمنَا بنِي آدم	٧٠	٤١
٢٠	الكهف	وكَان الْإِنْسان َأكْثَر شَيءٍ جدلًا	٥٤	٢٠١
٢١	المؤمنون	وقُل رب أَعوذُ بِك مِن همزاتِ الشياطِين	٩٧	٣٨

٢٢	النور	ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة	٢٢	٤٩
٢٣	النمل	إنك لا تسمع الموتى	٨٠	١٩
٢٤	فاطر	وما أنت بمسمع من في القبور	٢٢	١٩
٢٥	الشورى	وأمرهم شورى بينهم	٣٨	٥٤
٢٦	الحجرات	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله	١	٤٩
٢٧		يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي..	٢	٤٩
٢٨		يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم	١١	٤٠
٢٩		ولا تلمزوا أنفسكم	١١	٣٨
٣٠		إن بعض الظن إثم	١٢	٧٩
٣١		ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا	١٢	٣٥
٣٢	الحشر	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس	١٨	٢٧
٣٣	التحريم	يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك	٢،١	٤٧
٣٤	القلم	وإنك لعلى خلق عظيم	٤	٢١١
٣٥	القيامة	لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة	٢،١	٢٧
٣٦		بل الإنسان على نفسه بصيرة	١٤	٢٧
٣٧	عبس	عبس وتولى..	١٠-١	٤٥
٣٨	الهمزة	ويل لكل همزة لمزة	١	٣٨

فهرس الأحاديث النبوية

٢٤	ألَا تأْمنُوني وأنَا أمِين من فِي السماءِ..	أبو سعِيدٍ الْخُدري	٩٤
٢٥	ألَا تُصليان؟..	عِلي بن أبِي طالِبٍ	٢٠١
٢٦	ألَك بينَةٌ؟	وائل بن حجر	٨٧
٢٧	ألَك مال؟.. مِن أي المال؟..	مالك بن نَضلة	١٨٦
٢٨	ألَم تَعلَموا ما لَقِي صاحِب بني إسرائيلَ..	عبدِ الرحمن بن حسنَةَ	٨٠
٢٩	أما أبو جهمٍ فلا يضع عصاه..	فاطمة بنت قيس	٣٧
٣٠	أما وا ـ إن كُنت لَأعرفَها لَكُم..	حذيفة بن اليمان	٨٣
٣١	أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناس حتى يقُولُوا لَا إله إلا الله..	أبو هريرةَ	٥٧
٣٢	أن رجلًا ماتَ فَدخَلَ الْجنةَ.. أو فِي النقْدِ..	حذَيفَةَ بن اليمان	١٧
٣٣	أن رجلًا مِن أهل الْجنةِ استأْذَن ربه..	أبو هريرةَ	٥٠
٣٤	أن يهودِيا أتَى النبِي.. فَقَالَ: إنكُم تُنَددون....	قُتَيلَةَ بِنْتِ صيفِي	٨٢
٣٥	أُنْزِلَ عبس وتَولى فِي ابن أُم مكْتُومٍ..	عائِشَةَ أم المؤمنين	٤٥
٣٦	أين الْمتَألي علَى اللهِ..	عائِشَة أم المؤمنين	١٦٥
٣٧	أيها الناس إنكُم منَفرون..	عقبة بن عمرو	١٩٥
٣٨	إن الله جمِيلٌ يحِب الْجمالَ..	عبدِ اللهِ بن مسعودٍ	٣٩
٣٩	إن الله عز وجل حيِي سِتير..	يعلَى بن أمية	١٩٨
٤٠	إن الله هو الْحكَم وإلَيهِ الْحكْم..	هانِئ بن يزيد	١٨٥
٤١	إن الله ورسولَه حرم بيع الْخَمر..	جابِر بن عبدِ اللهِ	١٧٥
٤٢	إن الميت يعذَّب ببعض بكاء أهله عليه..	عائشة أم المؤمنين	١٨
٤٣	إن أُولَئِك إذَا كان فِيهِم الرجلُ الصالِح..	عائِشَة أم المؤمنين	١٧٦
٤٤	إن تَطْعنُوا فِي إمارتِهِ فَقَد كُنْتُم تَطْعنُون..	عبدِ اللهِ بن عمر	١٠١
٤٥	إن هذِهِ الصلَاةَ لَا يصلُح فِيها شَيء مِن كَلَامِ..	معاوية بن الْحكَمِ	١٧٩
٤٦	إنكِ لابنَةُ نَبِي، وإن عمكِ لَنَبِي..	أنَس بن مالك	٧١
٤٧	إنكم لتُحدثوني عن غير كاذِبين..	عائشة أم المؤمنين	١٩
٤٨	إنما الْمدِينَةُ كَالْكِير..	جابِر بن عبدِ اللهِ	٢٠٢

٤٩	إنما بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ شيء واحد	جبير بن مطعمٍ	٧٥
٥٠	إنما هذا من إخوان الكهان	أبو هريرةَ	٢٠٧
٥١	إنما يلبس هذه من لا خلاقَ له..	عبدِ اللهِ بن عمر	٧٨
٥٢	إني دخلتُ الكعبةَ ووددتُ..	عائشةَ أم المؤمنين	٦١
٥٣	إني عالجتُ امرأةً في أقصى المدينةِ..	عبدِ اللهِ بن مسعود	٩٠
٥٤	إني لأعلم كلمةً لو قالها..	سليمان بن صردٍ	١١٥
٥٥	إني واللهِ ما آمن يهود على كتابي	زيد بن ثابت	١٨٩
٥٦	إياكم والجلوس على الطرقاتِ	أبو سعيدٍ الخدري	٥٣
٥٧	بئس الخطيب أنتَ..	عدي بن حاتم	٦٧
٥٨	بعنيه بوقية.. ونقدني ثمنه	جابر بن عبد ا	١٦
٥٩	بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم..	عبد ا بن عمرو	٦٥
٦٠	تصدقْ.. للذي قال احترقْتُ احترقْتُ..	عائشةَ أم المؤمنين	١٣٧
٦١	حاسبوا أنفسكم..(موقوف)	عمر بن الخطاب	٢٨
٦٢	حين أفاء الله على رسولِه..	أنس بن مالكٍ	٩٦
٦٣	خذي أنتِ وبنوكِ ما يكفيكِ بالمعروفِ..	عائشة أم المؤمنين	٣٦
٦٤	دعه فإن الحياء من الإيمان	عبدِ اللهِ بن عمر	١٠٤
٦٥	دعوه فإن لصاحبِ الحق مقالًا	أبو هريرةَ	١٢١
٦٦	دعوه وهريقوا على بولِه سجلًا من ماءٍ..	أبو هريرةَ	١٠٦
٦٧	ذباب، ذباب	وائل بن حجر	١٤٢
٦٨	زادك الله حرصا ولا تعد	أبو بكرةَ	١٨٤
٦٩	سبحان اللهِ! هذا كما قالَ قوم موسى..	أبو واقدٍ الليثي	٢٠٤
٧٠	سجع كسجع الأعرابِ؟	المغيرةِ بن شعبةَ	٢٠٧
٧١	شكا أهلُ الكوفة سعداً..(موقوف)	جابر بن سمرة	٥٨
٧٢	غارتْ أمكم	أنس بن مالك	١١٦
٧٣	قاتلهم الله، أما واللهِ لقد علموا..	ابن عباس	١٧٧
٧٤	قدم ركب من بني تميمٍ..	عبد اللهِ بن الزبير	٤٩

٧٥	قَرصتْ نَملةٌ نَبيا مِن الأَنْبِياءِ..	أبو هريرةَ	٤٧
٧٦	كَان رجلٌ فِي غُنَيمةٍ لَه فَلَحِقَه الْمسلِمون..	ابن عباسٍ	٤٩
٧٧	كَذَب قَد علِم أَني مِن أَتْقَاهم لِلَّهِ..	عائِشَةَ أم المؤمنين	١٠٠
٧٨	لَا تُطْرونِي كَما أَطْرتْ النصارى ابن مريم..	ابن عباسٍ	١٩٠
٧٩	لَا تَقُلْ ذَلِك، أَلَا تَراه قَد قَالَ لَا إِلَه إِلا الله..	عِتْبان بن مالِكٍ	١٢٠
٨٠	لا تَقُولُوا هكَذا لا تُعِينُوا علَيهِ الشيطَان	أبو هريرة	٧٠
٨١	لا تَلْعنُوه فَوا ـ ما علِمتُ..	عمر بن الخَطابِ	٧١
٨٢	لَا وجدتَ، إِنما بنِيتْ الْمساجِد لِما بنِيتْ لَه	بريدة الأسلمي	١٦٩
٨٣	لا يقُلْ أحدكُم: خَبثَتْ نَفْسِي..	سهل بن حنيف	١٣١
٨٤	لَا، بلْ شَرِبتُ عسلًا..	عائِشَةَ أم المؤمنين	٤٧
٨٥	لا، ولَكِن لَم يكُن بِأَرضِ..	خَالد بن الوليد	١٢٣
٨٦	لَعلكُم لَو لَم تَفْعلُوا كَان خَيرا..	رافع بن خديج	١٢٧
٨٧	لَعنَةُ اللهِ علَى الْيهودِ والنصارى..	عائِشَةَ وابن عباس	٦٨
٨٨	لَقَد أُنْزِلَتْ علَي اللَيلَةَ سورةٌ..	أسلم مولى ابن الخطاب	١٤١
٨٩	لَقَد راجعتُ رسولَ ا ..	عائشة أم المؤمنين	٢٠٤
٩٠	لَقَد قُلْتِ كَلِمةً لَو مزِجتْ بِماءِ..	عائِشَةَ أم المؤمنين	٤٠
٩١	لكم كذا وكذا..	عائِشَةَ أم المؤمنين	١١٨
٩٢	لَو أَنكُم تَطَهرتُم لِيومِكُم هذَا	عائِشَةَ أم المؤمنين	١٨٧
٩٣	لَو لَم تَفْعلُوا لَصلُح	عائشة وأنس بن مالك	١٢٧
٩٤	لَينْتَهِين أَقْوام عن ودعِهِم الْجمعاتِ..	عبد اللهِ بن عمر	١٩٨
٩٥	ما اسمك؟.. أَنْتَ سهل	حزن بن أبي وهب	٦٨
٩٦	ما أَجِد أَحدا أَحق بِهذَا الْأَمرِ..(موقوف)	عمر بن الخطاب	٥٩
٩٧	ما بالُ أَقْوامٍ قَالُوا كَذَا وكَذَا؟..	أنس بن مالك	١٩٣
٩٨	ما بالُ أَقْوامٍ يتَنَزهون عن الشيءِ أَصنَعه؟..	عائِشَةَ أم المؤمنين	١٩٣

٩٩	ما بالُ أقْوامٍ يرفَعون أبصارهم..	أنَس بن مالِكٍ	١٩٧
١٠٠	ما بالُ أقْوامٍ يقُولُون كذَا وكذَا	عائِشَةَ أم المؤمنين	١٩١
١٠١	ما بالُ دعوى الْجاهِلِيةِ؟..	جابِر بن عبدِ اللهِ	١٦١
١٠٢	ما تأمرني؟ تأمرني أن آمره أن يدع يده..	عِمران بن حصينٍ	١٦٢
١٠٣	ما ترون فِي هؤُلَاءِ الْأَسارى؟..	ابن عباسٍ	٤٦
١٠٤	ما زالَ بِكُم صنيعكُم حتى ظنَنْتُ..	زيد بن ثابِتٍ	١٧١
١٠٥	ما عاب رسولُ ا طعاما قط..	أبو هريرة	١٢٣
١٠٦	ما علمتَه إِذْ كان جاهِلًا..	عبادِ بن شُرحبِيلَ	٦٦
١٠٧	ما هذَا؟.. ما حملَهن علَى هذَا..	عائِشَة أم المؤمنين	١٦٣
١٠٨	ما يصنَع هؤُلاءِ..	طَلْحةَ بن عبيد ا	١٢٦
١٠٩	مروا أبا بكْرٍ يصلي بِالناس..	عائِشَةَ أم المؤمنين	٢٠٣
١١٠	من أكَلَ مِن هذِهِ الشجرةِ فَلا يقْربن..	عبد ا بن عمر	١٢٤
١١١	من ذَا؟.. أنَا أنَا	جابِر بن عبدِ اللهِ	٢٠٠
١١٢	من رأَى مِنْكُم منْكَرا فَلْيغيره..	أبو سعِيدٍ الْخُدري	٥٣
١١٣	من سمِع رجلا ينْشُد ضالةً فِي المسجِدِ..	أبو هريرة	١٦٩
١١٤	من قَتَلَ قَتِيلًا له علَيهِ بينَةٌ فَلَه سلَبه	الحارث بن ربعي	٨٨
١١٥	مه، علَيكُم بِما تُطِيقُون..	عائِشَة أم المؤمنين	١٦٨
١١٦	مهلًا يا عائِشَةُ، إِن الله يحِب الرفْقَ..	عائِشَة أم المؤمنين	١٨٦
١١٧	نَادِ فِي الناسِ فَيأْتُون بِفَضل..	سلَمةَ بن الأكوعِ	٦٢
١١٨	هاؤم.. الْمرء مع من أحب..	صفْوان بن عسالٍ	١٠٨
١١٩	هلا مع صاحِبِ الْحق كُنْتُم؟	أبو سعِيدٍ الْخُدري	١٢١
١٢٠	والذِي نَفْسِي بِيدِهِ إِن لَو تَدومون..	حنْظَلَةَ الْأُسيدِي	١٣٣
١٢١	والذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَقَد هممتُ أن آمر..	أبو هريرةَ	١٧٣
١٢٢	واللهِ لَا أُنْفِقُ علَى مِسطَحٍ شَيئًا أبدا..	عائِشَةَ أم المؤمنين	٤٩
١٢٣	وما يدرِيكِ أن ا أكْرمه!	أم العلاء بِنْت الحارث	٦٧

١٢٤	وهلَ، إنّما قالَ رسولُ ا صلى ا عليه وسلم..	عائشة أم المؤمنين	١٨
١٢٥	يا ابن الْخَطابِ إني رسولُ اللهِ ولن يضيعني..	شقيق بن سلمة	٧٣
١٢٦	يا أبا ذَر أعيرتَه بِأُمهِ!..	أبو ذر الغفاري	٣٩
١٢٧	يا أبا عمرٍو، ما شأن ثَابِتٍ اشْتَكى؟	أَنَس بن مالِكٍ	١٣٥
١٢٨	يا أسامة، أَقتَلْتَه بعد ما قالَ لَا إِلَه إلا الله؟..	أُسامة بن زيدٍ	١٥٤
١٢٩	يا أُنَيس، اذَهبتَ حيثُ أمرتُك؟	أَنَس بن مالك	١١١
١٣٠	يا حكِيم إِن هذَا الْمالَ خَضِرةٌ حلْوةٌ..	حكِيم بن حِزامٍ	٢٠٥
١٣١	يا عبد ا ِ، ألَم أُخْبر أنك تَصوم النهار..	عبد اللهِ بن عمرٍو	١٨٢
١٣٢	يا عبد ا ِ، لا تَكُن مِثْلَ فُلان..	عبد ا بن عمرو	١٨٢
١٣٣	يا غُلَام سم الله وكُلْ بِيمِينِك..	عمر بن أَبِي سلَمةَ	١١٢
١٣٤	يا معاذُ أَفَتان أَنْتَ؟.. اقْرأْ والشمسِ..	جابِر بن عبدِ اللهِ	١٥٨

THE PROPHETIC MANNER (GUIDANSE) IN CRITICIZING SELF AND OTHERS FIRMLY ESTABLISHED CRITERION STUDY

By
Fayda Ibrahim Hafez Awwad

Supervisor
Dr. Basem Al-Jawabreh, Prof.

ABSTRACT

This research provides a modern review to one of the major concepts in Islam that had been dealt with before under different terminology. This study concerns itself with the Prophetic manner of criticizing the self and the other. The study is humanitarian, instructive and moralistic in nature. It provides an analysis of the two types of criticism that had been found in the Prophetic tradition, namely, the instructive and negative destructive criticism, and the way the Prophet responded to each type.

The humanitarian aspect of the study appears in its demonstration to the Sharea's concerns in the building and development of a strong personality with a high self esteem that would preserve dignity and self respect. Other humanitarian aspects are manifested in the way the research represents the Prophets perceptive approach in dealing with people and understanding their nature and their needs. It is humanitarian in its message, as it calls for tolerance among people, and sets the rule of mutual respect and understanding to their interaction with each other.

The study is instructive in the sense that it sheds light on the shortcomings of specific situations that it provides, as it illustrates, then, the Prophet's position from these situations. Which overall, contributes to the process of building up a personality that is more capable of improving and living peacefully with others.

The study is moralistic as it displays the codes of behavior that the Prophet used in criticism. These codes of behaviors are presented in a way that urges every one to abide by them, whether the one who criticizes or the one who get criticized.

The study presents the concept of criticism from a modern perspective, which noticeable in the usage of modern concepts. However, the modern terminology that is used in the research does not indicate that this concept is new to the Sharea', this field of study is well-known under other names as " al 'amr bel ma'rouf wal nahyu 'an el monkar" which literally means advocate good and forbid wrong. According to the more common usage of the term "criticism" in our societies, the research presents criticism as a part in the chain of the instructive processes that had been generated by the Sharea' and that people are recommended to adhere to.

Finally, this study provides the method of criticism in Islam by accounting for several examples from the Prophetic tradition. The two forms of criticism, both the instructive and the destructive, had been treated in the research according the Prophetic view.